

العرب والاسلام

في الحوض الغربي
من البحر الأبيض المتوسط

من فتح المغرب وفتح الاندلس
الى آخر عصر الولاة (١٣٨هـ = ٧٥٦ م)

تأليف

عكفرون

دكتور في الفلسفة

عضو المجلس العربي في دمشق.
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي
أستاذ زائر في جامعة دمشق لتاريخ الأندلس

الطبعة الاولى

بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م

منشورات المكتب التجاري - بيروت

العرب والاسلام

في الجَوْضِ الفَرَبِيِّ
مِنَ البَحْرِ الأَبْيَضِ المَتَوَسِّطِ

من فتح المغرب وفتح الاندلس
الى آخر عصر الولاية (٨١٣٨ = ٧٥٦ م)

تأليف

مكفرونج

مكتوز في الفلسفة
عضو المجتمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي
استاذ زائر في جامعة دمشق لسرايج الأنجلو

الطبعة الاولى

بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م

منشورات المكتب التجاري - بيروت

الطبعة الاولى
٥٩/٣/٣٠٠٠/١

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

رمضان ١٣٧٨
آذار ١٩٥٩

هذا الكتاب

تَظَلُّ الأُمَّةُ حَيَّةً مَا دَامَ أَبْنَاؤُهَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُتَّصِلُونَ
بِأَسْلَافِهِمْ أَتِّصَالًا وَاضِحًا، وَمَا دَامُوا يُؤَدُّونَ رِسَالَةَ أُمَّتِهِمْ تَأْدِيَةً
تُؤَافِقُ حَاجَاتِهِمُ الْمُتَطَوِّرَةَ مَعَ الزَّمَنِ وَتَحْفَظُ عَلَيْهِمُ مُثُلَهُمُ المُلَيَّا
سَلِيمَةً بَارِزَةً وَتَجْمَلُ مِنْ تُرَاثِهِمُ الرُّوحِيَّ نِطَاقًا يَحْمِي وَحَدَثَهُمْ
وَيُسَدِّدُ خُطُوَاتِهِمْ .

فَإِذَا تَنَاسَى الأَحْفَادُ صِلَتَهُمْ بِأَسْلَافِهِمْ وَتَنَاسَوْا رِسَالَةَ أُمَّتِهِمْ
فَقَدُوا شَخْصِيَّتَهُمْ وَضَمَفَ أَمْرَهُمْ فَسَهَّلَ طُغْيَانُ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِمْ
فِيَحْمِلُهُمْ طَلِبُ العَيْشِ حِينَئِذٍ عَلَى أَنْ يَنْتَحِلُوا خِصَائِصَ جِيرَانِهِمْ
مِنْ صَدِيقٍ أَوْ عَدُوٍّ وَيَتَزَيَّرُوا بِزِيَّ المُتَعَلِّبِينَ عَلَيْهِمْ وَيَتَخَلَّقُوا
بِأَخْلَاقِهِمْ وَيُقَلِّدُوهُمْ فِي مَظَاهِرِ حَيَاتِهِمْ ثُمَّ يَنْتَهِي بِهِمُ الأَمْرُ إِلَى
أَنْ يَذُوبُوا فِي مَنْ حَوْلَهُمْ فَتَنْقَرِضَ دَوْلَتُهُمْ وَتَزُولَ حَضَارَتُهُمْ
وَيَخْلُوَ مَوْكِبُ التَّارِيخِ مِنْ أُمَّتِهِمْ وَمِنْ أَسْمِ أُمَّتِهِمْ .

فهرس الكتاب

٧	المغرب : نطاقه وتعريفه
٢٠	العالم الوسيط وتوزع البرابرة في أوروبا
	سطح المغرب وإبارية :
٣٩	المغرب
٤٣	إبارية
٥٠	الفتح في المغرب
	الفتح في الاندلس
٨١	فتح الاندلس خطته : وسيره
١٠٢	عصر الولاة
١٠٢	أ - توطيد الفتح
١٠٣	(١) عبد العزيز بن موسى
١٠٦	(٢) أيوب بن حبيب اللخمي
١٠٧	(٣) الحر بن عبد الرحمن الثقفي
١١٠	ب - الجهاد وراء جبال البرانس
١١٢	(٤) السمع بن مالك الخوذني
١١٧	(٥) عبد الرحمن الغافقي للمرة الاولى
١١٨	(٦) عنبة بن سحيم الكلبي
١٢٠	(٧) عذرة بن عبد الله الفهري
١٢١	(٨) يحيى بن سلمة الكلبي
١٢٣	(٩) حذيفة بن الأحوص الاشجعي

١٢٥ (١٠) عثمان بن أبي نسة

١٢٥ (١١) الهيثم بن عدى الكلابي

١٢٦ (١٢) محمد بن عبد الله الأشجعي

١٢٦ (٥٠) عبد الرحمن الغافقي للمرة الثانية

١٣٤ (١٣) عبد الملك بن قطن للمرة الاولى

١٣٦ (١٤) عتبة بن الحجاج

١٤٠ (٥٠) عبد الملك بن قطن للمرة الثانية

١٤٦ (١٥) بلج بن بشر

١٤٩ (١٦) ثعلبة بن سلامة الجذامي

١٥١ (١٧) ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي

١٥٤ ج - دور العصبيات

١٥٤ تنمة أبي الخطار

١٥٦ (١٨) ثوابة بن سلامة الجذامي

١٦٠ (١٩) عبد الرحمن بن كثير اللخمي

١٦١ (٢٠) يوسف بن عبد الرحمن الفهري

د - الحرب بين عبد الرحمن بن معاوية ويوسف الفهري

١٧٣ تنمة يوسف الفهري ومبايعة عبد الرحمن بن معاوية

١٧٩ الحياة في عصر الولاة

١٨٩ الاعلام الجغرافية التي لها ما يقابلها في الفرونية

١٩٥ الفهرس الابجدي لاعلام الاشخاص

المغرب : نطاقه وتعريفه



إذا نحن اعتبرنا « المغرب » من حيثُ الدلالةُ اللغوية عند العرب ، فلا مناصَ لنا من أن نَعْبِيَّ به جميع البلاد التي تقع غربَ الشام ، في آسية (آسية الصغرى ، بلاد الروم) وفي إفريقيَّة (١) . أما إذا اعتبرناه من حيثُ الدلالةُ السياسية والادارية ، تلك الدلالة التي كانت مملوحة بوضوح في العصر الأموي – عصر الفتوح الإسلامية – فانه يكون حينئذ تلك البلاد التي تمتد على السواحل الشمالية من قارة افريقية ، على شواطئ البحر الأبيض المتوسط (٢) وعلى شواطئ المحيط الأطلنطي (٣) أيضاً .

غير أننا اذا تأملنا تاريخ مصر وأدبها وثقافتها رأيناها كلها ألصقَ بتاريخ المشرق وأدبه وثقافته منها بتاريخ المغرب وأدبه وثقافته . فالتاريخ المِصْرِيّ

(١) افريقية بكسر الهزرة وتسهيل الياء ، وقد تشدد الياء .

(٢) البحر الابيض المتوسط يسمى البحر الرومي (راجع مقدمة ابن خلدون ١٢٢ ، راجع ٧٤ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٢ الخ .) « ويسمى البحر الرومي البحر الشامي أيضاً نسبة الى اهل عدوته » الشامية (مقدمة ابن خلدون ٤٥٢ ، راجع ١٠٩ ثم ١٨ .) - راجع صفة جزيرة الأندلس ٦٢ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٢٢ الخ .

(٣) « ويسمى البحر المحيط ، ويسمى أيضاً لبلاية بتفخيم اللام الثانية ، ويسمى أقيانس . ويقال له البحر الاخضر والاسود » (مقدمة ابن خلدون ٧٢ .) ولكن اسم البحر المحيط عليه أشهر (مقدمة ابن خلدون ١٢٨ ، ٧٢ ، راجع ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٣٤ .) راجع صفة جزيرة الاندلس ٦٢ ، ٢٨ ، ٢٦ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٦ الخ .

كان دائماً جزءاً من تاريخ الشام والعراق ، والأدب في مصر كان دائماً مشرقياً .
الخصائص : وكذلك كانت الثقافة في مصر جانباً من الاتجاه الفكري في المشرق ؛
فبهذا النظر وحده تخرج مصر من نطاق المغرب ولكنها تظل ، على كل حال ،
جزواً منه من الناحية الجغرافية .

على أن التعبير **شرفاً** و **غوباً** تعبيرٌ مضللٌ في كثير من الأحيان : ان كل شعب
على الكثرة الأرضية شرقي بالاضافة الى جيرانه الغربيين وغربي بالاضافة الى
جيرانه الشرقيين (١) . ألسنا نحن في الشام مثلاً غربيين بالاضافة الى ايران والهند
والصين ثم شرقيين ، في الوقت نفسه ، بالاضافة الى مصر واليونان وتونس
وايطالية ؟ ولكن المفهوم التاريخي والوضعي جعل أوروبا والعالم الجديد
(الاميركيتين) غرباً بالاضافة الى العالم القديم الذي نشأ فيه الدين والفن وبدأ
تدوين التاريخ ، في الهند وابل وفي مصر أيضاً . من أجل ذلك يسمي الاوروبيون
والأميركيون أنفسهم **غربيين** بالاضافة اليها ويسموننا **شرقيين** بالاضافة اليهم ثم
يسمونا **شركيين** في التسمية معنا سكان مصر وتونس والمغرب الأقصى ، كما نسمي
نحن أهل المغرب الأقصى والأندلس **مغاربة** ويسموننا **دم** مشاركة .

• • •

ثم اذا نحن تأملنا البحر الأبيض المتوسط من الناحية العسكرية والحربية رأيناه
مقسوماً حوضين اثنين : الحوض الشرقي والحوض الغربي ، يفصل بينهما خط
يمتد من جزيرة **سِقِلِيَّة** (٢) جنوب ايطالية الى الرأس الطيب (٣) ، في الطرف
الشرقي الشمالي من القطر التونسي . ولقد ذكر العالم الاجتماعي عبد الرحمن بن
خلدون في مقدمته ما يشير صراحة الى استقلال أحد حوضي هذا البحر عن

(١) راجع « الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط » ، تأليف جورج سارطون ، نقلها الى
العربية الدكتور عمر فروخ ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٧٢هـ = ١٩٥٢ ، ص ٥٧-٥٨ .
(٢) سقلية أو صقلية جزيرة كبيرة مصاطبة لجنوبي ايطالية .
(٣) « رأس بون » الذي يظهر على الخريط الحديثة هو المقابل الفرنجي للاسم الاصيل : الرأس
الطيب .

حوضه الآخر في الأعمال الحربية فقال (١) : « وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه ، من سواحل القرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية (٢) لا يَعُدونها ، وأساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً ، واختلفت في طرقة سلماً وحرماً ، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح (٣) » . ثم يقول ابن خلدون أيضاً (٤) : « وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام الى أن انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره..... فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك (٥) وبقيت بأفريقية والمغرب فصارت مخصصة بها . وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد (٦) موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحينه (٧) عدو ولا كانت لهم به كربة » . ويتكلم ابن خلدون على الافرنج (الصليبيين) فيقول (٨) : « ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعدّد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم » . ثم قال أيضاً (٩) : « ... وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب (١٠) بالأساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشأن الأساطيل البحرية » .

ولقد وجد الجغرافيون أن قسمة البحر الأبيض المتوسط حوضين اثنين ، من

(١) المقدمة ٤٥٥-٤٥٦ . راجع ١٠٩-١١٠ .

(٢) جزر بحر ايته (الايوني) .

(٣) سفن « وحلناه على ذات ألواح ودسر » (سورة القمر ، ٤٤ : ١٣) .

(٤) المقدمة ٤٥٦ .

(٥) رسم الوظيفة ، يقصد قيادة الاساطيل . هناك ، أي في الجانب الشرقي من البحر الابيض المتوسط .

(٦) في زمن ابن خلدون .

(٧) تحيف الشيء : تنفسه ، أخذ منه ، من « حيفه » أي أخذ من نواحيه (القاموس) .

(٨) المقدمة ٤٥٧-٤٥٨ .

(٩) المقدمة ٤٥٨ .

(١٠) ابو يعقوب المنصور الموحيدي ، سلطان المغرب .

الناحية الجغرافية والناحية التاريخية والناحية الثقافية ، أمر صحيح نظرياً وعملياً :
لقد وجدوه ينقسم في الحقيقة قسمين : قسماً شمالياً غريباً و قسماً جنوبياً شرفياً
يُدعيان في العادة وحجاً بالاختصار الحوض الشرقي والحوض الغربي (١) .
ومع أن البحر الأبيض المتوسط حوضان مستقلان متميزان ، فإن الصلة ظلت
عبر التاريخ وثيقة بينهما ، ثم بينهما وبين ما حولهما (٢) .

ان البحر الأبيض المتوسط حديث النشأة بمعنى أنه تشكل من انخفاض في
البقعة التي يحتلها اليوم بعد أن كان الانسان قد وجد على هذه الأرض (٣) . وكان
الأقدمون قد قسموا هذا البحر بحاراً صغيرة متفاوتة الأحجام مختلفة الأشكال
وأطلقوا عليها أسماء مأخوذة من المناطق الساحلية التي تجاورها .

أما الحوضان الرئيسيان فسيختلفان في نواحٍ متعددة . ان الحوض
الاول الغربي شبه مستطيل الشكل تبلغ مساحته نحو ٣٣٠,٠٠٠ ميل مربع (٨٥٠,٠٠٠
كيلو متر مربع) ، وهو محاط بسلاسل من الجبال الكلسية الممتدة فيه من الغرب
الى الشرق على ساحليه الشمالي والجنوبي ، في اسبانية واطالية وفي افريقية . غير
أن هذا الحوض الغربي يكاد يكون مستوى الشواطئ قليل التضاريس بالاضافة الى
الحوض الشرقي (٤) . أما الحوض الشرقي فهو أكبر مساحة من الحوض الغربي ،
إذ تبلغ مساحته نحو ٦٥٠,٠٠٠ ميل مربع (١,٧٥٠,٠٠٠ كيلو متر مربع) ،
ثم هو مملوء بالجزر الصغار والكبار ، سواء منها تلك التمربة من الشاطئ أو
البعيدة عنه .

والذي يلاحظه المؤرخ البصير أن مجرى الحروب في الحوض الشرقي كان
مختلفاً من مجرى الحروب في الحوض الغربي . كانت الحروب في التاريخ القديم

(1) Newbigin 26, cf. 26-32.

(2) Vgl. Der Alte Orient (Gemeinverständliche Darstellung) Leipzig
1903 ff. s. 7. Jahrgang, Heft 2: Die Euphrat-Laender und das Mittelmeer
(Leipzig 1905), von Hugo Winkler, S. 16.

(3) Semple 16 .

(4) Semple 60 ff.

تدور رحاها في الحوض الشرقي بين الفرس واليونان ، وكان الفينيقيون يصطادون بنار الفرس أحياناً ، وكانوا أحياناً أخرى يتحالفون مع الفرس على اليونان ، أو يتحالف بعضهم مع الفرس على بعض ، كما اتفق لما أعانت صورُ الفينيقية الفرسَ على صيداء الفينيقية . ومع أن الحروب كانت متوالية بين المصريين والفرس وأهل ما بين النهرين ، فإن حروبهم كلها دارت بينهم وحدهم في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، ولم يخطر لأحد منهم أن يحمل الحرب الى الحوض الغربي منه . ولما انشأ الفينيقيون مستعمرتهم المشهورة قرطاجة في القرن التاسع قبل الميلاد ، عند مدينة تونس اليوم ، ثم اتسعت وقويت وأزدهرت حتى فاقت أمها صور ، انقطعت كل صلة لها بأماها صور في الحوض الشرقي وأصبحت جميع حروبها تدور مع رومية على السيادة في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط . ومع أن اليونان والرومان قد حملوا لواء الحروب في الشرق والغرب معاً ، فإن امبرطورية اليونان كانت في الأكثر شرقية وامبرطورية الرومان كانت في الأكثر غربية .

والمسلمون هم الذين وحدوا حوضي البحر الأبيض المتوسط مدة طويلة من الزمن : وحدوه في الفتح ، فان جيوشهم التي فتحت في الشام والعراق هي التي تابعت الفتح في مصر وافريقية والمغرب الأقصى والأندلس وبلاد الفرنجة . وكذلك وحدوه في أول الأمر في الإدارة ، فان ولاية الأندلس ظلوا مدة يعينون من مصر أو من دمشق نفسها . ولقد كانت دعوى عبد الرحمن الداخل العظمى أن ملك بني مروان في الأندلس كان استمراراً لملكهم في الشام . أما في اللغة والدين والحضارة فان المغرب ما يزال الى اليوم مشرقياً في كل شيء . غير أن التاريخ وحده كان أحياناً ينفصل مجريين فرعيين أو أصليين . وظل الروم ، حتى بعد أن وحد المسلمون حوضي البحر الأبيض المتوسط ، يتبعون سياستين حربيتين اثنتين في ذينك الحوضين . لقد ظلت قوى المسلمين البحرية متكافئة في الحوضين بينما قوى الروم لم تكن كذلك . لقد كانت الحرب بين المسلمين والروم في الحوض الشرقي غارات متبادلة على الاسكندرية وقبرس ،

أما في الحوض الغربي فلم تكن كذلك ، كان المسلمون يغيرون على سردانية وسقياية من غير أن يستطيع الروم الأغارة على شواطئ المغرب (١) . وأخيراً في القرنين السابع والثامن للميلاد (الأول والثاني للهجرة) قسم الروم أسطولهم الحربي عمارات جعلوا ثلاثاً منها في الحوض الشرقي ، لاتساعه وتعدد سواحله ولاهميته بالإضافة الى قربه من بلادهم ، وجعلوا اثنتين منها فقط في الحوض الغربي (٢) .

ثم عاد حوضا البحر الأبيض المتوسط الى الانفصال ، حتى بالإضافة الى العرب أنفسهم . ولقد أخبرنا ابن خلدون طرفاً من ذلك في مقدمته (٣) . وكذلك حاول المسامدون المشاركة أن يستجدوا في أثناء الحروب الصليبية بأخوانهم المغاربة ، مرة في أيام يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ومرة في أيام المنصور الموحدي ، على ما سيأتي في مكانه بالتفصيل ، ولكن استجدادهم في المرتين لم يشعر .

وجاء الأتراك العثمانيون الى الشرق الأدنى في القرن الرابع للهجرة (القرن العاشر للميلاد) ثم اندفعوا يفتحون البلاد شرقاً وغرباً فما استطاعوا أن يتعدوا في فتوحهم الثابتة بلاد الحوض الشرقي ، الا وتبأت الى القطر التونسي والقطر الجزائري من المغرب لم تكن تحمل طابع الفتح الذي كان مأولفاً في ذلك الحين ، ولا كانت على كل حال كوثبات الرومانيين الوثنيين من قبلهم والصليبيين النصاري من بعدهم الى الشرق .

ولقد أصاب جورج سارطون لما رأى البحر الأبيض المتوسط منطقتة جغرافية تامة تنقسم وحدات صغيرة ، ثم رأى فيه تشابهاً واختلافاً في وقت واحد (٤) . ولكن هذا الذي رآه سارطون صدق في التاريخ على الجانب الشمالي

(1) Lewis 69 ff .

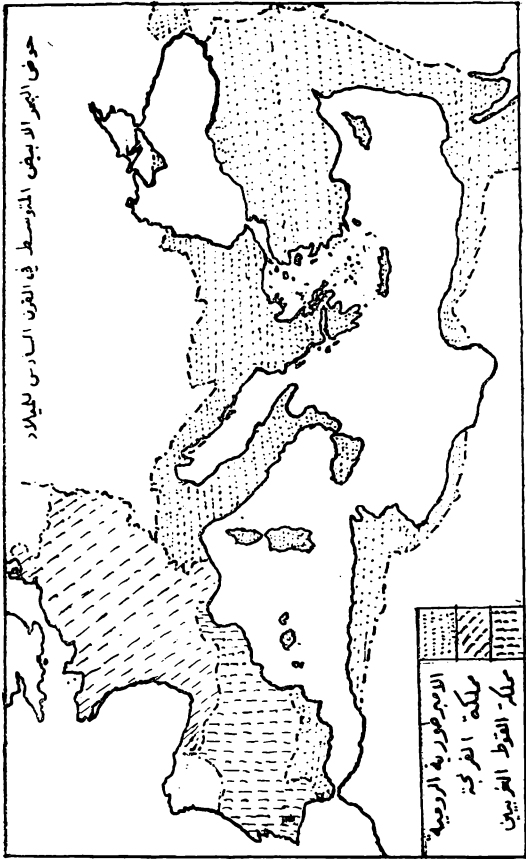
(2) Lewis 73 f .

(٣) راجع فوق ، ص ٨-٩ .

(4) George Sarton (d. March 22. 1956) .

« The Unity and Diversity of the Mediterranean »

OSIRIS, vol. II, pt. 9, Sept. 1936, pp. 404-440 .



حوض البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس الميلادي

	الامبراطورية الروسية
	ملكة الفرجية
	مملكة القوط الغربيين

الأوروبي المسيحي من البحر الأبيض المتوسط لا على الجانب الجنوبي الأفريقي المسلم . أما في الجنس فاننا نرى جميع الذين يعيشون على الجانب الجنوبي من البحر الأبيض المتوسط عرباً أو يقولون بالرجوع الى أصل عربي ، بينما سكان الجانب الشمالي أجناس لا يحصرهم العد . وكذلك اللغة العربية هي لغة الجانب الجنوبي من شرقه الى غربه ، سوى جماعات في القسم الغربي منه تتكلم النبريرية الى جانب العربية أو تعرف العربية لغة دينية على الأقل . ان هذا لا نجد على الجانب الشمالي حيث تتشعب اللغات أو تختلف أو تتنافر . وأما اذا جئنا الى الدين فاننا نرى الاسلام يسود الجانب الجنوبي ، على الرغم من جهود المبشرين المتضاربة في ذلك الجزء من العالم (١) . أما الجانب الشمالي فانه قد انقسم منذ أوائل عهد النصرانية شيعتين كبيرتين : الأرثوذكسية اليونانية والكاثوليكية الرومانية ، مع كثرة الشيع المتنافرة المتعادية فيهما كإيهما تنافراً وعداء بارزين جداً تناولوا العقيدة المسحية نفسها (٢) . ثم جاء الإصلاح الديني المسيحي والثورة البروتستانتية في القرن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد (التاسع والعاشر للهجرة) فأحدثا انقلاباً في الحياة الاجتماعية والعقلية في غربي أوروبا ، ولكن لم يكن لهما أثر البتة في بلاد الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . وليس من المستغرب أن تختلف خصائص الحضارة التي سادت في بلاد الحوض الغربي اختلافاً كبيراً من الحضارة التي سادت في بلاد الحوض الشرقي .

من أجل هذا رأيت أن أتناول في هذا الكتاب تاريخ الاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط بعددوتيه الجنوبية الأفريقية والشمالية الأوروبية : أتناول من العدة الأفريقية القطر التونسي والقطر الجزائري والقطر المغربي مع ما اتصل بتاريخ هذه الأقطار من تاريخ طرابلس الغرب في شرق تلك الأقطار ، ومن تاريخ المناطق الواقعة في جنوبها اذا اتصل التاريخان . أما من العدة الأوروبية فسأتناول تاريخ الأندلس وتاريخ ما دخل في ملك الأندلس ،

(١) راجع التبشير والاستعمار ، وخاصة ١٢٤ - ١٢٦ .

(٢) الثقافة الغربية ٢٧-٢٨ ، راجع تحت ، ص ٢٥-٣٧ ، ٥٢ وما بعدها .

بين الحين والحين ، من جنوبي فرنسة وشمالي ايطاليا والجزر المنتشرة في الحوض الغربي من البحر المتوسط : الجزائر الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة) وكورسيكة وسردانية وقوصرة ومالطة وصقلية .

ونظراً لأتساع المغرب فقد عرّفه قليلاً واختلط بتعريف افريقية . ذكر ياقوت (١) أن افريقية « بلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها الى قبالة جزيرة الأندلس » ، أي من مدينة طرابلس في ليبيا الى مدينة وهران في القطر الجزائري . ثم يمد ياقوت على الصنحة التالية تعريف افريقية فيجعلها (٢) « من طرابلس الغرب من جهة برقة والاسكندرية الى بنجاجة ، وقيل الى ملبانة . » ثم ذكر ياقوت نفسه على الصنحة نفسها أن افريقية تمتد من برقة الى طنجة طولاً (من الشرق الى الغرب) ، ثم من البحر الى السودان عرضاً (من الشمال الى الجنوب) . وهكذا يكون ياقوت قد جمع معظم شمالي افريقية في هذا التعريف . أما المغرب خاصة فجعله ياقوت (٣) « بلاداً واسعة حدّها من بلاد ملبانة - وهي آخر حدود افريقية - الى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط . وتدخل فيه جزيرة الأندلس » . وكذلك يقول ابن عذاري (٤) : « وبلاد الأندلس أيضاً من المغرب لاتصلها بها » .

قد عرفنا من قبل كيف جاء اسم المغرب فكيف جاء اسم افريقية ؟

ان الرومان بعد أن تغلبوا على قرطاجة القديمة ، قرطاجنة افريقية ، عام ١٤٦ ق.م . أطلقوا اسم افريقية على المقاطعة التي دخلت في حكمهم ، وكانت تتناول الأرض المحيطة يومذاك بمدينة تونس الحديثة ثم تمتد قليلاً الى الشرق . ولم يكن غريباً ان يتناول العرب هذا الاسم نفسه ، لما ورثوا الرومان والروم في

(١) ياقوت ١ : ٣٢٤ .

(٢) ياقوت ١ : ٣٢٥ ، راجع ١ : ٦٣ السطر الخامس وما يليه ، ٣٢٥ ، ٤ : ٥٨٣ ، Enc. Isl. III 108d.

(٣) ياقوت ٤ : ٥٨٣ .

(٤) البيان المغرب ١ : ٦ .

المشرق والغرب ، وأن يطلقوه على الأرض التي كان الرومان قد سمّوها به ؛ غير أننا قد لا نصل الى نتيجة مجدية اذا بحثنا عن معنى كلمة افريقية . زعم بعضهم (١) أنه اسم فينيقي ، أو سامي على كل حال ، وأن معناه « الرحلة » و « التنقل » . ولم أجد أنا في معاني « فرق » ما يدل على هذا (٢) : ولعل اسم « افريقية » جاء من الجذر « برق » الذي تتصل به أسماء أماكن كثيرة في آسية وفي افريقية : برقة (بضم الباء وفتحها) ، براق (بضم الباء وتسهيل الراء) ، براق (بفتح الباء وتشديد الراء) ، أبرق ، الابرقان ، أبارق ، أبراق (٣) .

وكما أن الخلاف موجود في تعريف المغرب فانه ملموح أيضاً في حد الأندلس وأصل اشتقاقها ومعناها : أن الأندلس تعرب كلمة فانداليسيا (فانداليسية) ، وهو الأسم (٤) الذي خلطته قبائل الفاندال (٥) الجرمانية لما استقرت نهائياً في القسم الجنوبي من شبه جزيرة إبارية (٦) أو ايبرية (اسبانية والبرتغال) . أما العرب فقد أطلقوا لفظ الأندلس على شبه جزيرة إبارية كلها ، أو على القسم الذي سيطروا عليه منها ، على الأصح (٧) : وقد رأينا أن ياقوت الحموي وابن عدياري مثلاً قد جعلوا الأندلس داخلة في المغرب (٨) ؛

(1) Isaac Taylor, p. 72, note 4.

(٢) راجع القاموس المحيط ، راجع الباب (في الآفة الآرامية والسريانية والكلدانية) لجرائيل للفرداحي ، في مادة « فرق » .

(٣) القاموس المحيط ٢١١:٣ - ٢١٣ .

(4) Vandalucia .

(٥) الفندال احد أفراد القبائل الجرمانية التي غزت غربي أوروبا في القرنين الرابع والخامس الميلاديين ثم استقرت في أماكن كثيرة من غالية واسبانية في الاكثر نحو ٤٢٨-٤٢٩ م ، ثم هاجر قسم منهم الى شمالي افريقية ، Oxford Dict., vol. X, part II, page 34 ، والكلمة « فندال » مأخوذة من لفظة هي في الالمانية اليوم Wandeln ، وفي الانكليزية Wend, Wander ومعناها كلها : الرحلة (Isaac Taylor, P. 72, note 4)

(٦) الروض المطار .

(٧) ياقوت ، ١ : ٣٧٦ ، Enc. Br. I 893d, Enc. IsI. I 349d ، ويبدو ان العرب

أطلقوا لفظ الأندلس على غير شبه جزيرة إبارية (ياقوت ١ : ٣٧٨) .

(٨) راجع ما قبل ، ص ١٦ .

ونرى نحن تسهيلاً للبحث أن نجعل أسماء المناطق الواقعة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وحدودها على الشكل التالي (١) :

١ - مِصر = من بحر القلزم (شمال البحر الأحمر) الى التخوم الشرقية لبرقة ،

٢ - بَرقة (بفتح الباء) = القسم الشرقي من مقاطعة لوبية (ليبيا) ، الى بينغازي .

٣ - افريقية = القسم الغربي من مقاطعة لوبية ، وتعرف اليوم بطرابلس الغرب وما يتصل بها من تونس .

٤ - المغرب = جميع البلاد وراء طرابلس الغرب الى المحيط الأخضر (الاطلنطي) ، ويقسم أقساماً ثلاثة هي على وجه التقريب :

أ) المغرب الأدنى = القطر التونسي الحديث ، ويعرف في المصادر عادة باسم افريقية .

ب) المغرب الأوسط = القطر الجزائري ولم يكن في العصر الذي نؤرخه قطراً مستقلاً بل كان بعضه تابعاً لافريقية (القطر التونسي) وبعضه تابعاً للمغرب الأقصى .

ج) المغرب الأقصى = القطر المغربي ، أو المملكة المغربية اليوم : والمشاركة والاوروبيون يسمون هذا القسم «مراكش» ، ولكن ينتج من ذلك وهم كثير . أن مراكش مدينة في جنوبي المغرب الأقصى . وقد يجوز أن ندعوتلك المدينة وما يحيط بها وما يترامى وراءها «مراكش» ولكن لا يجوز أن نسمي المغرب الأقصى كله مراكش .

٥ - الأندلس = وهو القسم الذي استولى عليه العرب من شبه جزيرة إيبارية ،

(١) راجع ياقوت ١: ٦٣ ، ٣٢٥ ، البيان المغرب ١: ٥ ، ٢: ٢ ، مقدمة ابن خلدون ٥٧ وما

Enc. Isf. II 453d - 454a.

(٢) ياقوت ٤ : ١٥٨-١٦١ .

٦ - جنوبي فرنسة : بين حائط إفرنجة (ساحل فرنسة الجنوبي على المحيط)
وبين وادي الروذون (نهر الرون) ، ثم بين جبال البُرت (البرانس)
ونهر اللوار . هذه البقعة الواسعة من الأرض الكبيرة (فرنسة) تتألف
من سهول في غربها ثم في جنوبها (أ كويتانية - حوض نهر الغارون)
ثم من الكتلة المركزية في شرقها الجنوبي :

٧ - ويدخل في الحوض الغربي ، من الناحية التاريخية المتعلقة ببحثنا على
الأقل ، الجانب الغربي الجنوبي من سويسرة ثم الشواطئ الشمالية الغربية
من شبه جزيرة ايطالية .

٨ - ويدخل فيه أيضاً الجزائر الشرقية (جزائر الباليار : يابسة ، ميورقة ،
منورقة) ثم جزيرة كورسيكة وجزيرة سرذانية (سردينية) ثم جزيرة
سقلية أو صقاية . وهناك أيضاً ، بالقرب من الشاطئ الأفريقي ،
جزيرة مالطة وجزائر أخرى أقل شأنًا .

العالم الوسيط

وتوزع البرابرة في أوروبا



لما ولد محمد رسول الله في عام الفيل ، ٥٧٠ م ، كان العالم - من اقصى الشرق الى اقصى الغرب - غارقاً في نزاع جنسي وسياسي وديني لم يستطع النجاة منه قط . وكذلك كان يسوده تفكك وانحطاط اجتماعيان وغفلة روحية . ولم يكن فيه من مظاهر الحياة سوى بقية من مدنية مادية سابقة تتعلق بآلة الحرب خاصة ويكاد يستبد بها الفرس والروم وحدهم . على أن هذه البقية من المدنية كانت من العوامل التي عجلت في القضاء على الامبرطورية الفارسية الساسانية وعلى الامبرطورية اليونانية الرومية (البيزنطية) بما كان فيهما من عناصر النزاع الداخلي بجميع وجوهه وبما توالى بينهما من الحروب . فاذا نحن أضفنا هذه العوامل من الضعف الداخلي الى قيام أمة فتية شجاعة تحمل عقيدة راسخة وإيماناً بالقضاء والقدر يتزع من نفوس أبنائها الخوف من الموت ثم يجمعها هدف واحد في جميع أحوالها : الجهاد في سبيل الله (أي في سبيل الأمة لا في سبيل نفر من أفرادها) لم نستغرب قط أن تنهار تلك الامبرطوريتان المفككتان - على قوتها - أمام العرب والاسلام انهاراً سريعاً تاماً .

أما شبه القارة الهندية فقد كانت من السعة وتنافر الأجناس واللغات بحيث لم يمكن توحيدها . كان فيها أهلها الدرافيديون السُمُر ، مقسمين فيها سياسياً

واجتماعياً ولغوياً ، حينما طرأ عليها الآريون البيض من الشمال ليزيدوا في تنافر حياتها اللغوية والاجتماعية والسياسية ، وليزيدوا في مشاكلها القديمة مشكلة جديدة : ذلك لأنهم أقاموا أنفسهم حكماً على السكان الأصليين فزادوا على أوجه النزاع القديمة وجهاً جديداً . وكان في الهند أربع طبقات اجتماعية : الكشاترية (طبقة الأشراف والفرسان الذين يَرَجِعُونَ بأنسابهم الى الفاتحين الآريين) ، والبراهمة (الحكماء ورجال الدين) ، والفايسيا (الزراع والفلاحون) ، ثم السودرا (الذين يحترفون المهن الدنيا وتتجنب سائر الطبقات مخاطتهم) . وكثرت في الهند الديانات وكان أشهرها المجوسية والبرهمية والجيونا والبوذية ، وكلها كانت قديمة . وفي أواخر القرن الرابع قبل الميلاد قاد الاسكندر المقدوني حملته على السند (غربي الهند) ففتحها عام ٣٢٧ ق.م. وقضى على وحدة ذلك الجزء منها . وسرعان ما انسحب الاسكندر من السند فقامت على أنقاض فتوحه فيها أسر محلية كثيرة تولت حكماً اقطاعياً دينياً (هندوكيا) دام ثلاثة قرون ثم زال لما فتح العرب السند سنة ٥٩٣ هـ (٧١١م) في العام الذي فتحوا فيه الأندلس .

والى شرق الهند تقوم الصين ، تلك البلاد الواسعة التي لم يمتزج تاريخها الاوّل بتاريخ العالم الا قليلاً . ففي النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد بني الامبرطور تشي هوانغ تي (٢٤٦-٢١٠ ق.م.) سور الصين المشهور ليرد عن بلاده قبائل من البرابرة كانوا يجوبون اواسط آسية ليجدوا مدى حيويًا لهم يعيشون فيه . ومع أن تشي هوانغ تي قد رد تلك القبائل (١) عن الصين ، فانه قد زاد في عزلة الصين عن العالم . وكان يسود الصين منذ القرن الخامس قبل الميلاد ثلاثة أديان هي الكونفوشية والطاوية والبوذية ، ولكن هذه كانت مذاهب عقلية أخلاقية أكثر مما كانت عقائد وعبادات : ولقد شهدت الصين في القرن الذي سبق ظهور الاسلام اضطراباً مريعاً لكثرة مانسأ فيها من الأمارات المتنازعة ، ثم عادت الصين الى ثبي من الهدوء والأزدهار . ويبدو أن الاسلام وصل الى

(١) يبدو أن هذه القبائل هامت في اواسط آسية مدة طويلة قبل ان يصل أفنادها الى أوروبا في لقرن الخامس للميلاد ، ولعلها هي القبائل التي يشار اليها باسم ياجوج ومأجوج (بالهمز وبالفتح) .

الصين في أيام الرسول نفسه ، فقد نزل وفد من المسلمين سنة ٧ للهجرة (عام ٦٢٨م) في مدينة كانتون ، في جنوبي غربي الصين ، ثم استقر افراده هناك .

التركستان وسكانها الاولون

التركستان هضبة واسعة متفاوتة الارتفاع تقع في أواسط آسية ويحدها من الشمال سيبيرية ، ومن الغرب بحر الخزر (قزوين) ، ومن الجنوب إيران والافغان وشبه جزيرة الهند ، ومن الشرق بلاد المغول وصحراء غوبي . وهي تقسم منطقتين : التركستان الغربية ثم التركستان الشرقية التي هي في الحتمية جزؤ من الصين يدعى اليوم سين كيانغ .

هذه الهضبة كثيرة التلال وفيها جبال ترتفع أحياناً الى نحو ثلاثة آلاف متر . وفيها أيضاً منخفضات تصل الى نحو مائة وخمسة وعشرين متراً تحت سطح البحر . ثم ان الجانب الشرقي من التركستان أكثر ارتفاعاً وانخفاضاً من الجانب الغربي وأكثر تفاوتاً .

وقد كان الآريون ، أسلاف الهنود والجرمان والصمالية ، يتزلون في فجر التاريخ في التركستان الشرقية ، وكذلك كان الهيطان (الهون البيض) يتزلونها في القرن الثاني قبل الميلاد .

الفرس والروم

لم يعرف العرب أمة كما عرفوا الفرس ، فقد عرفوهم منذ الجاهلية البعيدة : كان الفرس جيران العرب ، وكان طريق التجارة الفارسية عبر بلاد العرب : وكان للفرس نفوذ كبير في جنوبي بلاد العرب وفي شمالها معاً . ولقد استطاع الفرس في أيام الدولة الساسانية أن يستولوا على اليمن والعراق وان يبسطوا نفوذهم الفعلي على نجد ، حتى أنهم كانوا يقسمون المراعي بين القبائل الشمالية . غير أن الضعف عاد فذهب في الفرس فأخذ العرب يخلعون عنهم الزير الفارسي شيئاً فشيئاً . ففي مطلع القرن السابع للميلاد نشبت معركة ذي قار وانتصر فيها العرب على

الفرس لأول مرة في تاريخهم . ولم يضعف الفرس بالتزاع الداخلي فقط ، بل بالحروب المتوالية بينهم وبين الروم زماناً طويلاً . ولما جاء الاسلام لم يجد العرب صعوبة كبيرة في التغلب على العداء الفارسي ، ففي معركة القادسية سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) رد العرب الفرس عن العراق كله . أما بعد معركة نهاوند سنة ٢١ للهجرة (٦٤٢م) فقد فتحت فارس كلها أمام الجيوش العربية : ثم ان الفرس دخلوا في الاسلام مرة واحدة وزالت كل منافسة بين الأمتين الى حين :

على أن الأمة التي نشأ النزاع بينها وبين العرب مع ظهور الاسلام فهي الأمة اليونانية : وقد عرف العرب اليونانيين باسم اليونان والروم وبني الأصفر ، كما عرفوا الأغريق اسماً لهم . ولكن يبدو أنهم لم يعرفوهم باسم البيزنطيين .

جاء في القاموس (١) أن اليونان جيل انقرضوا . وزاد تاج العروس ذلك شرحاً فقال (٢) : « اليونان جيل انقرضوا ... قيل يونان جزيرة كان حكماء الروم ينزلون بها . » فنحن نلمح في هذا صحة النسبة ، فان أيونية أو يونيا تطلق على البحر المحيط ببلاد اليونان وعلى الجزر الموجودة فيه . ولهذا أطلق العرب كلمة يونان على اليونانيين القدماء ، فقد ذكر ابن عبد المنعم الحميري في كتابه الروض المعطار (ص ٣) هؤلاء فقال : « وفيها (٣) آثار عظيمة لليونانيين أهل الحكمة وحاملبي الفلسفة » . وقال ابن عبد المنعم في مكان آخر : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة (٤) ، بناه أركليش ، وهو هرقلس ، أصله من الروم الاغريقين ، وكان من قواد الروم وكبرائهم على زمن موسى عليه السلام ، وقيل أنه أول معدود للملوك اليونانيين (٥) .

(١) القاموس المحيط ٤ : ٢٧٩ .

(٢) تاج العروس ٩ : ٣٧٣ .

(٣) يقصد : في الاندلس .

(٤) يقصد جزيرة في الاندلس .

(٥) الروض المعطار ١٤٥ .

و بنو الأصفر هم الروم عامة ، أو ملوك الروم خاصة . جاء في القاموس (١) :
« وبنو الأصفر ملوك الروم » : أما تاج العروس فقال (٢) : « بنو الأصفر
للروم ، وقيل ملوك الروم » ثم استشهد على ذلك بقول عدي بن زيد :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذکور :

وهناك اشارات أدبية كثيرة تدل على أن بني الأصفر هم الروم البيزنطيون
عموماً ، فقد قال أبو تمام في قصيدته « فتح عمورية » : عن معركة عمورية :

أبقت بني الأصفر المصفر كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب :

أما أشهر الاسماء التي عرّف العرب بها سكان بلاد اليونان فاسم الروم :
قال الفيروزابادي (٣) : والروم جيل من ولد الروم بن عيصو ، رجل رومي ،
وجمعها روم ... وابن الرومي متأخر « (٤) . أما في القرآن الكريم ، فإن الروم
هم البيزنطيون (٥) : « غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبتهم
سيغلبون في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد ... » :

وأطلق العرب لفظة « روم » أيضاً على النصرانية ، جاء في تاج العروس (٦)
« ودخل في الروم طوائف من تنوخ و نهد و سُلَيْم و غيره من غسان كانوا
بالشام . فلما أجلاهم المسلمون عنها دخلوا بلاد الروم واستوطنوها فاختلفت
أنسابهم » . وكذلك أطلق العرب اسم الروم على أهل ايطالية ، وسموا جميع
سكان أوروبة النصارى في الأندلس والفرنجة وما وراءها روماً ، كما نسمي

(١) القاموس المحيط ٧١:٢ .

(٢) تاج العروس ٣٣٨:٤ .

(٣) القاموس المحيط ١٢٣:٤ ، راجع تاج العروس ٣٢٠:٨ .

(٤) الشاعر العباسي علي بن العباس بن جريج الرومي .

(٥) القرآن الكريم ، سورة الروم (٢:٣٠) .

(٦) تاج العروس ٣٢٠:٩ .

نحن جميع الغربيين فرنجة . أما كلمة أغريق للدلالة على أهل اليونان فنادرة في اللغة العربية . ان « غاريقون » أو « أغاريقون » لفظة يونانية تتعلق بالنبات ، كما في القاموس « (١) . وأما الكلمة **بيزنطيون** فلم يعرفها العرب .

البرابرة

البرابرة اسم أطلقه اليونان والرومان على جميع الشعوب سواهم ، ثم خصّصت به شعوب بدأت تنتشر في بساطت أوروبا منذ القرن الثالث للميلاد ، بعد أن كانت قد غادرت مواطنها الاصلية في أواسط آسية منذ فجر التاريخ في الأغلب؛ وليس من شأننا في هذا الكتاب أن ندرس أحوال هذه الأقوام يوم كانت لا تزال تعيش في مواطنها الاولى في شمالي شبه جزيرة الهند وفي سهول التركستان ، ولا أن ندرس تبدل ألوانها وقاماتها ولغاتها وعاداتها . ولكن يهمننا أن نعلم أن جموعاً من تلك الأقوام قد وصات الى شمالي أوروبا ولى تخوم أوروبا الشرقية قبل الميلاد بيضعة قرون .

ويبدو أن اليونان والرومان استطاعوا أن يردوا هذه الجموع البربرية المتوحشة عن تخوم امبرطوريتهيم : الامبرطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) والامبرطورية الرومانية الغربية زمناً طويلاً ، ثم قدروا أن يحولوا بين تلك الجموع وبين اجتياز نهر الطونة (الدانوب) الى شبه جزيرة البلقان ، واجتياز نهر الراين الى شبه جزيرة ايطالية والى غالية وما ورائهما . ولكن لما بدأ الضعف ينخر جسم هاتين الامبرطوريتين بالتآكل والتنازع وبالدهر ، منذ القرن الرابع للميلاد ، جرّوت تلك الجموع على الدنو من حدود الامبرطوريتين ومن اختراق تلك الحدود أيضاً .

أجناسهم وممالكهم

كان البرابرة أجناساً منهم الجرمان ، أكثر تلك القبائل عدداً وأعظمها أثراً

(١) القاموس المحيط ٣: ٢٧١ ، راجع تاج العروس ٧: ٣٤ .

في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى : ومن أشهر القبائل الجرمانية قبائل القوط الذين انحدروا ، منذ أواسط القرن الثاني للميلاد ، من مساكنهم يومذاك على شواطئ نهر الفستولا (١) الى سهول أوكرانيا ، شمال البحر الأسود . وهنا انقسم القوط قسمين :

(أ) قبائل عرفت باسم « ترفينغي » (سكان الغابات) ، الذين عرفوا فيما بعد باسم القوط الغربيين .

(ب) قبائل عرفت باسم « غروتونغي » (سكان السهوب أو السهوب – السهول الواسعة) ، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم القوط الشرقيين .

وكان نهر الدنيستر يفصل بين مساكن الفريقين .

وكان مقام القوط الغربيين بين مصب نهر الدنيستر ومصب نهر الدانوب ، على حدود البلقان مباشرة ، سبباً لنشر الدين المسيحي بينهم ، ولكن على يد الدعاة الأروبيين ، ولذلك تقبل القوط الغربيون المذهب الأروبي . والمذهب الأروبي أوجده الأسقف الاسكندري أريوس ، في عام ٣١٠ م . هذا المذهب يجعل المسيح انساناً كاملاً وينفي عنه الألوهية ويقول بأن الله خلقه من لا شيء . :

وصولهم الى غربي أوروبا

في مطلع القرن الخامس للميلاد كان عدد من القبائل الجرمانية قد انتشر في غربي أوروبا : في غالية وإبارية . أما الفاندال فكانوا قد انحدروا من مساكنهم ، بين نهر الفستولا ونهر الاودر (٢) ، الى المنطقة التي تعرف اليوم باسم بايرن (بافاريا) ، جنوبي شرقي ألمانيا . ثم أنهم جاءوا الى غالية وإبارية . وفي ابارية

(١) الفستولا نهر بولونية ، وتقوم عليه فرسوفية عاصمة بولونية .

(٢) الاودر Oder نهر في شرقي ألمانيا ، يفصل اليوم بين شمالي ألمانيا وشمالي بولونية .

سكن الفاندال في منطقتين : في رقعة ضيقة من شمالي غربي ابارية وفي رقعة واسعة من جنوبي ابارية ، بين نهر آناس (وادي آنه) وبين الشواطئ الجنوبية على البحر المتوسط والمحيط الاطلنطيقي . وعلى هذه الرقعة خلع الفاندال اسمهم فاندالوسية (أندالوسية ، الأندلس) . وكذلك كان السوابيون (١) ، وهم شعب جرمانى أيضاً ، قد نزلوا في شمالي غربي إبارية ، جنوب منازل الفاندال الشمالية :

التوط الغربيون في ايطالية

أما التوط الغربيون فكانوا لا يزالون في شرقي أوروبا ينازعون أباطرة المشرق (الروم البيزنطيين) ، فقد هاجموا البلقان وخاضوا مع الروم معركة أدريانوبوليس (أدرنة) ، عام ٣٧٨ م ، وانتصروا عليهم . وفي هذه المعركة خسر الامبرطور والنس صريعاً فخلفه على عرش القسطنطينية ثيودوسيوس الكبير (٣٧٩-٣٩٥ م) . ولكن التوط الغربيين كانوا يزدادون مع الأيام قوة . وفي العام الذي توفي فيه ثيودوسيوس وانقسمت الامبرطورية الرومانية عملياً قسمين شرقياً وغربياً ، وكان ذلك من علامات تطرق الضعف اليها ، قدم التوط الغربيون للرئاسة عليهم زعيماً منهم اسمه ألاريك (٣٩٥-٤١٠ م) . ثم أخذوا يبحثون عن أرض يستقرونها فيها لينشئوا عليها ملكاً لهم . وتغلب التوط الغربيون على الروم في البلقان مراراً ، ولكنهم كانوا يودون دائماً النزول في ايطالية نفسها . وقطع ألاريك بقومه الألب ، عام (٤٠١ م) ، وسار على رومية . ولكن الرومان أقنعوه بالرجوع عنها بعد أن خلعوا عليه لقب « قائد الجند » وعقدوا معه معاهدة . فانسحب ألاريك من ايطالية ليعود اليها بعزم أشد في صيف ٤٠٣ م وليغزوها ويقضي على سلطانها . ولكن ألاريك توفي في ذلك العام نفسه فخلفه زعيم آخر اسمه أدولف كان صيهرراً لألاريك . وسار أدولف بقومه ، عام ٤١٢ م ، حتى نزل في أكرينائية الصغرى (جنوبي غربي غالية) . وكان الحكيم

(١) السوابين او الشوابين قبائل جرمانية عرفت مساكنها منذ القرن الثالث للميلاد ، في جنوبي غربي ألمانيا بين نهر الراين ونهر النيكر Necker ونهر الطونة .

في القوط الغربيين لا يزال الى ذلك الحين رئاسة بالعصبية ، ولم يكونوا قد أسسوا لهم دولة بعد . وفي عام ٤١٤م دخل القوط الغربيون الى إبارية .

وتوفي أدواف في آخر عام ٤١٥م فاستبد بالأمر بعده فاليا (٤١٥-٤١٩م) وأسس للقوط الغربيين دولة جعل عاصمتها تولوز (٤١٩م) ، في غالية . ولما رأت رومية أن القوط الغربيين قد قوّوا كثيراً وأصبحوا لها مصدر قلق دائم لم تجد بداً من مصانعتهم والرضا باستسلامهم فأقرتهم على النزول في أكويتانية الصغرى على أن يتخاؤوا عن سائر الأراضي التي كانوا قد استولوا عليها .

القوط الغربيون في إبارية

وكان من حسن حظ القوط الغربيين ، في ذلك الحين ، أن كان عليهم ملك قدير هو ثيودوسيوس الاول (٤١٩-٤٥١م) . وحاسن ثيودوسيوس السوابيين وأقتسم معهم السيطرة على شبه جزيرة إبارية . ثم انه سكت عن استيلائهم على منازل الفاندال الشمالية ، بينما كان هو يتوسع في الجنوب ويدفع الفاندال عن شبه الجزيرة كلها .

الفاندال في افريقية

وفي أيام غوندياريك بن غوديغيسل (٤٠٦-٤٢٨م) ، ملك الفاندال ، اشتد ضغط القوط الغربيين في إبارية على الفاندال ، وأخذ الفاندال منذ ذلك الحين بمغادرة إبارية فتراوا، أول ما تراوا، في الجزائر الشرقية (٤٢٣م) . فلما توفي غوندياريك خلفه أخوه غايسيريك أو غانسيريك (٤٢٨-٤٧٧م) .

في هذه الاثناء كان النزاع يعصف في الامبرطورية الشرقية كما كان الضعف قد أقعد الامبرطورية الغربية : كان النزاع الديني بين الاربوسيين وبين الكنيسة الجامعة (١) على أشده في كل مكان ، في شرقي أوروبا وفي غربها . وكان

(١) يقصد بالكنيسة الجامعة القائلون بأن المسيح هو الله بالذات ، خصوم الاربوسيين .

الوطنيون من أهل افريقية ثائرين على الامبرطورية الغربية فتوقف ورود القمح الأفريقي الى رومية وهُدِّدت رومية بمجماعة : ثم ان نظام الدفاع الروماني كان قد ضعف مع شيخوخة رومية . ويبدو فوق ذلك كله أن نزاعاً نشبَ بين بونيفاسيوس ، الحاكم العسكري في افريقية ، وبين والتينيان الثالث امبرطور رومية (٤٢٥-٤٥٥م) . فيقال (١) ان بونيفاسيوس عمد الى استدعاء غايسيريك للنزول في افريقية ، إغاضة لوالثينيان :

وفي أيار من عام ٤٢٩ أبحر غايسيريك من يوليا ترادوكتا (جزيرة طريف) في نحو ثمانين ألفاً من قومه ، فيهم نحو ألف وخمسمائة مقاتل . ويبدو أن بونيفاسيوس قاومهم ، في المغرب الاوسط ، بجيش جمعه على عجل (٤٣٠م) ، أو رثاءً . وأستطاع غايسيريك أن يستولي على الشاطئ الأفريقي ، ولكن إيبسو ريغوس (بونة ، عنابة) ، وكيرتا (قسنطينة) وقرطاجة ظلت في سلطان الرومان . وقد كان للقديس أغوستينوس ، الذي توفي في ٢٨ آب من عام ٤٣٠ ، في أثناء حصار بونة ، أثر كبير في إطالة المقاومة في تلك المدينة — ولا غرو فانه كان كاثوليكياً كالرومان ، بينما الفاندال كانوا أريوسيين . ومع أن الفاندال فقدوا عدداً كبيراً من قومهم في هذه المغامرة ، فانهم قاصروا حكم الرومان عن افريقية . ووجد الامبرطور والتينيان نفسه عاجزاً عن رد الفاندال فعمد معهم معاهدة (١١ شباط ٤٣٥) أقرهم فيها على النزول في المغرب على أن يتطوعوا في جيش الامبرطورية .

واستقر الفاندال في المغرب واتخذوا بونة عاصمة لهم . ولم يتمكن الرومان من فرض نصوص معاهدتهم على الفاندال ، للضعف الذي كانوا فيه ، فهاجم غايسيريك قرطاجة وفتحها (١٩ تشرين الاول ٤٣٩) من غير أن يلتقى مقاومة تذكر . وأعلن غايسيريك نفسه ملكاً في قرطاجة واتخذها عاصمة له . ثم انه تشدد في سياسته الدينية فأبعد الكاثوليكين من الاشراف ورجال الدين عن البلاد

(1) Cf. Camb. Med. Hist., I 305.

واستعبد العامة من الكاثوليكيين ممن لم يرضوا مغادرة البلاد أو لم يكونوا قادرين على مغادرتها . وكذلك صادر غايسيريك أموال الكاثوليكيين وأملاكهم وأعطاهم للارويسيين .

وفي عام ٤٤٠م هاجم غايسيريك جزيرتي سرذانية وسقلية ، فبعث الروم ابيز نطيون أسطولاً لاستئذاهما منه . فلما وصل ذلك الأسطول الى سقلية اضطرت الروم الى رده لأن الهون والفرس كانوا قد أخذوا يهاجمون تخوم الامبرطورية ، ثم اضطروا والتينيان الثالث الى عقد معاهدة جديدة مع غايسيريك (٤٤٢م) يعترف فيها بسيادة الفاندال الكاملة على الشاطئ الأفريقي .

وعاد القوط الغربيون الى محاسنة الفاندال والسوايين ، فقد أعطى ثيودوريك احدى بناته الى هاينريك بن غايسيريك (٤٤٢م) كما أعطى بنتاً أخرى من بناته الى ملك السوايين ، وذلك قبل موته بعامين فقط .

أما العداوة بين الفاندال والامبرطورية الغربية فكانت في ازدياد ، ففي عام ٤٥٥م اقتحم غايسيريك مدينة رومية وأباحها لجنده أربعة عشر يوماً . وفي العام التالي استولى على جزيرة سرذانية ، ثم استولى على جزيرة كورسيكة في عام ٤٦٩م

سقوط رومية

في هذه الأثناء كانت الامبرطورية الرومانية في الغرب قد ضعفت وتوالى على عرشها أباطرة ضعاف كسالى فأخذ القادة الجرمان يعزلون منهم من شاءوا ويوانون من شاءوا . وكان في الحرس الامبرطوري المرابط في رافننا (١) قائد من الجرمان اسمه أدوفاكر (٢) : ورأى أدوفاكر حال الأباطرة والامبرطورية فخرج رومواوس أغوستولوس آخر أباطرة الرومان وأعلن نفسه ملكاً في ايطالية ، عام ٤٧٦م ، ثم كتب الى زينون (٤٧٤-٤٩١م) امبرطور القسطنطينية يخبره بما فعل ويقر بسلطته عليه . فلم يجد زينون بداً من اقرار أدوفاكر على عرش رومية

(1) Ravenna .

(2) Odoacer, Odowakar, Otacher.

كراًها . وهكذا انقسمت أوروبا قسمين اثنين : قسماً شرقياً هو الامبرطورية البيزنطية ، وقسماً غربياً نشأت فيه الدول الجرمانية المختلفة التي كانت منها الدول الأوروبية الحديثة . وهكذا كان عام ٤٧٦م تاريخاً لسقوط رومية ولانقراض الامبرطورية الرومانية الغربية ولنهاية العصور القديمة وبدء العصور الوسطى .

مقتل آدوفاكر

وحكم آدوفاكر مملكته بعد سقوط رومية بالعدل والحلم ثم وسع رقعة ملكه لما استولى على دالماسية ، على الساحل الغربي من شبه جزيرة البلقان . وهال ذلك الامبرطور زينون فدفع ثيودوريك زعيم القوط الشرقيين الى الهجرة بقومه من شبه جزيرة البلقان الى ايطالية وعينه حاكماً عسكرياً عليها . وهكذا يكون زينون قد تخلص من القوط الغربيين وخلق لخصمه آدوفاكر منافساً قوياً ، وذلك في عام ٤٨٨م . وفي العام التالي اشتبك آدوفاكر وثيودوريك في حرب انهزم فيها آدوفاكر فلجأ الى مدينة رافنا وكانت حصينة جداً . وبعد حصار دام عامين ونصف عام اضطر آدوفاكر الى الاستسلام فاستأمن من ثيودوريك : ولكن ثيودوريك غدر بآدوفاكر وذبحه بيده ، في منتصف آذار من عام ٤٩٣ ، ثم تتبع أصحابه بالقتل واحداً واحداً .

اضطراب أحوال الفاندال

لما توفي غايسيريك ، ملك الفاندال ، في ٢٥ كانون الثاني (يناير) من عام ٤٧٧ ، لعبت الفوضى في مملكته زمناً طويلاً . ويرجع السبب الأول في ذلك الى أن الایمازیغین (١) الذين لم يكونوا راضين على حكم الرومان لم يرضوا أيضاً عن حكم الفاندال . ففي عام ٥٢٥م ، في أيام هيلديريك (٥٣٤-٥٣٠م)

(١) «الایمازیغین» كلمة بربرية معناها «الاحرار» ، وهو الاسم الذي كان يطلقه أهل المغرب على أنفسهم ولا يزالون .

استطاع الایمازیغن أن يستعيدوا ساحل طنجة وأن یجموا جنوبي المغرب الأوسط كله . وانهزم هیلدیریک أمام الایمازیغن هزائم منكرة .

وأثارت هذه الهزائم نبلاء الفاندال فخلعوا هیلدیریک وقدموا علیهم زعیماً أسمه غیلیمیر (ويقال غلمار وغیلیمیر) . فخلع غیلیمیر هیلدیریک وألقاه فی السجن ثم ملک مکانه . واستجد هیلدیریک بیوستینانوس الاول (۵۲۷-۵۶۵م) فان هیلدیریک کان مشایعاً للروم وعلی مذهبهم ، بینما غیلیمیر کان أریوسياً ، وأراد بیوستینانوس أن ینجد هیلدیریک لأنه کان یطمع فی استرداد المقاطعات الی کان قد تساقطت من الامبرطورية الرومانية فی غربی أوروبا وشمالی افريقية تحت سنابک البرابرة الجرمان . ولكن الاضطراب الی کان سائداً یومذاك فی الامبرطورية الشرقية حال دون ذلك . ثم ساءت حال القسطنطينية خاصة ونشبت فیها فتنة ، عام ۵۳۲م (من ۱۱ - ۱۸ كانون الثاني) ، سقط فیها ثلاثون ألف قتیل علی الأقل (وقال بعضهم بل خمسون ألفاً) . ورأى بیوستینانوس أن الأمر قد خرج من یدیه وأن ملکه زائل لا تحالة ، فأراد أن یهرب من القسطنطينية ناجياً بنفسه : غیر أن زوجته ثیودورا ثبتته واستثارت نخوته حتی عزم علی التمكن لنفسه ولعرشه .

ولما هدأت الحال فی القسطنطينية عاد بیوستینانوس الی التفكير بشمالی افريقية وبهیلدیریک وغیلیمیر ، فأرسل حملة علی شمالی افريقية ، عام ۵۳۳م ، بقيادة أعظم قواده بلیساریوس : فانهزم غیلیمیر ثم استسلم (آذار ۵۳۴) ، وقُضیَ یومذاك علی مملكة الفاندال .

علی أن القضاء علی مملكة الفاندال فی شمالی افريقية لم یرد شمالی افريقية الی الامبرطورية الرومانية الغربية ولا جعل شمالی افريقية تستقر تحت سلطان الامبرطورية الرومانية الشرقية . ذلك لأن الایمازیغن استمروا فی ثوراتهم علی الروم . ومع أن الروم قد حاولوا اخضاع الایمازیغن فی فترات مختلفة ، فی ۵۳۸م ، ۵۳۹-۵۴۴م ، ۵۴۶-۵۴۸م ، فانهم لم یستطیعوا أن یفرضوا علی شمالی افريقية سوى ظل خفیف من سلطانهم ، وعلی عدد قلیل من المراكز الساحلية فقط .

تسبط القوط الغربيين في ابارية

لما وثب ثيودوريك الأكبر ملك القوط الشرقيين في ايطالية على آدوفاكر وذبحه أصهر الى الفرنجة فتزوج بنت ملكهم كلوديفيك (كلوفيس) ، وقيل بل أخته (١) . وقد غل هذا التقارب بين القوط الشرقيين وبين الفرنجة يد الرومان ثم مكّن القوط الغربيين من التوسع في غربي أوروبا ، اذ استطاعوا في مطلع القرن السادس للميلاد أن يحتلوا بقيادة زعيمهم الاريك الثاني (٤٨٤-٥٠٧م) معظم ابارية . ولكن سرعان ما بدأ النزاع بين الفرنجة وبين القوط الغربيين . وأخذت مملكة القوط الغربيين تتسع في ابارية وتضيق في افرنجة حتى تقلصت عن افرنجة كلها الا رقعة صغيرة على ساحل البحر الأبيض . وحاول الفرنجة التقدم الى ابارية ولكن القوط الغربيين ردوهم . وفي عام ٥٠٧م نشبت معركة بين كلوفيس ملك الفرنجة وألاريك الثاني ملك القوط الغربيين في فوغله أو فوييه (٢) قرب بواتيه سقط فيها ألاريك الثاني صريعاً . واستولى الفرنجة على ما كان قد بقي للقوط الغربيين من الأرض في غالية واحتلوا عاصمتهم تولوز ، فنقل القوط الغربيون عاصمتهم الى طليطلة .

وكان لا يزال للروم البيزنطيين سلطان خفيف على عدد من المدن الساحلية والداخلية في ابارية ، فجعل القوط الغربيون ينتزعون منهم تلك المدن واحدة واحدة ، كما ضموا اليهم (٥٨٥م) مملكة السوابيين . وهكذا تمّ في أيام ليوفيجيلد (٥٧٣-٥٨٦م) توحيد المملكة القوطية .

الفرنجة في غالية

بدأت غزوات البرابرة لغالية في القرن الرابع للميلاد غزاها القوط الغربيون والفاندال والهيطل (اهون) ، ثم غزاها الفرنجة في القرن الخامس .

(1) Enc. Br. 26:799.

(2) Vouglé, Vouillé, Vgl. Der Grosse Brockhaus I 141 .

وأقام ميروفيك مملكة للفرنجة في غالية عام ٤٤٨ م . ثم لما توفي (٤٥٨ م) خلفه ابنه شيلديريك . وجاء بعد شيلديريك ابنه كلوديفيك - ويسميه العرب قلوديه (١) والفرنسيون كلوفيس - وحكم واحدة وثلاثين عاماً (٤٨١-٥١١ م) . وقاتل كلوديفيك الرومان كما قاتل بعد ذلك القبائل الجرمانية النازلة في غالية : قاتل الالمانتي والبورغنديين والقوط الغربيين ، ثم وحد الفرنجة وحكم غالية كلها وأسس فيها المملكة الفرنجية . وصبأ كلوديفيك الى النصرانية وتقبل المذهب الكاثوليكي من أول أمره ، قيل باغراء من امرأته قلوطلد (٢) - أو كلوتيلد . ولما مات كلوديفيك تقسم ابناؤه الأربعة مملكته . وأشهر أقسام المملكة الفرنجية بعد كلوديفيك :

- (أ) نوسترية (المملكة الغربية) ، وكانت تقع ما بين نهر اللوار ومقاطعة بريطانيا ، وما بين بحر المانش ونهر الموز .
(ب) أوستراسية (المملكة الشرقية) ، أو الجزء الشمالي الشرقي من غالية ، وكانت عاصمته مدينة متر (قاعدة اللورين) .

وتنازع ابناء كلوفيس وأحفاده وتحاربوا فقوي النبلاء في ممالكهم ، ثم أصبح رؤساء النبلاء حجاباً في بلاطات منوك الفرنجة . ثم ان هؤلاء الحجاب أخذوا يستبدون بالحكم شيئاً فشيئاً الى أن حجروا على الملوك مرة واحدة وأصبح الحكم لهم على الحقيقة ولأولئك الملوك على المجاز .

الهيطل (الهون)

الهيطل جموع آسيوية تتصل بأسلاف المغول والأتراك في النسب البعيد . والهيطل قوم قصار أشداء قساء عتاة .

وفي أواسط القرن الرابع للميلاد كان الهيطل قد استقروا على التخوم الشرقية من قارة أوروبا : ثم انهم هزموا القوط الشرقيين وسائر القبائل الجرمانية في

(١) و (٢) الروض المطار ٢٧ .

شرقي أوروبة واندفعوا غرباً حتى استقروا على الدانوب وبنوا امبرطورية امتدت في القرن الخامس للميلاد من جبال القوقاس ونهر الدانوب الى بحر البلطيق في الشمال :

وتمت قوة الهيطل في أيام زعيمهم أتيل (445-453م) الذي قطع بهم نهر الراين وسقط على إفرنجة . ولكن ميروفيك ملك الفرنجة تحالف مع القوط الغربيين وهزم الهون في معركة شالون (1) ، عام 451م .
وأستطاع الهون أن يصلوا ، في عام 558م ، الى أسوار القسطنطينية .
غير أن امبرطورية أتيل تقطعت بعد موته إرباً .

أواخر أيام القوط في أبارية

وبدأ عامل جديد من عوامل الضعف ينخر في جسم المملكة القوطية ، ذلك هو النزاع الديني . في أواسط القرن السادس للميلاد كان على عرش القوط في ابارية ملك اسمه أخيل (549-554م) ، وكان في أيامه نبيل اسمه اتاناغيلد (اتاناخيلدو) يطمع بأن يعصب رأسه بالتاج . فلم يرَ اتاناغيلد أهون من أن يُسِرَ المذهب الكاثوليكي ثم يستنجد بيوستينانوس على أخيل الاربوسي المذهب . وأرسل يوستينانوس جيشاً رومياً الى ابارية ، عام 554م ، دحر أخيل بمساعدة اتاناغيلد ورفع اتاناغيلد على العرش ثم أعاد سلطان القسطنطينية على عدد من مدن الجنوب الساحلية والداخلية (2) . ولكن اتاناغيلد لم يبرض عن محاولة الروم لاسترداد سلطانهم على ابارية فأخذ يحاربهم . ولما توفي اتاناغيلد في عاصمته طليطلة ، في أواخر عام 567م ، ظل العرش بعده خالياً - بما تبع موته من النزاع - الى ربيع عام 568م ، أو الى صيف ذلك العام . وتسم عرش القوط الغربيين ابن لاتاناغيلد اسمه ليُوفَا أو لُوِيْنَا . ولكن ليوفَا لم يستطع أن يحكم البلاد حكماً مطمئناً واخوته ينازعونه . فقبل أن يشرك معه في الحكم ، في آب من عام 569م ،

(1) تقع شالون على نحو 150 كيلومتر من باريس جنوباً في شرق .

(2) Cf. Bréhier, i 30, Historia de Espana 95-96.

أخاً له أسمه ليوفيجيلد ، ثم تخلى له عن إبارية كلها، اي عن جزئي المملكة ، وفتح هو بالقليل الذي كان قد بقي للقوط في جنوبي غالية . ومات ليوفا في عام ٥٧٣ م وخلص الملك لأخيه ليوفيجيلد .

وحمي وطبس النزاع الديني في إبارية ، ولكن وراء ستار شفيف من السياسة . كان القوط الغربيون أقلية أريوسية تعيش في بحر من الجموع الكاثوليكية . ان الرومان أصحاب الامبرطورية كاثوليك ، وجيران القوط من الشرق وخصوصهم كانوا كاثوليكاً . والفرنجة جيران القوط في الشمال وأعدائهم اللداء كانوا كاثوليكاً منذ اليوم الذي اعتنقوا فيه النصرانية . وكذلك كان كثيرون من سكان إبارية ، ممن كانوا من أصل رومي أو روماني أو من سكان البلاد الاصلين ، كاثوليكاً . وفي أيام أтанаغيلد صبأ الملوك السوابيون الى المذهب الكاثوليكي . لقد كان ذلك كله من أقوى الأسباب التي دفعت اتاناغيلد الى أن يؤامر نفسه في اعتناق المذهب الكاثوليكي تخفيفاً لعداوة جيرانه وتزلفاً الى أباطرة الروم وباباوات رومية في سبيل غاياته السياسية .

في هذا الجو الخائق من التزايعن الديني والسياسي كان ليوفيجيلد قد تزوج ثيودورا بنت سابرانو ، وكانت كاثوليكية ، فرزق منها ولدين : هرمانينغيلد وريكاردو اللذين نشأا أريوسيين على مذهب أبيهما . ثم ماتت ثيودورافتزوج ليوفيجيلد غوثسبتا (أو غودسفتنا) أرملة أтанаغيلد ، وكانت أريوسية متحمسة . وثار النزاع في البلاط لما تزوج هرمانينغيلد ، عام ٥٧٩ م ، إنغونديس بنت ملك اوستراسية الفرنجي زيفريرت ، وكانت كاثوليكية . لقد كانت الحماة غوثسبتا تصر على حمل الكنة على اعتناق الأريوسية ، بينما كانت الكنة تحاول التأثير على زوجها ليصبأ الى الكاثوليكية . وأراد ليوفيجيلد أن يتخذ ابنه من هذا الجحيم فبعث به حاكماً على اشبيلية . وكان المذهب الكاثوليكي غالباً على منطقة اشبيلية ، فاجتمع الجو الكاثوليكي مع رغبة الزوجة - وربما مع التلويح له بأن يتولى الملك وشيكاً أيضاً - فانقلب هرمانينغيلد كاثوليكاً . وفعلاً أعلن هرمانينغيلد نفسه ملكاً في جنوب إبارية وحالف الروم ثم عقد العزم على محاربة أبيه . وغيط

الوالد ثم دبّر مقتل ابنه ، في ١٣ نيسان ٥٨٥ ، في حديث طويل . وفي العام التالي توفي ليوفيغيلد نفسه .

وغبر بعد ذلك نصف قرن من الدهر تعاقب فيه على عرش القوط ثمانية ملوك امتلأت أيامهم بالمنازعات الدينية بين الكاثوليك والاروسيين ، وبالتراع على العرش ، وبالاضطهاد الاجتماعي لليهود خاصة . في هذه الاثناء جاء سوثتيلا الى العرش عام ٦٢١م (قبل الهجرة بعام واحد) . ومع أن سوثتيلا كان أول ملك توحدت ابارية في أيامه ، فان القوط خلعوه في عام ٦٣١م (قبل وفاة الرسول بعام واحد أيضاً) ؛ وأقاموا مكانه ملكاً اسمه فامبا . غير أن الاضطراب استمر . ثم نهض في الشمال نبيل اسمه باولو تسمى بالملك ولم يتحوب من أن يستعين بالفرنجة على قومه . في هذه الاثناء ، في أيام عبد الملك والوليد ، كانت الجيوش العربية قد وصلت الى المغرب وأخذت تتحفز للوثوب على القوط من الجنوب .

ونقم رجال الدين والنبلاء على فامبا وخلعوه ثم ردوا الى العرش وارثاً من أسرة كنداسبنتو يدعى ارفيغ (ارفيغليو ، اربيجيو) عام ٦٨٠م . واشتط ارفيغ في معاملة أنصار فامبا ، ثم عزم على استئصال اليهود من ابارية وحمل قوماً منهم على الصبوء الى النصرانية بالقوة وأخضعهم لمراقبة دقيقة حتى يعرف مقدار ولائهم لدينهم الجديد . أما الذين لم يكونوا قد صبأوا الى ذلك الحين فأعطاهم مهلة عام واحد آخرها أول شباط من عام ٦٨٢ حتى يصبأوا . ومع ذلك فان سياسته هذه كانت أرحم من قوانين ريسفنت (٦٤٩-٦٧٢م) لأنه لم يأمر بقتلهم . وقبل أن يتوفى ارفيغ (٦٨٧م) سمى أخيكاً ، أحد أقرباء فامبا ، خلفاً له . ولكن القلاقل والمؤامرات في البلاد استمرت واتسعت . ورأى أخيكاً ، جرياً على عادة ملوك القوط ، أن يشرك ابنه غيطشة معه في الحكم (٦٧٨م) . فلما توفي أخيكاً (٧٠٢م) استمر غيطشة في حكم البلاد وحده ، وكان شاباً حليماً ليناً ففعا عن كثيرين من الذين كادوا لأبيه أو اضطهدوه . ولم يَخْطُ غيطشة في أثناء حكمه خطوة الا كان فيها ضربة تتزل بالمملكة القوطية ، فان الفتن والمكائد لم

تقطع في أيامه قط : ولعل أعظم كارثة حلت بالمملكة القوطية على يده كانت خلافته مع أوربان ، سيد افريقية الطنجية وصاحب سبته في افريقية والجزيرة الخضراء في الأندلس (١) .

كان أوربان هذا - والعرب يسمونه بليان (٢) ، والشعراء الأسبان يدعونه الكونت خوليان (٣) - بربرياً من قبيلة عُمارَة وعلى المذهب الكاثوليكي . وكان أوربان قد دافع العرب عن شمالي افريقية دفاعاً شديداً ، ثم رأيناه يستسلم في أوائل سنة ٥٩٠ هـ (مطلع عام ٧٠٩ م) لموسى بن نصير فجأة . ونحن لا نعلم سبباً لذلك (٤) : أهو خلاف سياسي أو ديني ، أم هو انقطاع للمدد عنه من قبيل غيطة لفقر الدولة أو لاضطراب جبل الأمن فيها وللنزاع الداخلي على العرش ؟ أو لعل سبب ذلك ما يحكى عن لذريق من أنه فضح أوربان في ابنته ، وذلك - إن صححت الرواية - بغيطة الشاب أليق !

واختلف المؤرخون في موقفهم من غيطة (٥) : فقومه يذكرون عهده بالسوء . أما العرب فيصفونه بالحسنى والعدل والادارة الحكيمة . وتوفي غيطة في أوائل عام ٧١٠ م (٥٩١ هـ) ، فخلقت وفاته فوضى لا أمل في السيطرة عليها . ولقد حرصت أرملة غيطة على أن ترد الملك الى أحد أبنائها آخيل . ولكن نفراً كثيرين من النبلاء القوط لم يرضوا بآخيل (ربما لسوء سياسة أبيه ولينه وللفوضى التي نبتت في أثناء حكمه) فاختروا نبيلاً أسمة لذريق (أو رودريق) ليلسي الملك على القوط . وكان لغيطة أخ أسمة أبناً (أو باس) كان غيطة قد جعله أسقفاً على اشبيلية . فوقف أبناً في جانب ابن أخيه آخيل وفي وجه لذريق .

(١) ابن فتحون مصر ٢٠٥ ، البيان المغرب ٢ : ٤ .

(٢) فتحون مصر ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، أخبار مجموعة ٥ ، البيان المغرب ٢ : ٤ .

(٣) Don Julián, cf. Historia de Espana, tomo III, pp. LI, LII, LIV, 136

(٤) Historia de Espana, t. III, p. LII.

(٥) لعله وعشندش الذي ذكره ابن عذاري (البيان المغرب ٢ : ٢-٣) : Witiza

سطح المغرب وإباريته

المغرب على الحصر هو الزاوية الشمالية الغربية من قارة إفريقيا ، وهو يمتد من تخوم طرابلس الغرب الى المحيط الاطلنطيكي غرباً ، ومن البحر الأبيض المتوسط الى نهر النيل ، نيل السودان (١) جنوباً . وعلى هذا تكون مساحته نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون كيلو متر مربع . ويتألف المغرب على الحقيقة من منطقتين مختلفتين : منطقة جبلية في الشمال ومنطقة سهلية صحراوية في الجنوب . أما المنطقة الشمالية فهي هضبة تمتد فيها جبال الأطلس (٢) . وتحجز هذه الهضبة بين مياه البحر (الأبيض المتوسط) وبين الصحراء . وتاريخ المغرب يدور في هذه الهضبة ، كما أن حياته الاقتصادية تتجمع في هذه المنطقة .

وسلسلة جبال الأطلس تحترق المغرب كله وتمتد من رأس غير (بكسر الغين) شمال أغادير ، على المحيط الاطلنطيكي في الجانب الجنوبي الغربي من الهضبة الآتفة الذكر ، الى الرأس الطيب (٣) من ساحل القطر التونسي ، في الجانب الشمالي الشرقي من هضبة المغرب ، مسافة ألفين وخمسمائة كيلو متر . وترتفع سلسلة جبال الأطلس فجأة في المغرب الأقصى ثم تأخذ بالانحدار تدريجاً ، إلاً قمماً هنا وهناك ، حتى تبلغ أدنى انخفاضها في القطر التونسي . وهكذا نرى

(١) نيل السودان الذي تقع عليه غانة وتكرور (مقدمة ابن خلدون ٩٠ - ٩١) ، وهو نهر النيجر . ويحسن أن نلاحظ أن كلمة Niger (نيجر ، بالجيم المصرية ، معناها في اللاتينية «الاسود» أو «المسود» . فهي اذن كلمة «السودان التي ذكرها ابن خلدون .

(٢) ان كلمة «أطلس» الدالة على هذه السلسلة من الجبال قديمة العهد . ولعلها تشويه يوناني للكلمة البربرية «أدرار» ، أي الجبل .

(٣) في الافرنسية Cap Bon ، وهي نقل لمعنى التسمية العربية .

أن سلسلة جبال الأطلس تدل على وحدة المغرب الجغرافية ، تلك الوحدة التي جعلت منه أيضاً وحدة جنسية ثم وحدة سياسية في معظم أدوار تاريخه .

وسلسلة جبال الأطلس تنقسم ثلاثة فروع : الأطلس الأوسط (في الشمال)
ثم الأطلس الأكبر أو الأعلى (في الوسط) ، أو جبال الأطلس على الحصر .
ثم الأطلس الأصغر (في الجنوب الغربي) ، وهو على الحقيقة هضبة واسعة عظيمة الارتفاع . ومركز انسلسلة كلها في المغرب الأقصى ، وهناك تبلغ أقصى ارتفاعها اذ يرتفع عدد من قممها ، في الشمال والجنوب ، ما بين ألفين وخمسمائة وبين أربعة آلاف (٢٥٠٠-٤٠٠٠) متر فوق سطح البحر .

وينشأ من الأطلسين الأوسط والأكبر امتدادات تسير مصابة لساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهي التي تربط بين أقطار المغرب وتخلق وحدته . أما الأطلس الأصغر فيقع كله في المغرب الأقصى . وهو يتصل بالأطلس الأكبر ، وقد يُعدّ معه .

وجميع الدروب والمخارم في سلسلة جبال الأطلس تتجه من الشرق الى الغرب . من أجل ذلك كان قطع تلك الجبال من الشرق الى الغرب أهون من قطعها من الشمال الى الجنوب .

وسكان المغرب وحدة جنسية لا شك في ذلك ، على ذلك أجمع الدارسون . وقد عُرف المغرب ، من قبل أن يعرف (هو) الأفرنج ، ببلاد أمازيغ أي الوطن الحر ، وعُرف سكانه ... باسم الإيمازيغن أي الرجال الأحرار (١) .

غير أن تسمية سكان المغرب بالبربر تسمية قديمة صحيحة عرفها اليونان والرومان والساميون ، كما عرفها العرب . ولقد ذكرها امرؤ القيس في شعره ذكر كلمة فصيحة مشهورة . أما وجه اشتقاق الكلمة فقد غاب ، لقدمه ، عن رواة اللغات وعلمائها .

ولسنا نعرف في تاريخ المغرب حدوداً طبيعية بين أقطار المغرب السياسية التي ظهرت على الخريط منذ الاحتلال الفرنسي . ثم ان هذه الحدود لا تزال الى اليوم

(١) الحركات الاستقلالية ، و

حدوداً عرفية رسمتها السياسات الدولية لا الشعور الوطني . على أن هنالك تسميات اقتضتها المسافات الجغرافية كالمغرب الأدنى للقطر التونسي . والمغرب الأوسط للقطر الجزائري ، والمغرب الأقصى للقطر الذي عرف في التاريخ الحديث خطأ باسم مراکش .

المغرب الأدنى (القطر التونسي)

المغرب الأدنى أصغر الأقسام السياسية في المغرب اليوم . وهو بلد زراعي في الأكثر . والقطر التونسي منطقتان : المنطقة الشمالية الجبلية والمنطقة الجنوبية السهلية . أما المنطقة الشمالية فتتألف من التلّ التونسي ، أو الأطلس التليّ ، وبها تنتهي سلسلة جبال الأطلس . وهذه المنطقة الجبلية تتخللها أودية خصيبة وسهول داخلية . وأما المنطقة الجنوبية فسهوب واسعة تتمتع بشي من الري في شمالها وتطفي الصحراء على الجزء الجنوبي منها . وفي هذه المنطقة يكثُر النخيل . أما شواطئ القطر التونسي فكلها خصيبة .

وليس في القطر التونسي من الأنهار المهمة سوى نهر مَجْرَدَة ، وهو نهر ينبع على مقربة من سوق أهرّاس في المغرب الأوسط (الجزائر) ثم يخترق المنطقة الشمالية من القطر التونسي الى أن يصل الى مقربة من مدينة تونس . وهناك أيضاً وادي زُرُود ، وهو نهر يصل الى مقربة من مدينة القيروان .

المغرب الأوسط (القطر الجزائري)

يتألف المغرب الأوسط من أربع مناطق تمتد متوازية من الشرق الى الغرب : إقليم التلّ ثم النجود ثم الأطلس الصحراوي . وهذه المناطق الثلاث تتألف من امتداد سلسلة جبال الأطلس في القطر الجزائري - ثم إقليم الصحراء . والمغرب الأوسط وفير المياه كثير الأنهار ، فمن أشهر أنهاره : وادي مَجْرَدَة الذي ينبع على مقربة من سوق أهرّاس ويصب في القطر التونسي . ثم وادي سيبوس الذي ينبع شرق مدينة عين البيضاء ويحمل حوضه الأعلى

(الجنوبي) اسم وادي الشارف . أما حوضه الأدنى (الشمالي) فهو الذي يعرف باسم وادي سيبوس . وهو يصب عند مدينة عتابة أو بونة . ثم هناك وادي الرمل أو وادي الرمال ، وهو يمر بمدينة قسنطينة . (واللفظ الشائع في المغرب : قسنطينة) ثم وادي سبأو الذي ينبع من جبال الجرجرة ويخترق بلاد القبائل الكبرى . ثم وادي الشليف ، وهو أطول أنهار القطر الجزائري وأهمها ويعرف منذ خروجه في جبال عمّور جنوب جبل سيدي عقبة باسم وادي صباغ ثم باسم الوادي الطويل ثم باسم وادي البيضاء ، ثم إذا اتصل بنهر واصل أصبح اسمه وادي الشليف حتى يصب بين المرسى الصغير ومستغانم .

المغرب الأقصى ، وهو المغرب على الحصر

يقع الجزء الاوفي من سلسلة جبال الأطلس في المغرب الأقصى . ويتألف المغرب الأقصى من منطقتين : مختلفتين : المنطقة الشمالية (أو الشمالية الغربية) وهي منطقة جبلية ثم المنطقة الجنوبية (أو الجنوبية الشرقية) ، وهي منطقة صحراوية . ويمتد على سواحل المغرب الأقصى سهل يتسع أحياناً فيبلغ عرضه نحو ثمانين كيلومتر عند الدكالة ويضيق حتى يكاد ينعدم عند الرباط مثلاً :

وتكثر الأنهار الدائمة والأودية المتقطعة في المغرب الأقصى . فمن الأنهار النكبارة وادي سنوي و وادي مألوية ، وهما يصبان في البحر الأبيض المتوسط ثم هنالك وادي سبو ، وهو يصب شمال القنيطرة (بورليوطي سابقاً) ، و وادي أم الزبيع ، و وادي تانسيفت (ويقال : تنسيفت) ، و وادي سوس ، و وادي الذراع (١) ، وكل هذه تصب في المحيط الاطلنطي . ويعد وادي الذراع حداً فاصلاً بين الحصب والجفاف ، بين الأرض المروية والصحراء .

(١) يلفظ اسم هذا النهر في المغرب « الذراع » ، بالدال المهمله . وقد يقال له « درا » باسقاط اللين أيضاً . ويقال له أيضاً درمه .

ليبية

ويتبع المغرب بقعة تقع شرقه وتبلغ مساحتها نحو مليوني كيلو متر مربع تعرف باسم ليبية (١) :

تتألف ليبية من منطقة ساحلية ومنطقة داخلية عميقة تتصل بالسودان من أواسط قارة افريقية . أما الشاطئ فينقسم قسمين كانا وما زالا متميزين في طبيعتهما : برقة المتصلة من الشرق بالتخوم المصرية ، وطرابلس المتصلة من الغرب بالقطر التونسي . وهذا الشاطئ في الحقيقة امتداد طويل من الصحارى والتلال الكلسية والواحات ، ولكن المياه فيه قليلة جداً .

على أن برقة على الأخص خصبة ، وخصوصاً منطقة الجبل الأخضر بما فيها من الأشجار الحرجية والأشجار المثمرة ، من النخيل والزيتون والكروم ومن الزروع . غير أن خط الفتح العربي كان يسير والشاطئ ، وقل ما مال العرب في فتوحهم هناك الى الداخل .

جزيرة الاندلس (إبارية ، ايبيرية)

جزيرة الأندلس اسم كان يطلق في الأصل على بقعة صغيرة هي شبه جزيرة في أول المعجاز المسمى بالزقاق (مضيق جبل طارق) ، وهي الجزيرة الخضراء التي عرفت فيما بعد باسم جزيرة طريف (١) . غير أن العرب أطلقوا جزيرة **الاندلس** على جميع شبه جزيرة **إبارية** أو **إيبيرية** (اسبانية والبرتغال) . وهي شبه جزيرة في الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا مساحتها نحو ستمائة ألف (٦٠٠,٠٠٠) كيلو متر مربع .

على أن **جزيرة الاندلس** أو **الاندلس** كانت تطلق في الواقع على البلاد التي حكمها العرب من شبه جزيرة ايبيرية . من أجل ذلك كان هذا الاسم يطلق على

(١) في فتوح مصر : لويبة (ص ٣٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٠) .

(٢) الروض المطار ١٢٧ .

رقعة من الأرض كانت تتسع وتضيق باتساع الحكم العربي هناك حيناً وتقلصه حيناً آخر . وربما مدّوا هذه التسمية الى ما وراء جبال البرانس من ارض إفريقيا (١) .

وسمى العرب هذه البلاد **جزيرة** لأنهم في الدرجة الأولى لم يكونوا يفرقون في التسمية بين الجزيرة وشبه الجزيرة . ثم ان ايرية تحيط بها المياه من معظم جهاتها (٢) : يحدها البحر الشامي (الأبيض المتوسط) من الشرق والجنوب الشرقي ، ويحدها البحر المظلم المحيط (الأقيانوس الأطلنطي) من الجنوب الغربي والغرب ، ويحدها بحر الانقليشين (البحر الانكليزي) ، بحر غسقونية المتصل بالبحر الانكليزي) من الشمال الغربي . ثم أن جبال البرت أو البورتات (البرانس ، الثنايا ، العقاب) تحدها من الشمال الشرقي فتفصلها عن الأرض الكبيرة (إفريقيا ، فرنسا) .

والقسم الأوفر من قلب جزيرة الأندلس نجد مرتفع متحيز في مكانه . وهو يتألف من هضبتين تعلوان نحو سبعمائة متر على سطح البحر ، والشالية منهما أعلى من الجنوبية قليلاً . أما الهضبة الشالية فهي بلاد **آبسة** وقشتالة القصوى (٣) شمال مجريط (مدريد) . وأما الهضبة الجنوبية فهي قشتالة الدنيا (٤) ، جنوب مجريط . وينتهي النجد الذي يتألف من تينك الهضبتين من جميع جهاته ، وخصوصاً من الشرق والشمال والغرب ، بأجراف (منحدرات شديدة) .

والأندلس كثيرة الجبال التي تنتشر في جميع أرجائها ، وخصوصاً في الشمال الغربي مثل جبال قنطيرية ، وهي جبال أستوريش وجيبليقية . هذه الجبال تتصل بجبال البرت وترتفع حتى تبلغ أحياناً ألفين وخمسمائة متر عن سطح البحر . ومن جبال الأندلس المهمة جبال الشارات ، أو شارات وادي الرمل ، وهي تفصل بين قشتالة القصوى وقشتالة الدنيا . ويتصل بهذه الجبال من الغرب

(١) اللؤلؤ السندينية ١ : ٣٢ .

(٢) الروض المطار ٢ .

(٣) قشتالة أو قشتالية أو قشتالة القصوى هي قشتالة العليا ، البعيدة أو القديمة .

(٤) قشتالة الدنيا : القريبة ، السفلى ، الجديدة .

جبال غريديوس وجبال غاتا ثم جبال استريلا التي هي في البرتغال اليوم . ومنها
شَلْسِيرَ أو جبل الثلج (١) جنوب غرناطة. وهناك جبل يدعى جبل البرانس في
فحص قرطبة ، غير البرانس الذي هو جبال البرت في الشمال . وكذلك تقوم
قرطبة في سفح جبيل يدعى جبل العروس .

ومثل جبال الأندلس في الكثرة والأهمية أنهارها . ومعظم هذه الأنهار تنحدر
من هضبي الأندلس وتوزع في أراضيها ، متجهة في الأكثر نحو الجنوب .
وبعضها ، وهو القليل ، يصب على الساحل الشرقي في البحر الأبيض المتوسط .
أما سائرها فيصب على ساحل الأندلس الجنوبي الغربي والغربي من المحيط
الأطلنطي . فمن الأنهار التي تصب في البحر المتوسط :

وادي إِبْرُهُ (بكسر الهمزة وضم الراء وبالهاء المهملة) ، وهو نهر يسقي
هو وروافده الجانب الشمالي الشرقي من الأندلس وتقوم عليه مدينة تُطيلة
ومدينة سرقسطة ، كما تقوم عليه ، قريباً من مصبه ، مدينة طرطوشة . وبهذا
النهر سميت الجزيرة إيبرية .

ثم هنالك الوادي الأبيض الذي يصب عند مدينة بلنسية ، ووادي شُقْر الذي
يصب على بعد خمسة وعشرين كيلو متر من مدينة بلنسية جنوباً ، ثم وادي
شُقورة الذي تقوم عليه مدينة مرسية وأوريولة قريباً من مصبه .
على أن الأنهار التي تصب في المحيط الاطلنطي أكثر عدداً وأعظم أهمية ،
نعد منها :

وادي الدويره ، أو الوادي الحوفي ، وتقوم عليه مدينة سمورة () أو
صمورة) ، ويصب في خليج مرفأ برتقال (بورتو الحديثة) .
وادي تاجهُ (بضم الجيم واهمال الهاء) ، وهو نهر طليطلة وأعظم أنهار
الأندلس ، يقع في حوضه عدد من البلدان التي اشتهرت في أيام العرب من مثل
شتتيرة ووادي الحجارة وطمنفة ومجريط وطلبيرة . وهو يصب عند شتتيرين

(١) نيفادا .

في خليج الألبونة (لسبونة . عاصمة البرتغال الحديثة) .
 وادي آنه ، أو وادي آنه . وتقع في حوضه الأعلى قلعة ربّاح ، وعند منتصفه
 مدينة ماردة . أما عند منعطفه نحو الجنوب فتقوم مدينة بطليوس التي وقعت
 على مقربة منها معركة الزلاقة الشهيرة . ثم يمر هذا النهر ببلدة باجه ومرتولة
 وبجبل العيون . وبعدها يصب عند بلدة قسطلّة درّاج في خليج قادس .
 الوادي الكبير ، أو النهر الأعظم . نهر قرطبة . أشهر أنهار الأندلس في
 تاريخ العرب . وتقع في حوض الوادي الكبير مدينة أبذّة والعقاب وبياسة
 وأرجونة وجيآن وبيانة وقرطبة وقرمونة وإشبيلية . ويصب الوادي
 الكبير في جون قبتور من خليج قادس . وللوادي الكبير من الروافد وادي
 شتيل ، وتقع عليه غرناطة وأسسجة .

نهر منيو : يقع نهر منيو في الشمال الغربي من شبه جزيرة البرتغال ويقوم
 حوضه الأدنى اليوم حداً بين اسبانية وبين الجانب الشمالي الغربي من البرتغال .
 وهويصب في المحيط الأطلسي .

سطح الاندلس ومناخها

لما دون العرب جغرافية جزيرة الأندلس أدركوا تنوع سطحها واختلاف نباتها
 وحيوانها ، ولكنهم وصفوا مناخها بالاعتدال ، ذلك لأنهم قد وصفوا في الواقع
 مناخ الأندلس (جنوبي اسبانية) . وقد جمع المُقرّي شيئاً من أقوال الجغرافيين
 العرب فروى عن أبي عامر السلمي ان الأندلس من الأقاليم الشامي (مناخ البحر
 الأبيض المتوسط) وهو خير الأقاليم وأعدلها هواء وتراباً وأحسنها حيواناً ونباتاً ،
 وهو أوسط الأقاليم . وكذلك روى عن البكري ان الأندلس شامية في طيب
 هوائها يمانية في اعتدالها واستوائها (نفع الطيب ١ : ٦٤) . ثم روى لرازي قوله
 ان الأندلس بلد معتدل الهواء والجو والتنسيم ، ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه
 على حد الاعتدال (نفع الطيب ١ : ٦٥) . فهذا الذي رواه المقرّي عن الجغرافيين
 العرب يصدق على جنوبي اسبانية وشرقها الى حد ، اذ ليس في الجنوب ولا

في الجنوب الشرقي « شتاء » بالمعنى المعروف في الجغرافية . أما على السواحل المصاحبة للبحر الأبيض المتوسط فالشتاء قصير جداً والصيف طويل ، وأما في الغرب وفي منخفضات استرامادورا فالشتاء يدوم نحو شهرين . وفي أعالي القلاع القديمة (مرتفعات قشتالة القديمة - شمالي شرقي اسبانية) يدوم الشتاء تسعة أشهر . المناخ في أواسط اسبانية خاصة قاري متفاوت بين الفصول : شديد البرد في الشتاء ، شديد القَيْظ في الصيف .

واختلاف المناخ جعل الفاكهة في الأندلس موجودة في كل فصل . متصل أوانها لا تكاد تقطع ، ففواكه الساحل تنضج باكراً ، بينما الثغر (الشمال) وجهاته والجبال التي يخصصها برد الهواء يتأخر نضج فواكهه ، وهكذا يمتد فصل الفاكهة طول العام (راجع نفع الطيب ١ : ٦٥ ، ٦٩) .

قسم العرب سطح اسبانية ثلاثة أقسام : شرقاً وجوفاً (وسطاً) وغرباً .
الشرق : القسم الشرقي ، وأنهار هذا القسم تسيل شرقاً وتصب في البحر الأبيض المتوسط ، وكذلك تهب الرياح على هذا القسم من الشرق حاملة اليه الأمطار .

الغرب : القسم الغربي ، وأنهاره تسيل غرباً وتصب في البحر الأخضر او بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) . ومعظم مياه الأندلس تسيل غرباً . ورياح هذا القسم تهب من الغرب أيضاً فتحمل اليه المطر . ويلاحظ المقرئ (نفع الطيب ١ : ٦٦) أنه اذا استحسنت الرياح الغربية (أي اشتد هبوبها وطال) كثر المطر في الغرب وقل في الشرق ، واذا استحسنت الرياح الشرقية كثر المطر في الشرق . من أجل ذلك يكثر الجفاف والقحط في الأندلس ، إذ هو ابدأً موجود في قسم من قسميها الرئيسيين . وهذا أيضاً يعلل السيول التي تكثر وتغظم أحياناً .

الجوف : (الوسط Meseta ، الهضبة الوسطى النازعة نحو الشمال الغربي) : ويحتل الجوف هذا مساحة تزيد على نصف مساحة اسبانية كلها . ويحيط بالجوف جبال شاهقة ومنخفضات ولذلك كانت طريقه

وعرة . وهذا ما جعل الاتصال بين الأندلس (جنوبي اسبانية)
بين الشمال صعباً . والجوف على الحقيقة هو البلاد الأسبانية
بخصائصها وتقاليدها، ويتألف من القشتاليتين (قشتالة القديمة –
الشمالية او العليا ، ثم قشتالة الجديدة الجنوبية أو الدنيا) . والعرب
يسمون الجوف أيضاً ببلاد القلاع (تفسيراً لكلمة قشتالة **Castilla**
– فان كلمة **Castillo** معناها الحصن او القلعة) . ويسمونها أيضاً
« جيلقية » ، مع أن جيلقية هي الطرف الشمالي الشرقي من شبه
جزيرة ايبرية ولا صلة لها ببلاد الكاستيل حسب المدلول
الجغرافي الحديث .

وانهار الجوف جميعها تصب في البحر الكبير المحيط الأطلسي . ويبدو
بوضوح ان جفاف الأندلس وكثرة سيولها يعتمدان الى حد كبير على الجوف
وما يتزل فيه وحوله من امطار كثيرة او قليلة . ان هذه الهضبة هي مركز
توزع المياه في شبه جزيرة ايبرية كلها ..

ويبدو ايضاً ان ملاحظة المقرري السابقة كانت في موضعها . فاننا اذا طالعنا
تاريخ الأندلس رأينا أن الأندلس . على الرغم من اعتدال مناخها (في الجنوب)
وكثرة خصبها . عرضة للجفاف والقحط في أعوام متقاربة . والغريب أن هذا
الجفاف كان يتخلله مدود (سيول وفيضانات) . فمما جاء من هذه المظاهر
كلها في كتاب البيان المغرب لابن عذارى ما يلي :

– في سنة ٢٣٢ (٨٤٦م) قحطت الأندلس قحطاً شديداً وكانت فيها
مجاعة عظيمة حتى هلكت المواشي واحترقت الكروم وكثر الجراد (٢ : ٨٩) .
– وفيها (سنة ٢٣٥ ، ٨٥٠م) كان سيل عظيم بجزيرة الأندلس . حمل
وادي شنيل (كثر ماؤه) وخرب قوسين من حنايا قنطرة استجة وخرب
الارحاء (الطواحين) . وذهب السيل بست عشرة قرية من قرى اشبيلية على
النهر الأعظم (الوادي الكبير) . وحمل وادي تاجه (بضم الجيم) فأذهب
ثماني عشرة قرية وصار عرضة ثلاثين ميلاً (٢ : ٨٩) .

– وفي ٢٧٤هـ (٨٨٨م) « كان القحط الشديد بالأندلس ، فاستسقى الناس فترل ثلج كثير في أول يوم من ينير (كانون الثاني) ولم يتزل غيظه. ثم استسقوا مراراً فلم يُمطرُوا. فخامر الناس القنط: فلما دخل من فبراير (شباط) بعض أيام سُقي الناس » (١١٩:٢) .

– وفي سنة ٢٨٥هـ (٨٩٨م) كانت المجاعة الشديدة (١٣٩:٢) :
– وفي سنة ٢٨٨هـ (٩٠١م) عظم السيل بقرطبة وانهدم رجل من قنطرتها (١٤٠:٢) :

– وفي سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م) أمحل الناس وتوالى القحط وعم ، وغلت الأسعار وقلت الميرة في الأسواق ... وفي يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من شوال ، وهو أول شهر ما به نزل رذاذ تماسك به بعض الزرع وذهب الأكثر . وكان القحط شاملاً بالأندلس وأطرافها وثغورها (١٦٦:٢) :

– وفي سنة ٣٣١هـ (٩٤٣م) كان المد العظيم بنهر قرطبة (٢١٠:٢) :
– وفي سنة ٣٣٢هـ هبت ريح عاصف ردفنها أخرى فاقتلعتنا كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرها من الأشجار والنخيل ... ونزل أثر ذلك مطر وابل طبّق الأرض وبرّد غليظ فقتل كثيراً من الوحش والطير والمواشي وأتلف ما أصاب من الزرع وأساء التأثير (٢١١:٢) .

– وفي سنة ٣٣٣هـ في المحرم (أيلول ٩٤٤م) هبت بقرطبة ريح عاصف من ناحية القبلة (الجنوب الشرقي) ونزل برد غليظ (٢١١:٢) :

– وفي سنة ٣٣٤هـ كان السيل العظيم بقرطبة وبلغ الماء البرج المعروف ببرج الأسد فهدم من آخر القنطرة وثلم الرصيف وغيره (٢١٣:٢) .
– وفي سنة ٣٣٥هـ كان القحط الكائن بقرطبة (٢١٤:٢) :

الفتح في المغرب

•

رأينا من قبل (١) أن عمرو بن العاص فتح الاسكندرية للمرة الاولى في سنة ٥٢١ هـ (٦٤٢م) . ثم قُتل عمر بن الخطاب وتولّى الخلافة عثمان بن عفان في سنة ٥٢٣ هـ (٦٤٤م) وعمرو بن العاص لا يزال والياً على مصر : وفي سنة ٥٢٥ هـ (٦٤٦م) عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولّى عليها عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وكان أخاه من الرضاعة (٢) . ولعل هذا التبديل كان من الأسباب التي حملت قسطنطين الثالث على إرسال أسطول الى الاسكندرية ، في ذلك العام نفسه ، بقيادة مانويل . فما أن ظهر الأسطول الرومي فجأة في عرض البحر حيال الاسكندرية حتى هبّ السكان الروم يرجون بذلك الأسطول ، وشايعهم في ذلك جماعة من القبط بلا ريب . واستطاع الروم أن يتزلوا في الاسكندرية ويتوغلوا في الدلتا ، وقد نقض أهل الاسكندرية الصلح وكاد الحكم العربي في مصر أن يتزعزع . ولكن عبد الله بن أبي سرح كان كفواً للروم فهزمهم هزيمة منكرة ، في سنة ٢٥ نفسها ، وفتح الاسكندرية فتحاً ثانياً ثابتاً . ثم استمر الفتح بعد ذلك سهلاً هيناً لأن القبط كانوا في معظم الأحيان يحالفون العرب على الروم .

ومع أن العرب غزوا الصعيد والنوبة منذ نزلوا في مصر ، فانهم لم يفتحوا دُمُقْلَةَ ، في النوبة ، الا في رمضان من سنة ٣١ (ربيع عام ٦٥٢ م) ، حينما

(١) العرب والاسلام في الحوض الشرقي ٦٧ .

(٢) فتوح مصر ١٧٤ ، ١٧٨ ، راجع ١٨٣ ، البيان المغرب ١ : ٨ .

غزاها عبد الله بن أبي سرح وكان معه في جيشه معاوية بن حُديج الذي ستراه والياً على مصر وأفريقية فيما بعد (١) :

وفي سنة ٥٣٤ م (٦٥٥) ، كما يذكر ابن عبد الحكم (٢) ، انتصر العرب على الروم في معركة ذات الصواري في عرض الاسكندرية ، وقضوا على الأسطول الرومي وأزاحوا خطرهم نهائياً عن مصر .

برقة وطرابلس

لوية ، كما يرسمها ابن عبد الحكم (٣) ، أو ليبيا كما ترسمها المراجع الحديثة وكما قبلت رسمها الحكومة الليبية (٤) ، هي البلاد الواقعة بين مصر وبين افريقية أو القطر التونسي . وتتألف لوية اليوم ، كما كانت تتألف في زمن الفتح من ثلاث مناطق : برقة أو أنطابلس (النصف الشرقي من ساحل لوية) وطرابلس (النصف الغربي منه) وفزان (المنطقة الداخلية) . أما عند اليونان القدماء فكان الاسم « لوية » يطلق على قارة افريقية كلها (٥) .

وبدأ العرب - قبل أن يطمئن حكمهم على مصر - بغزو برقة وما وراءها تحطيماً لقوى العدو وتحسباً لمنافذ الفتح في المغرب . فقد سار عمرو بن العاص في سنة ٥٢٢ هـ ففتح برقة صلحاً وضرب الجزية على أهلها ديناراً على كل حامل . ثم سار الى طرابلس فحاصر ها شهراً وفتحها في السنة ٢٢ للهجرة أيضاً ، بعد أن كان أهلها قد استغاثوا بقيليل من البربر يقال لهم نفوسة اذ كانوا قد دخلوا معهم في دين النصرانية (٦) : بعدئذ أخذ عمرو بن العاص السير الى سبرت (٧) أو سبرة

(١) ياقوت ٢: ٥٩٩ ، راجع فتوح مصر ١٨٨ .

(٢) فتوح مصر ١٩٠ ، السطر الاول ، راجع الطبري ١: ٢٨٧٠ . في سنة ٥٣٥ هـ (فتوح مصر ١٩١) .

(٣) فتوح مصر ١٧٠، ٣٨ ، ٢٠٠ .

(٤) تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، تأليف الطاهر احد الزاوي (مصر ١٣٧٣ - ١٩٥٤)

(٥) ياقوت ٤: ٣٦٨ .

ص ٣ - ٤ .

(٦) ياقوت ٣: ٣١٠ .

(٧) البيان المغرب ١: ٨ .

في الأشهر (١) ، وأسمها اليوم صبراته ، ففتحها وفتح ما وراءها من الشاطئ (٢) .
وقبل أن تنتهي السنة الهجرية ٢٣ كان العرب قد غزوا جميع لوبية وفتحوها .
الا أن حكمهم عليها ظل قليلاً بضع سنين .

وقبل أن تنقضي السنة الهجرية ٢٣ ، وقبل أن ينخرّ عمر بن الخطاب
صريعاً بنجر أبي لؤلؤة (٢٦ من ذى الحجة ٢٣ = ٣ تشرين الاول
٦٤٤) ، أراد عمرو بن العاص أن يسير لفتح افريقية . ولكن عمر بن الخطاب
ثبطه عن ذلك وكان حكيماً . ان لوبية ومصر لم تكونا بعد قد اطمئنتا الى الحكم
العربي ، اذ لم يكن قد انقضى على دخول العرب اليهما عام أو عامان . فليس
من الحكمة اذن أن تتخطاهما الجيوش العربية تاركة بينها وبين مراكز مؤونتها
ومددها بلاداً نائرة وقلوباً نائرة .

النزاع الديني والسياسي في الغرب

في مطلع الفتح العربي على قارة افريقية كان على المنطقتة الممتدة من مدينة
طرابلس الغرب الى مدينة طنجة حاكم عسكري من قبل الروم (البيزنطيين)
اسمه جورجوس ، قبل مجيئ جرجير الذي عرفه العرب (٣) . وكان النزاع
الديني والخلاف السياسي بين جزئي الامبرطورية الرومانية (بلاد الروم ،
اليونان او بيزنطة وبين البابوية واهل ليطالية) على أشدهما . ومع أن هذا
النزاع كان دينياً في ظاهره وحقائقه ، فانه لم يخل من بواعث سياسية . ثم كان له
على كل حال نتائج سياسية سيئة على القسطنطينية ورومية معاً .

النزاع الديني

لما بدأ القرن الخامس للميلاد كان في النصارى شيعتان رئيسيتان تذهب احدهما
الى القول بأن في المسيح طبيعتين : طبيعة آلهية وطبيعة بشرية ؛ بينما كانت الشيعة الثانية

(١) ياقوت ٣ : ٣٢ .

(٢) فتوح مصر ١٧٠ ، ١٧١ ، البيان المغرب ١ : ٨ .

(٣) راجع تحت ص ٥٥ ، ٥٦ .

تقول إن في المسيح "طبيعة" واحدة هي الطبيعة الإلهية الغالبة . وقد اكتسبت الشيعة الأولى خصائصها البارزة حينما جاء نسطور الانطاكي بطريركاً على القسطنطينية (٤٢٨-٤٣١م) وأصر على أن في المسيح أقنومين (شخصين) وطبيعتين (مادتين) ، وأن مريم هي أم المسيح عيسى لا أم الله ، لأن الله لا يمكن أن يولد من امرأة : والتأم المجمع المسكوني في أفسوس (٤٣١م) وقطع نسطور (حرمة ، كفره) وأقر القول بأن المسيح انسان كامل وآله كامل من أول الأمر (اي أن فيه شخصين وطبيعتين) .

وكان يعاصر نسطور راهب في القسطنطينية اسمه أفتيوس أوطاخي (٣٧٨-٤٥٤م) أنكر أن يكون في المسيح أقنومان وطبيعتان ، فقال ان فيه اقنوماً واحداً وطبيعية واحدة هي الطبيعة الإلهية التي استولت على الطبيعة البشرية . وانعقد المجمع المسكوني في خلقدونية (٤٥١م) وشجب القول بالطبيعة الواحدة وأعلن أن في المسيح طبيعتين متحدتين ولكن غير ممتزجتين ولا متأثرة أحدهما بالأخرى ، بل ان الطبيعة الإلهية ظلت أبداً إلهية والطبيعة البشرية ظلت أبداً بشرية . وغلب هذا المذهب على ارمينية والعراق والشام ومصر والنوبة . ثم جاء يعقوب البرادعي (ت٥٧٨م) فنظم هذا المذهب . ومن ذلك الحين عرف القول بالطبيعة الواحدة بالمذهب يعقوبي وعرف أتباعه باليعاقبة .

وعصف النزاع بين القائلين بالطبيعة الواحدة وبين القائلين بالطبيعتين في كل بقعة من الامبرطورية الرومية على الصعيد الديني وعلى الصعيد السياسي حتى كان هذا النزاع عاملاً في زوال الحكم الرومي عن آسية وافريقية ، كما كان أيضاً عاملاً فعّالاً في انتشار الاسلام انتشاراً تاماً أو شبه تام في تينك القارتين . وبدا للامبرطور هرقل أن بإمكانه أن يوفق بين «الكاثوليك والارثوذكس» وبين اليعاقبة خاصة اذا هو وضع للجميع مذهباً وسطاً ، وشاركه في هذا الرأي بطريرك القسطنطينية سرجيوس الاول (٦١٠-٦٣٨م) ، فأصدر هرقل القانون المعروف باسم أكثيسيس (العرض ، التوضيح) عام ٦٣٨م^١ ، آخذاً من اليعاقبة قولهم بالمشيئة الواحدة ومن النساطرة قولهم بالطبيعتين ثم جعل من ذلك مذهباً رسمياً

للدولة ، وظن أنه بذلك قد جمع بين أهل العقيدتين . غير أن النتيجة كانت نشأة مذهب جديد ، هو المذهب الذي عرف بالمذهب الملكاني (مذهب الروم الكاثوليك) ، وظل النزاع الاول حيث كان من قبل .

ولم يقتصر هذا النزاع على العاصمتين القسطنطينية ورومية ، ولا على الشعبين الحاكمين الروم والرومان ، بل تعداهما الى الشعوب المحكومة في أسوأ أشكاله وأبشع صوره : لما غزا العرب مصر هرب جماعات من أهلها القبط النصارى - وكانوا يقولون بالطبيعة الواحدة - وهم يظنون أنهم إنما ينجون بدينهم من العرب المسلمين الى اخوانهم النصارى في لوية و افريقية . ولكنهم ما كادوا يصلون الى افريقية حتى تلقاهم البطريرق (الحاكم العسكري الرومي) جورج جوس وحملهم على الصبوء الى الكاثوليكية (القول بالطبيعتين والمشيئتين) طوعاً أو كرهاً . وقد ساعده في ذلك القديس مكسيموس المعترف (٥٨٠-٦٦٢ م) . ويحسن أن نلاحظ أن جورج جوس ومكسيموس كانا - كما كان البطريرك صفرونيوس الذي سلم القديس لعمر بن الخطاب (١) - من الروم ولكن على غير المذهب الرسمي (الملكاني : القول بمشيئة واحدة وطبيعتين) ، بل على المذهب الروماني (الكاثوليكي : القول بمشيئتين وطبيعتين) .

وتوفي هرقل في ١١ شباط عام ٦٤١ (٢٣ صفر من سنة ٢٠) وترك امبرطوريته ساجحة في فوضى لا قراراً لها . وقد خلفه على العرش ابنه قسطنطين الثاني وهرقلون ، وكانت مرتينة زوجة هرقل الثانية تحكم البلاد من ورائهما . وقد وصلت يدها بيد البطريرك فوروس (٢) . غير أنها كانت تريد أن يستبد ابنها هرقلون بالحكم . فلما توفي قسطنطين الثاني (أيار ٦٤١) مسموماً أهتمت مرتينة بتدبير مقتله . وتمرد الجند في بلاد الروم (آسية الصغرى) ثم رفعوا قسطنطين الثالث بن قسطنطين الثاني على العرش الى جانب عمه هرقلون في

(١) العرب والاسلام في الحوض الشرقي ٦٦ .

(٢) يفسطالدكتور أسد رسماً هذا الاسم (الروم وصلتهم بالعرب ، ١ : ٢٥٤ مرتين ، ٢٥٦

مرتين ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ مرتين) بيروت .

تشرين الثاني من عام ٦٤١ (ذى الحجة من سنة ٢٠) ؛ وعمره يومذاك أحد عشر عاماً .

وما كاد قسطنطين الثالث يرقى العرش حتى حمله أنصاره على عزل جورجيوس عن أفريقية وتولية بطريق آخر عليها اسمه غريغوريوس ، وهو الذي يعرفه العرب باسم جرجير (١) . وكذلك حملوه ، في الوقت نفسه ، على خلع البطريرك فوروس ، لأنه كان يناصر مرتينة في سياستها المعادية لأبيه ، ونفيه من القسطنطينية .

وفي مطاع عام ٦٤٢م نشبت في القسطنطينية ثورة لانعرف اسبابها (٢) . في اثناء هذه الثورة قُطع لسان مرتينة وُجِدع أنف هرقلون ثم نفيها معاً الى رودوس . واستطاع قسطنطين الثالث أن يستقل بالحكم .

واستمر الاضطراب السياسي والتزعاج الديني في كل مكان : وقد عقدت مناظرة (تموز ٦٤٥ = رمضان ٢٤) في مدينة قرطاجة (القطر التونسي) بين مكسيموس وفوروس . وأعلن فوروس في ختام المناظرة أنه اقنع برأي خصمه (أي بالقول بالمشيئين) . بعدئذ ذهب الى رومية وأقر على نفسه بين يدي البابا ثيودوسيوس الاول أنه رجّع عن القول بالمشيئة الواحدة :

وانتهز البطريرك جرجير حال الضعف والتزعاج في القسطنطينية خاصة - وشجعه على ذلك ، فيما يبدو ، بابارومية ثيودوسيوس الاول ، وأن أهل أفريقية كانوا كأهل رومية يقولون بالمشيئين بينما المذهب الرسمي في القسطنطينية يوجب القول بـمشيئة واحدة - فنار في عام ٦٤٧م (٥٢٧ هـ ، في أيام عثمان بن عفان) ثم تسمى بالامبرطور وأتخذ سبيطلة التي كانت تقع على بعد مائة كيلو متر الى الجنوب الغربي من مدينة القيروان الحالية عاصمة له .

وحار الامبرطور الرومي قسطنطين الثالث في أمر النزاع بين القائلين بالمشيئة الواحدة وبين القائلين بالمشيئين فأصدر في عام ٦٤٨م قانوناً دعاه « تيبوس » ، أي القاعدة ، وحظر فيه الكلام في المشيئة والمشيئين معاً . ولم يرض البابا

(١) راجع البيان المغرب ٩:١ ، الخ . (٢) العرب وصلتهم بالروم ٢٥٤ .

مرتينوس (٦٤٩-٦٥٣م) عن ذلك فعقد مجعاً في رومية حضره مائة وخمسة من الأساقفة ثم قرروا (تشرين الاول ٦٤٩ = أوائل ٥٢٩ هـ) شجب قانون أكثيسيس وقانون تيبوس وأصروا على الرجوع الى القول بالمشيئين والطبيعتين معاً. ثم كتب مرتينوس الى قسطنطين الثالث يأمره بأن يخاع بطريك القسطنطينية بولس الثاني (٦٤١-٦٥٢م) لتركه القول بالمشيئين والطبيعتين. فغيظ قسطنطين من هذه الجرأة عليه وأمر بالبابا مرتينوس فقبض عليه (حزيران ٦٥٣م) وجيء به الى القسطنطينية مقيداً بالسلاسل فوصل اليها في أيلول من عام ٦٥٤. وفي القسطنطينية حوكم مرتينوس أمام محكمة عادية (غير دينية) وآتهم بالخيانة العظمى ثم خلع عن عرش البابوية وسجن مع انصوص واقنلة. ولقد تعرض مرتينوس في أثناء محاكمته تلك لضروب من الالهانة واتحقير. بعدئذ نقل منفياً الى خرصون، على الجانب الشمالي الغربي من البحر الأسود، فتوفي هنالك وشيكاً في ١٦ أيلول من عام ٦٥٥.

وفي العام الذي كان البابا مرتينوس قد حمل فيه مقيداً من رومية الى القسطنطينية (٦٥٣م=٥٣٣هـ) حمل مكسيم المعترف (١) سجيناً من افريقية الى القسطنطينية ومنها نفى الى بوزية في تراقية. غير أنه أعيد عام ٦٦٢م (٥٤٢هـ) الى القسطنطينية حيث حوكم أمام المجمع المقدس وحكم عليه بالتعذيب: بسلب لسانه من أصله وبقطع يده اليمنى. ثم انه نفى ثانية على هذه الحال الى لازيقه، من بلاد اللاز في شمالي ارمينية، فتوفي هنالك وشيكاً من عقابيل التعذيب في ١٣ آب من عام ٦٦٢ (٢٠ ربيع الثاني ٤٢).

تلك كانت الحياة الدينية المضطربة الفاجعة التي كانت سائدة في الامبرطورية الرومانية في الشرق والغرب. فاذا نحن أضفنا الى ما تقدم وطأة الاضطهاد الجنسي وريقة الظلم الاجتماعي وسوء السياسة المالية والاقتصادية (في الضرائب وفي التجارة والصناعة)، أدركنا عمق الوهدة التي كانت تتردى فيها تلك الامبرطورية يومذاك. من أجل ذلك لم يكن من المستغرب قط أن تتساقط المقاطعات الرومية

(1) Enc. Br., IIth. ed., 17:926 f.

العرب الى عاصمته سببلة واستولوا عليها ثم خربوا حصونها . ومن سببلة انساح العرب في افريقية حتى وصلوا الى قنصصة على نحو مائة كيلومتر من الجنوب الغربي من سببلة ، كما وصلوا الى حصن الأجم (١) والى قرطاجنة على بعد مائتين وخمسين كيلومتر من سببلة شمالاً في شرق ، على الساحل ، وفتحوها عنوة بعد حصار شديد . وكانت غنائم العرب في هذه الغزوة كثيرة جداً وثمينة ، وخصوصاً في قرطاجنة .

وربع سكان افريقية من هذا الفتح فطلبوا الصلح من العرب فأجابهم العرب الى ما طلبوا وعاهدوهم على ما يلي :

(١) يدفع أهل افريقية غرامة قدرها ثلاثمائة قنطاراً ذهباً (المقصود غرامة كبيرة) .
(٢) ما استولى عليه العرب قبل الصلح (سوى الغرامة) فهو لهم . وما استولوا عليه بعد الصلح ردّوه على أصحابه .

(٣) بعد تحقيق الشرطين المتقدمين ينسحب العرب من افريقية .
وقبض عبد الله بن أبي سرح المال وحمل المسلمون الغنائم التي غنموها قبل الصلح وعادوا الى مصر . وبعث عبد الله بن أبي سرح بالخمس الى عثمان بن عفان في المدينة (٢) .

ولا أدري ما وجه الرواية التي ذكرها الطبري (٣) وهي أن عبد الله بن أبي سرح بعث عبد الله بن نافع بن عبد القيس (أخا عمبة) وعبد الله بن نافع بن الحصين الى الاندلس سنة ٥٢٧ هـ .

الفتح الثاني لافريقية

كان قسطنطين الثالث يطمع في استرداد ما كان العرب قد انتزعوه من الامبرطورية الرومية . ولقد رأبناه يحاول غزو الشام ثم يبعث في سنة ٥٢٤ هـ

(١) في القطر التونسي اليوم .
(٢) راجع البيان المغرب ١ : ٨ - ١٢ ، فتوح مصر ١٧٣ وما بعدها ، ابن خلدون ٤ : ١٨٥ .
(٣) الطبري ١ : ٢٨١٤ ، راجع ٢٨١٧ .

(٦٤٥م) حملة على مصر أصابت في أول الأمر بعض النجاح ، ونقض أهل الاسكندرية على أثرها الصلح مع العرب (١) . فليس بمستغرب اذن أن يحاول قسطنطين مثل ذلك في افريقية . وهكذا نجد أهل افريقية يتقضون الصلح في سنة ٥٣٣ هـ (٦٥٤م) . من أجل ذلك أرسل عبد الله بن أبي سرح معاوية بن حُديج الكِندي السكوني (٢) في سنة ٣٤ هـ ليعيد افريقية الى عهدها مع العرب . وكان لمعاوية بن حديج صحبة لرسول الله ، وقد شهد مع عمرو بن العاص فتح مصر ، كما غزا مع عبد الله بن أبي سرح في النوبة .
 ووصل معاوية بن حديج في غزوته تلك الى قونية عند جبل الترن (موضع مدينة القيروان الحالية) واتخذ هنالك قبروانا ، أي معسكراً (٣) ولكنه عاد وشيكاً الى مصر .

ثم ان المسلمين اشتغلوا بالفتنة زمن عثمان ثم بالفتن والحروب في خلافة علي ابن أبي طالب (٣٦-٤٠هـ) فتوقفت الفتوح الإسلامية كلها (٤) .

وكان أول ما فعله علي أن ولّى على مصر قيس بن سعد في صفر من سنة ٣٦ (آب ٦٥٦) . واستطاع معاوية بن أبي سفيان أن يفسد ما بين علي وقيس فعزل علي قيساً عن مصر وولى عليها الأشتر بن مالك النخعي ، ولكن معاوية دبر مقتل الأشتر قبل أن يصل الأشتر الى مصر . فولى علي حينئذ على مصر محمد بن أبي بكر (٥) .

وكان عمرو بن العاص يحثن الى العودة الى مصر والياً فأطمع معاوية بها ، فبعثه معاوية اليها في ستة آلاف جندي . وكان في مصر يومذاك جماعة من العثمانية (الموالين لبني أمية) يتقمون على محمد بن أبي بكر ويتكروهون خلافة علي . وكان النافذ فيهم معاوية بن حُديج . فوصل هؤلاء العثمانية يدهم بيد

(١) راجع الروم وصلاتهم بالعرب ١: ٢٥٥ .

(٢) جهرة أنساب العرب ٤٠٣ .

(٣) ياقوت ٤: ٧٣ ، ٢٠٤ .

(٤) راجع في ذلك كله فتوح مصر ١٩٢-١٩٥٤ ، البيان للمغرب ١: ١٤ .

(٥) ابن خلدون ٢: ١٦٧-١٦٨ .

عمرو بن العاص وقاتلوا معه محمد بن أبي بكر وهزموه. ثم قتلوه (١). وذلك سنة ٥٣٨ (٦٥٨م) ، وخرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب .
ثم قُتل الأمام علي في سنة ٥٤٠ (٦٦١م) واستبد بالخلافة معاوية بن أبي سفيان . وأقرّ معاوية عمرو بن العاص على مصر . ولكن عمراً توفي في أول شوال من سنة ٥٤٣ (٦ كانون الثاني ٦٦٤) .

الفتح الثالث لافريقية

وفي سنة ٥٤٥ (٦٦٥م) بعث معاوية بن أبي سفيان جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي لفتح افريقية وجعله بقيادة معاوية بن حديج . فسار ابن حديج بالجيش الى الاسكندرية ثم تابع طريقه الى افريقية ، وكان معه نفر من مشاهير العرب منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ويحيى بن الحكم بن العاص وحنّش بن عبد الله الصنعاني (٢) . ويبدو أنه كان بين معاوية بن حديج وبين عبد الملك بن مروان وحشة ، فقد كان عبد الملك - فيما يبدو لنا - يطمع في قيادة الحملة مكان ابن حديج . غير أن معاوية بن أبي سفيان أراد أن يكافئ معاوية بن حديج على صنيع له سلف : كان ابن حديج عثمانياً ، ثم انه كان قد تفقد رغبة معاوية بن أبي سفيان في التخلص من محمد بن أبي بكر فقتله بمصر (٣) سنة ٥٣٨ (٦٥٨م) : وأراد حنش الصنعاني أن يزيل الوحشة بين الرجائين فترضى عبد الملك بقوله - مصانعاً أو متفائلاً أو نافذاً

(١) ابن خلدون ٢ : ٢٨٢ .

٢ حنش الصنعاني هو أبو رشيد حسين بن عبد الله (وحنش لقب له) من صنعاء للشام وهي قرية قرب دمشق دون المزة ، كان من التابعين وثقة في رواية الحديث روى عنه جماعة . وقد كان مع علي بن أبي طالب في الكوفة . ولما قتل علي انتقل حنش الى مصر فصار في عداد المصريين . وثار حنش مع عبد الله بن الزبير ، فيما بعد ، على عبد الملك ، ثم اتى به الى عبد الملك فعفا عبد الملك عنه . وغزا حنش الصنعاني المغرب مع رويغ بن ثابت . وغزا جزيرة جربة (عند شاطئ القطر التونسي حذاء مدينة سوسة) . وكذلك غزا الاندلس مع موسى بن نصير ، ومات في سرقسطة سنة ١٠٠ هـ وكان قبره فيها معروفاً مشهوراً .

(٣) البيان المغرب ١ : ١٥ ، ١٨ .

البصيرة - (١) : « ما شأنك ؟ فوالله ، لتلينّ الخلافة ويصير هذا الأمر كله اليك ، فلا تغتم ! »

في ذلك الحين كان قسطنطين الثالث لا يزال على عرش القسطنطينية ، فأراد أن يعترض طريق العرب من جديد فأرسل أسطولا^١ فيه ثلاثون ألفاً بقيادة بطريق يقال له نقفور . فتقدم نقفور الى افريقية من شاطئها الشرقي قريبا من سوسة ، فسرّح اليه معاوية بن حديج جيشاً بقيادة عبد الله بن الزبير . ويبدو أن نقفور أدرك مدى قوة العرب فأثر أن ينسحب من غير تعرض لقتال (٢) . ثم ان ابن حديج أرسل عبد الملك بن مروان في ألف رجل الى جلولاء (٣) ، فحاصرها عبد الملك طويلاً فلم يقدر عليها ، ثم اتفق أن انتقض سورها فدخلها عبد الملك فاتحاً (٤) . وكذلك فتح العرب في ذلك الحين بترت ، ومن ذلك الحين بدأ انتشار الاسلام في البربر (٥) .

ولم يغير معاوية بن حديج بانسحاب نقفور فجهز أسطولا^٢ مؤلفاً من مائتي مركب وجعله بقيادة عبد الله بن قيس ، ثم أنفذه في أوائل سنة ٤٧هـ (ربيع ٦٦٧م) الى جزيرة سقلية (٦) لأن سقلية كانت محطة للروم بين بلادهم وبين افريقية ، وكانت أساطيلهم تهب منها على افريقية . ولا ريب في أن العرب لم يكونوا يريدون في ذلك الحين غزو سقلية لفتحها والاستمرار فيها ، وهم لم يثبتوا أقدامهم بعد في افريقية نفسها ، وانما كانوا يريدون تحطيم قوى العدو فيها كيلا تتحرك تلك القوى لاعتراض طريقهم وعرقلة أعمالهم . من أجل ذلك أقام العرب شهراً واحداً على سقلية ثم انصرفوا الى افريقية بغنائم كثيرة وبرقيق

(١) البيان المغرب ١ : ١٨ .

(٢) البيان المغرب ١ : ١٦ .

(٣) جلواء مدينة في افريقية بينها وبين القيروان ٢٤ ميلا (ياقوت ٢ : ١٠٧) .

(٤) ياقوت ٢ : ١٠٧ ، راجع ابن خلدون ٤ : ١٨٥ .

(٥) ياقوت ١ : ٧٤٦ .

(٦) سقلية ترسم بالسين كما في الطبري وفي فتوح مصر . والمصادر المتأخرة ترسمها بالصاد .

وأسرى وبأصنام منظومة بالجوهري : بعد ذلك عاد ابن حديج الى مصر : وقد باع معاوية الأصنام التي غنمها العرب من أهل سقلية في الهند وأخذ أثمانها فأنكر ذلك عليه نفر من المسلمين (١) :

الفتح الرابع لافريقية

وظل معاوية بن حديجز متناً يتولى مصر وافريقية معاً . ففي سنة ٥٤٦ هـ (٦٦٦ م) بعث عقبة بن نافع الى المغرب : وفي أثناء الطريق علم عقبة أن أهل وِدَّان قد نقضوا الصالح فسار اليهم بنفسه وردهم الى الطاعة (٢) . ثم انه سار بنفسه أيضاً الى فزان فافتتحها وافتتح ما وراءها حتى أصبحت لوية كلها في طاعة العرب ، بعدئذ سار عقبة الى زويلة وغدامس ، وهما من تخوم السودان ، وفتحهما فتحاً ثانياً . ولما انتهى عقبة من لوية تقدم الى افريقية وفتح قفصة ثم قسطنطية من بلاد الجريد (٣) . ولا يعلم بعد قسطنطية عمران (٤) .

بناء القيروان

أراد عقبة أن يتخذ قيروانا (معسكراً ومركزاً عسكرياً دائماً) ، ذلك لأن الفتوح الاولى لم تثبت لأن أهل افريقية كانوا يطيعون أذا غزا العرب البلاد، فاذا عادوا عنها عاد أهلها الى المنعصية ونقضوا الصلح . ويحسن أن نلاحظ هنا أن الروم والفرنجة كانوا قد أجلبوا البربر عن الشواطئ وسكنوها هم : فالذين كانوا يقاومون العرب وينقضون الصلح لم يكونوا البربر أهل البلاد الأصليين بل الروم والفرنجة وجماعة من البربر يشايعونهم .

(١) البيان المغرب ١: ١٧-١٨ . لا يجوز لمسلم أن يتأجر بمحرم كالخمر والخنزير والاصنام الخ.

(٢) ياقوت ٤: ٩١١ .

(٣) زويلة السودان أول حدود بلاد السودان (ياقوت ٢: ٩٦٠) وغدامس في أنزرب - تنوب - ضاربة الى بلاد السودان (ياقوت ٣: ٧٧٦) .

(٤) ياقوت ٤: ٩٧ ، راجع ١: ٨٩٢ . راجع فتوح مصر ١٧١ ، ١٩٤-١٩٦ . وتكتب قسطنطية بالصاد ايضاً . وكذلك تكتب في الماين بيا . واحدة بعد الطاء (راجع فتوح مصر ١٩٦) .

فلما صحت عزيمة عقبة على بناء قَبروان لم يرض عن القبروان أنذي كان معاوية بن حديج قد اتخذ من قبل ، فاختر مَكَاناً قريباً منه على كل حال ومتصفاً بما يلي :

- ١ - كان فيه شيء من الخصب وكان يصاح مرعى للأبل . أما أرضه فكانت بادية تشبه ما كان العرب قد أُلّفوه في جزيرتهم .
- ٢ - كان بعيداً عن البحر لا تطأه سفن الروم والفرنجية .
- ٣ - كان ذلك المكان طريقاً للتوافل ، كما كان مشهداً لمدينة قديمة .

وهكذا اختار عقبة المكان الذي تقع فيه مدينة انقروان الحالية . ثم ان عقبة اختط معسكره وحرس على أن يخط مسجداً ويعين فيه موضع القبلة ، في سنة ٥٥٠ (٦٧٠م) ، ولكنه لم يحدث هنالك بناء . ومع الأيام نزل الناس في هذا القبروان الذي أصبح وشيكاً مدينة عظيمة وعاصمة مهمة شهيرة ومركزاً من مراكز العلم والحضارة في العالم الاسلامي :

ولاية عقبة الاولى

في سنة ٥٥٠ (٦٧٠م) فصل معاوية بن أبي سفيان ولاية افريقية عن ولاية مصر ، فأقر ابن حديج على مصر وولّى على افريقية عقبة بن نافع الفهري . وفي تلك السنة نفسها ، أو في السنة التالية على الأغلب ، كما ذكر ابن عبد الحكم (١) ، عزل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج عن مصر أيضاً وولّى مكانه مسلمة بن مَخْلَد (٢) . وكان مسلمة من أنجاد العرب ، وكان مع عمرو بن العاص في مصر ، ثم كان من أنصار عثمان بن عفان ومن أشياع بني أمية . وقد جمع معاوية لمسلمة المغرب كله من أطراف إقليم مصر الى طنجة - وهو أول والٍ جُمع له المغرب - ثم لم يزل والياً على المغرب الى أن هلك معاوية (٣) .

(١) فتوح مصر ١٩٧ .

(٢) «مخلة» بوزن «محمد» الطبري ٢: ٩٤٠٩٣ ، البيان المغرب ١: ٢١ ، ابن خلدون ٣: ١٣٥ ،

١٨٦: ٤ ، ياقوت ٤: ٢١٢ .

(٣) الطبري ٢: ٩٤ ، البيان المغرب ١: ٢١ ، ٢٢ .

ولاية أبي المهاجر على افريقية

ثم ان مسلمة عزل عقبة عن افريقية وولت عليها مكانه أبا المهاجر ديناراً مولى بني مخزوم ، أو مولى الأنصار . فوصل أبو المهاجر الى افريقية سنة ٥١ هـ وأساء عزل عقبة - قيل لشيء كان بينهما من قبل . فعاد عقبة الى المشرق وقدم على معاوية بن أبي سفيان متظلماً يقول : لقد فتحت البلاد وبنيت القيروان وخططت الجوامع فيها وأطاعني الناس ثم أعزل بعبد من عبيد الأنصار ! فاعتذر معاوية لعقبة بالصلة التي تربط مسلمة (الذي ولي أبا المهاجر على افريقية مكان عقبة) وبحقه عليهم - لأنه كان من أنصار عثمان وأشياخ بني أمية ومن الذين قاتلوا محمد بن أبي بكر في مصر ومهدوا لولاية عمرو بن العاص عليها ولدخولها في طاعة معاوية . ثم ان معاوية أغفل أمر عقبة (١) .

وكره أبو المهاجر أن يتزل في القيروان وعقبة ومضى الى مكان يبعد نحو ميلين وراءه شمالاً ، مما يلي طريق تونس : ثم انه أمر الناس بأن يحرقوا القيروان وعقبة وأن يتزلوا في قيروانه هو (٢) .

وبعث أبو المهاجر حنش بن عبد الله الصنعاني الى جزيرة شريك (وهي التي تعرف الآن بالجزيرة القبلية ، واليهما يتجه السالك من باب الجزيرة أحد أبواب تونس) فافتتحها (٣) :

أما أبرز الحوادث في ولاية أبي المهاجر على افريقية فكانت قتاله لكسيلة : كان كسيلة هذا من عظماء البربر ، ومن الموالين للروم الذين دخلوا في النصرانية ، فلما قلص العرب النفوذ الرومي عن المغرب برز كسيلة هذا يجمع حوله فلول الروم والفرنجة وجمعوا من قومه البرانس ليقاتل بهم العرب . وزحف أبو المهاجر على كسيلة فلقبه عند تلمسان ، في المغرب الأوسط (الجزائر اليوم) ، فهزمه وفرق جموعه ثم أدركه وأسره (٤) .

(١) فتوح مصر ١٩٧-١٩٨ البيان المغرب ١: ٢١-٢٣ ، ابن خلدون ٤: ١٨٦ .

(٢) البيان المغرب ١: ٢٢ ، ابن خلدون ٣: ١٣٥ ، ١٨٦ .

(٣) الاستقصا ١: ٧١ .

(٤) ابن خلدون ٤: ١٨٦ ، ١٠٨: ٦ ، ١٤٦ ، الاستقصا ١: ٧١ .

ولما لم يجد كسيلة بدأ من الخضوع لأبي المهاجر أظهر الاسلام، فقبل أبو المهاجر ذلك منه واستبقاه واستخلصه جهده ثم ضمه الى نفسه فكان يستصعبه في حله وترحاله حتى يأمن انتقاضه :

وبقي مسلمة بن مخلد على مصر وافريقية ، كما بقي أبو المهاجر على افريقية من قبل مسلمة حتى توفي معاوية ، في منتصف رجب من سنة ٦٠ (نيسان ٦٨٠) ، وتولّى الخلافة ابنه يزيد :

ولاية عقبة الثانية

قدم عقبة على يزيد بعيد عرض ظلامته فرده يزيد والياً على افريقية سنة ٦٢ هـ (٦٨١-٦٨٢ م) . فكان أول ما فعله عقبة أن ثار لنفسه من أبي المهاجر فأعتقله وأساء عزله وقيده في الحديد وخرّب القيروان الذي كان أبو المهاجر قد بناه وأعاد بناء قيروانه هو (١) . واركب عقبة خطأ آخر كان أشد عليه هو نفسه أذى ، ذلك أنه جعل يسيء معاملته كسيلة وبذلك بعد أن كان أبو المهاجر يتألفه ويداريه : ويروى أن أبا المهاجر حذر عقبة متعباً ذلك فلم يلتق عقبة بالآلى تحذير أبي المهاجر له : وكذلك كان عقبة يحمل أبا المهاجر مقيداً بالحديد وكسيلة في غزواته (٢) .

ورأى عقبة أن يثبت فتوح العرب في افريقية مرة واحدة فزحف الى بلاد الجريد (جنوبي غربي القطر التونسي) ، وعلى مقدمته زهير بن قيس البلّوي ، وفتحها فتحاً ثانياً ثم صالح أهل فرّان (جنوبي لوبية) . في هذه الاثناء تابع عقبة فتوحه ، فيما يبدو لنا ، في المغرب الأوسط ففر منه الروم والفرنجية ومن كان قد انضم اليهم من البربر واستتر لهم من حصونهم ، مثل ليس وباغاية (بجاية التي يطل عليها جبل أوراس ، وهي غير بجاية الساحل) وفتح أذنة

(١) فتوح مصر ١٩٨ ، البيان المغرب ١: ٢٣ ، ابن خلدون ٣: ١٣٥ ، ١٣٦ ، ٤: ١٨٦ .

(٢) فتوح مصر ١٩٨ ، البيان المغرب ١: ٢٣ ، ابن خلدون ٤: ١٨٦ ، ٦: ١٤٦ .

عاصمة الزاب . وهكذا يكون عقبة قد أخرج الروم ، في مطلع ولايته الثانية ، من افريقية كلها : من بلاد الجريد في الجنوب الغربي ، ومن المنستير (جنوب سوسة ، على الساحل) في الشرق ، ومن قرطاجنة وما والاها في الشمال ، كما فتح جزءاً كبيراً من المغرب الأوسط في الداخل وعلى الساحل . وكان أحسن ما فعله عقبة في ذلك كله أنه أخرج الروم والفرنجية من الحصون والقواعد التي كانوا يملكونها والتي كانوا يشنون منها الغارات على العرب أو يؤلبون منها جموع البربر ويلقون بهم في المعارك (١) .

و لما توالى الهزائم على نصارى افريقية (الروم والفرنجية فيها) وبربرها وكثر القتل فيهم حتى كاد يستأصلهم ، لجأ من بقي منهم الى الحصون والمعازل فلم يبرحوها . فكره (عقبة) المقام على محاصرتهم فيفوته الغزو . . . فترك أهل افريقية متحصنين بحصونهم وأوغل في الغرب (سائراً وساحل البحر) . . . حتى صار بأحواز (٢) طنجة ، وكان بها ملك اسمه يولييان (يولييان) يملك منها الى ساحل المجاز بسبته (٣) .

ويبدو أن يولييان هذا كان من بني غمارة البربر وكان على النصرانية فولاه القوط على المنطقة الممتدة من طنجة الى سبته . ولا ريب في أن يولييان كان ناقماً على الروم وعلى القوط معاً لما أنزلوا بالمغرب من التنازع والشقاء . من أجل ذلك رغب يولييان في مسالة العرب على أن يظل هو والياً على البلاد التي ولآه القوط عليها . وقد كان من حسن الحظ ومن التوفيق أن يقبل عقبة بذلك . وظل يايان خاضعاً في الظاهر للقوط : ويبدو أن ذلك كان في أوائل سنة ٦٦٣ م (أواخر ٦٨١ م) .

فلما أمن عقبة جانب يولييان ، وأطمأن الى أن ساحل المغرب حتى سبته قد

(١) فتوح مصر ١٩٨ ، البيان المغرب ١: ٢٤-٢٥ ، ابن خلدون ٤: ١٨٦ .

(٢) بانحاء .

(٣) البيان المغرب ١: ٢٥-٢٦ .

(٤) راجع في ضبط اسم يولييان وأصله وموقفه من العرب

Lévi - Provençal I 13'14; Historia de Espana III páginas li, lii, liii.

استقر في حكم العرب ، أراد أن يجوز البحر لمتابعة الفتح في الأندلس ، فنصحته يليان بأن يفتح المغرب الأقصى أولاً كيلا يترك البربر وراه فيتعرض لوثبتهم (١) . ولا ريب في أن يليان كان مخلصاً في نصيحته لعقبة . وقد كان من التوفيق أن يعمل عقبة بما نصحه به يليان .

بعد فتح طنجة استخلف عقبة على القيروان عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البسّوي ثم سار قاصداً بلاد السوس الأدنى . وكان معه أبو المهاجر موثقاً في الحديد وكسيلة . وما كاد عقبة يغادر القيروان حتى خالفة اليها رجل من للعجم (الفرنجة) في ثلاثين ألفاً ، ولم يكن فيها سوى ستة آلاف مقاتل . ومع ذلك فقد رد العرب الثلاثين ألفاً عن المدينة وهزمهم (٢) .

ووصل عقبة الى بلاد السوس الأدنى وبث الخيل فيها ثم واصل الزحف الى السوس الأقصى وقاتل بني مسوفة من أهل اللثام (٣) وراء السوس حتى بلغ البحر عند ماسة (٤) أو عند بلاد آسفي (٥) . ولما وصل عقبة الى البحر خاضه بجصانه ثم قال : « اللهم ، اني أشهدك أن لا مجاز . ولو وجدت مجازاً بلحزت ! » ويروي ابن عتّاري بضعة أقوال منسوبة الى عقبة في هذه المناسبة (٦) ، ثم ان عقبة قتل راجعاً ، وحارب في أثناء رجوعه أهل دكّالة وأقواماً آخرين أكثر من الذين حاربهم في أثناء قدومه .

وغاب عن عقبة حذره وبعده نظره فأذن للجيش أن يتقدمه راجعاً الى القيروان ، وبقي هو في نحو ثلاثمائة من جنده ، معظمهم من الصحابة والتابعين ، وكان كسيلة يضطغن على عقبة سوء المعاملة التي لقيها على يديه ، فلما رأى منه هذه الغيرة — وكان معه — احتال في مراسلة الروم والفرنجة لانتهاز الفرصة في

(١) الاستقصا ١: ٧٣ ، ابن خلدون ٤: ١٨٩ .

(٢) فتوح مصر ١٩٨ ، راجع ١٩٤ .

(٣) قبائل من البربر كان رجالها يلبسون ثاماً يفظون به وجوههم .

(٤) البيان المغرب ١: ٢٧ .

(٥) فتوح مصر ١٩٩ . الاستقصا ١: ٧٣ .

(٦) البيان المغرب ١: ٢٧ .

عقبة واصحابه : فلحق بهم جيش كنيف من الروم والفرنجة ومن البربر المواليين لهم واعترضوا عقبة ومن معه عند تهودة ، في بلاد الزاب جنوب جبال أوراس قريباً من بسكرة (في المغرب الأوسط) فاستشهد عقبة ومن معه جميعاً ، في أواخر سنة ٥٦٣ هـ (آب ٦٨٣ م) . وكذلك استشهد أبو المهاجر دينار وهو يقاتل مقيداً ، وكان قد أبى أن تفك عنه قيوده .

وبلغ المسلمين في افريقية ما نزل بعقبة وأصحابه ويزحف كسيلة عليهم فاقترح حنش بن عبد الله الصنعائي أن ينسحب المسلمون من افريقية الى مصر : ولكن زهير بن قيس البلوي أصّر على المدافعة والقتال . ثم ان حنش بن عبد الله انسحب راجعاً الى مصر وتبعه الناس ، فلم يجد زهير - وقد أصبح في جند قليل - بدياً من الانسحاب أيضاً ، فعاد الى برقة وأقام مرابطاً فيها . في هذه الاثناء كان كسيلة قد وصل الى القيروان ، في المحرم من سنة ٥٦٤ هـ (أيلول ٦٧٣) واستولى عليها ، فاستأمن اليه من كان قد بقي في افريقية من المسلمين ودخلوا في عهده لأنهم كانوا ضعافاً لا يستطيعون ضرباً في الأرض ولا يجدون ما يحملهم بمثل تلك السرعة التي انسحب فيها حنش بن عبد الله وزهير بن قيس بالجند والناس : وبقي كسيلة سائداً في القيروان خمس سنوات (١) . وبعد نحو شهرين توفي يزيد بن معاوية (ربيع الاول ٥٦٤ وتشرين الاول ٦٨٣ م) فخلفه ابنه معاوية الذي توفي وشيكاً . وجاء مروان بن الحكم الى الخلافة في ذي القعدة ٥٦٤ ومكث فيها عشرة أشهر قضاه في مقاتلة ابن الزبير . ولما خلفه ابنه عبد الملك (رمضان ٦٥ = نيسان ٦٨٥) كان ابن الزبير لا يزال سائداً في معظم الأقطار الإسلامية : في الحجاز وسائر الجزيرة العربية ، وفي مصر (٦٤٠-٦٥٥ هـ) وفي العراق . وهكذا اشتغل بنو أمية عن أمر المغرب كله مرة واحدة :

(١) راجع في ما يتعلق بولاية عقبة الثانية : فتوح ١٩٨-١٩٩ ، البيان المغرب ١ : ٢٦-٣١ ، ابن خلدون ٤ : ١٨٦ ، ٦٤ : ١٤٦ ، ٧ : ٨-٩ ، الاستقصا ١ : ٧٣-٧٥ =

ولاية زهير بن قيس البلوي

وفي سنة ٥٦٩هـ (١) ، وقبل أن يتغلب عبد الملك بن مروان على ابن الزبير بنحو أربع سنوات ، رأى عبد الملك من الحكمة أن يهتّم بالمغرب ، فأمدّ زهير ابن قيس البلوي بجيش كبير وولاه افريقية . وسار زهير الى القيروان فاذا كسيلة قد جمع جيوشاً كثيفة من الروم والفرنجية ومن البربر الموائين لهم . ونشبت المعركة بين العرب وكسيلة فقتل كسيلة وانهزمت جيوشه ، على كثرة عددها ، الى ما وراء وادي مَلْويّة واستقرت عند مدينة وَايلي (بين موضع مدينة فاس ومدينة مكناس) بجانب جبل زهرون . وخلص للعرب كل ما كان الى غرب نهر ملوية ، ومع ذلك فان زهير بن قيس آثر الرجوع الى برقة ، ولكن بقي كثير من الناس في القيروان .

وعلم الروم (البيزنطيون) بخبر رجوع زهير بن قيس من القيروان الى برقة فأرادوا اعتراض طريقه . ويغلب على الظن أن الامبرطور قسطنطين الثالث كان قد قتل اغتيالاً في سرقوصة (سقلية) وخلفه ابنه القاصر قسطنطين الرابع الملقب بالملتحي . وأغار الروم على سواحل برقة باسطول كبير مشحون بجيوش كثيفة واكثروا هنالك القتل والأسر والنهب . ووافق تلك الغارة وصولُ زهير ابن قيس فدخل المعركة منجداً ، ولكن الروم كانوا من الكثرة بحيث هزموا العرب هزيمة كاملة واستشهد زهير وكثيرون ممن كانوا معه (٥٦٩=٦٨٩م) ، وكان مقتل زهير في الفجعية كمقتل عقبة من قبل (٢) .

ولاية حسان بن النعمان

ويبدو أن عبد الملك أراد منذ عام ٥٦٩هـ ، منذ مقتل زهير بن قيس البلوي ، أن يعيد هيبة العرب الى المغرب ، ولكن لم يتسنّ له ذلك على وجه صحيح الا بعد

(١) في ابن خلدون (١٤٦:٦) سنة ٦٧ هـ .

(٢) ولاية زهير بن قيس راجع فتوح مصر ٢٠٠ ، البيان المغرب ١: ٣١ - ٣٢ ، ابن خلدون

١٤٦:٦ ، ٨:٧ ، ياقوت ١: ٣٢٦ ، ٨١:١ .

أن خلصت له الخلافة في المشرق بالتغلب على عبد الله بن الزبير وقتله في جمادى الثانية من سنة ٥٧٣ (تشرين الاول ٩٢ م). ففي فتوح مصر (ص ٢٠٠) أن عبد الملك أمر حسان بن النعمان على افريقية في سنة ٥٧٣ ثم أمده سنة (٥٧٤) بأربعين ألفاً . فدخل حسان بن النعمان الى افريقية ومضى يسترد مدنها واحدة واحدة . فبعد أن دخل القيروان سار الى قرطاجنة وقاتل من كان قد عاد اليها من الروم ثم حاصرها وفتحها عنوة وخرّبها وفر من كان بها من الروم والفرنجية الى سقلية والأندلس . ثم اجتمع هؤلاء في صفطورة وبنزرت فهزمهم حسان ثانية فانحاز قلوبهم من الروم الى باجة وتحصنوا بها ، وهرب البربر الى بونة . كان البربر قد اجتمعوا بعد مقتل كسيلة على امرأة من بني جرّوة من البُسْتَر اتخذت مقرها بجبل أوراس اسمها دِمْيا أو دَهيا ، وتعرف بالكاهنة . لما علمت الكاهنة بمقدم حسان بن النعمان رحلت من جبل أوراس في عدد لا يحصى وسبقته الى باغاية . ثم بلغها أن حسان بن النعمان نزل بوادي مسكيانة فجاءت الى ذلك الوادي ونازلته هناك ، فانهزم العرب وقتل منهم كثيرون . ثم استطاعت الكاهنة أن تخرج العرب من افريقية وأن تدخل القيروان أيضاً ، فلم يجد حسان بن النعمان بداً من الرجوع الى برقة .

ويبدو لنا أن الكاهنة كانت سيئة الرأي جداً ، فانها اضطهدت النصارى والافارقة (١) فخرج منهم خلق كثير مستغيثين مما نزل بهم منها وتفرقوا في اسبانية وفي الجزر القريبة منها ، وكان ذلك من الأسباب التي حملت أهل المغرب على كره الكاهنة وعلى القبول بالحكم العربي وبالاسلام تخلصاً من ذلك الظلم الذي ذاقوه ألواناً على أيدي الروم والفرنجية وعلى أيدي ملوكهم أحياناً . وكان من سوء رأي الكاهنة أيضاً أنها خربت المدن وقطعت الأشجار (٢) ظناً منها أن العرب اذا رأوا في المغرب مثل ذلك الخراب ومثل هذا القحط زهدوا فيه وتركوها . وقد غاب عنها امران اثنان :

(١) سكان المغرب الاسلاميون ، المناربة ، البربر .

(٢) البيان المغرب ١ : ٣٦-٣٧ .

(١) ان الفتح العربي كان استجابة لدواعٍ كثيرة أبرزها وأجلها شأنُ الباعث الروحي لنشر الدعوة . وعمل الكاهنة لا تأثير له على هذا الباعث خاصة .
 (٢) ان العرب قد جاءوا من بلاد كثيرة الجذب ، والبدو منهم خاصة قد جاءوا من مناطق لا أشجار فيها . ولم يكن بإمكان الكاهنة ، ولو حرصت ، أن تحرب كل دار وأن تقطع كل شجرة . ولذلك ظل المغرب ، على الرغم من أفاعيل الكاهنة فيه ، جنة خضراء بالاضافة الى بوادي بني أسد .
 (٣) ثم أن عمل الكاهنة قد زاد في كره قومها لها وكان عاملاً سلبياً في التمهيد لاستقرار الحكم العربي في المغرب .

من أجل ذلك كله لا نستغرب اذا علمنا من التاريخ أن الحرب التي شنتها الكاهنة على العرب كانت آخر عزيمة للمغاربة على صد الفتح العربي .
 ولما عاد حسان بن النعمان من افريقية بالعرب الى برقة كان عبد الملك خارجاً من قتال عبد الله بن الزبير ومستقبلاً لاستئناف النزاع بينه وبين الروم في المشرق ، بعد أن كان قد هادنهم طويلاً أزمة ابن الزبير . من أجل ذلك بعث الى حسان يأمره بالتريث في مكانه من برقة حتى يأتيه أمره .

وكان من حسن حظ العرب أن جاء الى عرش الروم ، مع مجيء عبد الملك الى سدة الخلافة (عام ٦٨٥م = ٦٥-٦٦هـ) شاب في السادسة عشرة من عمره طمّاح ، قليل الأتزان سيئ الظن بالناس محب للعنف متصنف بالشراسة ميال الى سفك الدماء ، هو يوستينانوس الثاني (٦٨٥-٦٩٥م) . وقد اشترى عبد الملك السلم من يوستينانوس الثاني في أول الأمر بالمال (٥٧٠=٦٨٩م) ، قبل التغلب على عبد الله بن الزبير ، ولكن حمله على سحب المردة من جبال لبنان . ثم ان يوستينانوس الثاني اشتغل بحرب القبائل البلغارية وبحرب الصقالبة في البلقان على مقربة من دار ملكه . وفي سنة ٥٧٥م (٦٩٤م) انتزع العرب ارمينية من الروم . وزاد في قلق مركز يوستينانوس الثاني أن وقع النزاع بينه وبين البابا سرجيوس في شأن تحريم الصوم يوم السبت والأذن للكهنة بالزواج . وكذلك وقع النزاع بينه وبين البطريرك لأنه أراد (٦٩٤م) أن يهدم كنيسة في القسطنطينية لبني مكانها

بناءً خاصاً به . أضف الى ذلك كله أن حروب يوستينيانوس كانت قد استنفدت كل ما في خزينة الدولة . فلم يكن من المستغرب قط أن يتفق بطريك القسطنطينية والشعب الرومي على خلع يوستينيانوس الثاني . ورجا الروم من لاونديوس القائد الأعلى للجيش الرومي خيراً فنصبوه امبرطوراً ، ولكنهم عادوا فخلعوه بعد ثلاثة أعوام ، في ٦٩٨ م (١) .

وبعد مقتل عبد الله بن الزبير بعث عبد الملك بن مروان الى حسان بن النعمان بمدد جديد (٢) فجذب حسان في طلب الكاهنة . وكان جماعة من قوم الكاهنة قد ساءهم ما فعلت في البلاد من الخراب فخذلوا واستأمنوا الى حسان . وتقدم حسان الى أن لقي الكاهنة عند طبرقة فهزمها وقومها ثم تبع أثرها وقتلها في جبل الأوراس في موضع عرف فيما بعد ببيتر الكاهنة . وكان مقتل الكاهنة في سنة ٨٢٢ هـ (٧٠١ م) في الأغلب .

وملك حسان بن النعمان جبل أوراس ودوخ نواحيه ثم انصرف الى القيروان فدخلها في رمضان من سنة ٨٢ (تشرين الاول ٧٠١) ، بعد أن بعث البعوث الى أطراف المغرب . ومنذ ذلك الحين أستأمن جمهور البربر الى حسان وحسنه طاعتهم وأخذ الاسلام ينتشر بينهم . وأمن حسان البربر وكتب الخراج على من كان معهم من الروم والفرنجية من الذين اختاروا أن يبقوا على النصرانية . وأقام حسان بن النعمان بعد ذلك لا يغزو في المغرب . ثم أن عبد العزيز بن مروان ، أخوا عبد الملك ووالي مصر ، عزل حسان بن النعمان عن افريقية ، قيل من غير أن يستشير في ذلك أخاه (٣) .

وقبل أن يرجع حسان بن النعمان الى المشرق استخلف على افريقية رجلاً من

(١) الروم وصلاتهم بالعرب ١٦٤، ٢٧١ .

(٢) لعل ذلك كان ما بين ٧٤ و ٧٩ هـ (٦٩٣-٦٩٨ م) ، راجع ابن خلدون ٦: ١٠٩ . أما ابن هذاري (البيان المغرب ١: ٣٩) فقال : « وغزوات حسان لم تنضب بتاريخ محقق ، ولا فتحه لمدينة قرطاجنة وتونس ، ولا قتلة الكاهنة » .

(٣) ولاية حسان بن النعمان النسائي ، راجع فتوح مصر ٢٠٣ ، البيان المغرب ١: ٣٤-٣٩ .

Enc. Isl. II 626.

ابن خلدون ٣، ١٣٧، ٤ ؛ ١٨٧، ٤ ؛ ١٠٩، ٦ ؛ ٧-٨، ٩ .

جنده اسمه أبو صالح (١) أو صالح (٢). ويبدو أن حسان لم يلبث - بعد رجوعه الى المشرق - الا قليلا حتى توفي .

ولاية موسى بن نصير على افريقية

في جمادي الاولى من سنة ٨٥ (أيار ٧٠٤) توفي عبدالعزيز بن مروان والي مصر ، فولّى عليها عبدُ الملك أخاه عبدالله . وفي شوال من سنة ٨٦ (تشرين الاول ٧٠٥) توفي عبد الملك فخلفه ابنه الوليد ، فكتب الوليد الى عمه عبدالله بأنه قطع افريقية والمغرب عن ولاية مصر وولّى عليهما موسى بن نصير استقلالا ، كان موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد ، فيما ذكر ابن عذارى (٣) عن كتاب الصلة لابن بشكوال ، من لحم وقيل من بني بكر بن وائل . وذكر البلاذري (ص ٢٣٠) أن موسى بن نصير من أراشة بن بليّ (٤) أو من لحم ، وهذا كله يتعارض مع قول ياقوت (٥) من أن نصرأ والد موسى كان من سبي جبل الخليل من أرض الشام ، سُبي في أيام أبي بكر . وقيل بل كان نصير من علوج أصحابهم خالد بن الوليد في عين التمر (٦) فادّعوا أنهم من بني بكر بن وائل (٧) . وقيل فيه أيضاً إن صبيحا مولى أبي العاص بن أمية أعتقه . ثم إن معاوية بن أبي سفيان جعله على حرسه (٨) أو على خيله (٩) . ثم إنه صار وصيفاً لعبد العزيز بن مروان (١٠) .

-
- (١) فتوح مصر ٢٠٣ السطر الاخير .
 - (٢) ابن الاثير ٢ : ٤٢٧ ، ابن خلدون ٤ : ١٨٧ ، الاستقصا ١ : ٧٤ .
 - (٣) البيان المغرب ١ : ٣٩ ، ٢ : ٢٢ .
 - (٤) راجع جمهرة أنساب العرب ٤١٣-٤١٤ ، راجع البيان المغرب ٢ : ٢٢ .
 - (٥) ياقوت .
 - (٦) عين التمر التي في العراق لا التي في الحجاز .
 - (٧) أخبار مجموعة ٣ .
 - (٨) الروض المطار ٤ .
 - (٩) البيان المغرب ٢ : ٢٢ .
 - (١٠) أخبار مجموعة ٣ .

أما موسى نفسه فقيل انه ولد سنة ٥١٩هـ (٦٤٠م) في قرية يقال لها كَتَمَرْمَثْرِي وكان أعرج (١) . وولى عبد الملك بن مروان موسى بن نصير على خراج البصرة فاحتججن شيئاً من المال ، فأبى أن الحجاج بن يوسف أوّعه فهرب ناجياً الى مصر واستجار بوالها عبد العزيز بن مروان - للصلة التي كانت بين أبيه وبين عبد العزيز ، أو لصلة كانت له هو بعبد العزيز - . فذهب عبد العزيز بموسى الى دمشق وشفع له عند عبد الملك (٢) .

لما وصل موسى بن نصير الى افريقية عزل عنها صالحاً الذي كان حسان بن النعمان قد استخلفه عليها ثم أخذ يعث البعوث الى النواحي : بعث صالحاً نفسه الى بعض النواحي ، وبعث ابنه عبد الله بن موسى الى جزيرة ميورة فغنم وسبى وعاد ، ثم بعثه مرة ثانية الى بعض نواحي افريقية . وكذلك بعث ابنه مروان الى السوس في الأغلب (٣) .

ثم ان موسى سار الى زَغوان ، وهي على نحو خمسين كيلومتر جنوب تونس ، ففتحها وفتح ما حولها ، ثم فتح سجومة وطُبُنة (وهي بلدة كبيرة على ضفة الزاب) وسقرمي (وهي بلدة قرب فاس عرفت فيما بعد باسم يقرمي) . وقد أخضع قبائل هَوارة وزِنانة وكثامة. ويبدو أن موسى عطف بعد ذلك الى الشمال فوصل الى طنجة وكان لا يزال فيها يليان فسأله كما كان عقبه قد فعل من قبل : وكذلك خضع له يليان كما كان قد خضع لعقبه ، ولكنه ظل يظهر الطاعة للقوط في طليطلة . عندئذ انحدر موسى جنوباً « حتى انتهت خيله الى بلاد السوس الأدنى (البلاذري ٢٣٠) » ، وهي بلاد دَرَّعة وصحراء تافيلالت . ثم إن

(١) ياقوت ٤ : ٢٩١ .

(٢) البيان المغرب ١ : ٣٩ - ٤٠ .

(٣) البيان المغرب ١ : ٤٠ ، ابن خلدون ٤ : ١٨٧ .

موسى وجه زُرعة بن أبي مدرك الى قبائل مصمودة فصالحوه وأعطوه رهائن وأذعنوا له . وأسكن موسى في طنجة نحو سبعة عشر ألفاً من البربر وولى عليها مولاه طارق بن زياد الليثي ثم عاد الى القيروان في سنة ٥٨٨ أو ٥٨٩ (٧٠٧م) ، وفي هذا الحين أيضاً عقد موسى لعياش بن أخيل على مراكز افريقية وبعثه على جزيرة سقلية . فسار اليها عياش وغزا مدينتها سرقوسة وغنم وسبى ثم قفل راجعاً (١) .

(١) البلاذري ٢٣٠ ، البيان المغرب ٤٠:١ - ٤٢ ، ابن خلدون ٤: ١٨٧ - ١٨٨ ،
ياقوت ٣: ١٠١ ، ٥١٥ .

الفتح في الاندلس

ان فتح الأندلس كان استمراراً لحركة الفتح العامة التي خرج بها العرب من شبه جزيرتهم . لقد كان الباعث الاول للفتح روحياً غايته نشر الدعوة . ثم كان من البواعث خوف العرب في المغرب من أن يعود القوط والفرنجية ، ومن وراثيم الروم ، من قطر قريب اليهم ليس بينهم وبينه سوى عشرين كيلومتر ، ان فتح الأندلس كان ضرورة لحفظ المغرب من الغارات عليه ومن اثاره الفتن فيه . ثم كان هنالك الجيش القائم وخصوصاً بعد أن زاد سبعة عشر ألفاً من البربر الذين وضعهم موسى بن نصير تحت إمرة مولاة طارق بن زياد في طنجة . فاذا وجد هذا الجيش القائم فراغاً في وقته فإن ذلك قد يصرفه الى التنازع في ما بينه ؛

البواعث السلبية

على أنه كان ثمة بواعث سلبية عجالت بفتح الأندلس وكانت من الأسباب التي جمعت هذا الفتح واسعاً سريعاً يسيراً . من هذه البواعث السلبية :

- ١) الانشقاق في البيت القوطي الممالك والتنازع على العرش .
- ٢) كان الأشراف حزبين يشايح كل حزب منهما فريقاً من أهل البيت المالك ؛
- ٣) كان رجال الدين قد أصبحوا أغنياء وأصبحوا يهتمون ، أول ما يهتمون ، بمصالحهم الخاصة ويسوءون أقدانهم سوء العذاب كما كان يفعل الأشراف سواء بسواء .

٤) نفور أهل الطبقة الوسطى مما كانوا فيه من الاضطهاد الديني والاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي يدفعون الضرائب وحدهم ، لأن الأشراف ورجال الدين كانوا طبقتين ممتازتين لا يدفع أهلها ضرائب

الى الدولة ، بل كانوا يفرضون على أهل الطبقة الوسطى ضرائب خاصة بهم ، أما الاقنان وأهل الطبقة الدنيا فلم يكن باستطاعتهم أن يدفعوا مالاً لأحد لأنهم لم يكونوا يملكون شيئاً .

٥) أما حال الأرقاء (الأرقاء الذين يعيشون في الاقطاعات) من الناحية الاجتماعية والانسانية فقد كانت سيئة جداً : (أ) لا يتزوج أحد منهم من ذكر أو أنثى الا بأذن سيده . (ب) اذا رزق أولاداً فأولاده عبيد لسيده ، (ج) اذا اتفق أن تزوج قن في أرض بأمرأة من أرض ثانية فأولادها يقسمون بين صاحبي الأرضين .

٦) وكان اليهود خاصة تضطهدهم الدولة ويضطهدهم الاشراف ورجال الدين ، بينما كانوا هم يضطهدون أبناء الطبقة الوسطى : (أ) كانت الدولة تأخذ منهم قروضاً ثم تدفعهم الى تحصيلها من الشعب (من أهل الطبقة الوسطى) . وكان الاشراف يفعلون بهم فعل الدولة . من أجل ذلك اضطر اليهود الى التسلط بالربا على أبناء الطبقة الوسطى خاصة . ثم انهم أخذوا يعملون في النخاسة (يتاجرون بالارقاء والخصيان يأخذونهم من الأندلس أو يأتون بهم من خارجها) . أما رجال الدين خاصة فجعلوا اضطهاد اليهود سياسة صريحة لهم وحملوا الدولة على تبني تلك السياسة ، وكانوا لا يباعدون ملكاً على اسبانية الا اذا تعهد بتنفيذها . أما حجة رجال الدين في اضطهاد اليهود فهي ان اليهود قتلوا المسيح وأنهم يأخذون الربا وأنهم يعملون في النخاسة . وأقرت الكنيسة سياسة الاضطهاد هذه عام ٦١٦ م (٦ قبل الهجرة) ، في أيام الملك سيسيبوت (٦١٢ - ٦٣١ م) ، وكان روماني الهوى وكاتباً باللغة اللاتينية . وقد أعطي اليهود مهلة سنة يصبأون في خلالها الى النصرانية والا أخرجوا من اسبانية بعد مصادرة أموالهم ، فأظهر تسعون الفاً منهم النصرانية ولكنهم ظلوا يخبئون أولادهم ويضمرون اليهودية . وعلم رجال الدين بحقيقة هذا الأمر فقررروا في المجمع الرابع الذي انعقد عام ٦٣٣ م (١٢ هـ) في طليطلة (١) ، في أيام سيسيناندو في اسبانية وأيام أبي بكر الصديق في المشرق ، ما يلي :

(١) راجع في شأن هذا المجمع . Historia de Espaua III 117

(أ) يترك اليهود البالغين وشأنهم ، ولكنهم يُسَلِّمون أولادهم الى الكنيسة ،
في السنة السابعة من عمرهم ، ليصير تنشئتهم على النصرانية .
(ب) لا يتزوج عَزَبٌ يهودي الا بنصرانية ، ولا تتزوج عَزَبَةٌ يهودية
الا بنصراني ،

(ج) اذا رفض يهودي ذلك فإنه يُسْتَرَقُّ وتُصادر أمواله .
ومن الغني عن البيان أن من شأن هذه الأحوال التي ذُكرت آنفاً أن تحمل
الذين تعرضوا لها على أن يطلبوا التخلص من عواقبها بانقلاب سياسي يقضي على
الدولة الراهنة من غير أن يفكروا في أمر الدولة المقبلة . إن كل ظلم مقبل يمكن
أن يكون أخف من الظلم الذي سيأتي . فكيف اذا كانت الدولة الآتية دولة عربية
مسلمة سبقت شهرتها بالعدل والتسامح الى آذان هؤلاء المظلومين !

بليان وابنته خاصة

لم يكن تشجيع بليان لموسى بن نصير سبباً لفتح الأندلس ، بل سبباً للتعميل
بفتح الأندلس . ولا ريب في أن حمية بليان في ذلك كانت موضع استغراب شديد
من قومه ودولته ومنا نحن العرب أيضاً . ويحسن أن ننظر الى عمل بليان من
الوجه التالي :

أولاً - نرى أن بليان كان من البربر ، وكان قد رأى ما عاناه قومه من الظلم
والاضطهاد والتأخر على يد الروم والفانдал والقوط ، فدفعه العامل القومي الى أن
يقلص عن بلاده ظل الذين خربوها وظلموا أهلها .

ثانياً - يرى قوم بليان ان بليان كان من أنصار غيطشة الملك المخلوع—وكانت
زوجته بنت غيطشة—فأراد أن يرد الملك الى غيطشة وحزبه بازالة الملك من لدرىق
وحزبه . ان هذا العمل شخصي من ناحية وحزبي من ناحية أخرى . ولكن استنجد
بليان بالعرب وتيسيره غزو الأندلس لهم يعدّ ، من وجهة نظر الطبقة الحاكمة
في اسبانية ، في باب الخيانة (١) . ويبدو لنا ان غاية بليان وغاية الذين كانوا وراء

(١) راجع فوق ص ٣٨ و الحاشية .

استنجاده بالعرب كانت أن يساعدهم العرب على قلب الحكم في الاندلس ثم يرجعوا الى المغرب . غير أنه قد غاب عن هؤلاء جميعاً أن العرب الذين خرجوا من بلادهم للجهاد في سبيل الله لم يكونوا يجعلوا من دينهم ومن أنفسهم وسيلة الى تحقيق اغراض قوم آخرين : ان الذين اشترؤا الآخرة بدنياهم لا يمكن أن يبيعوا آخرتهم برد للدنيا الى غيرهم .

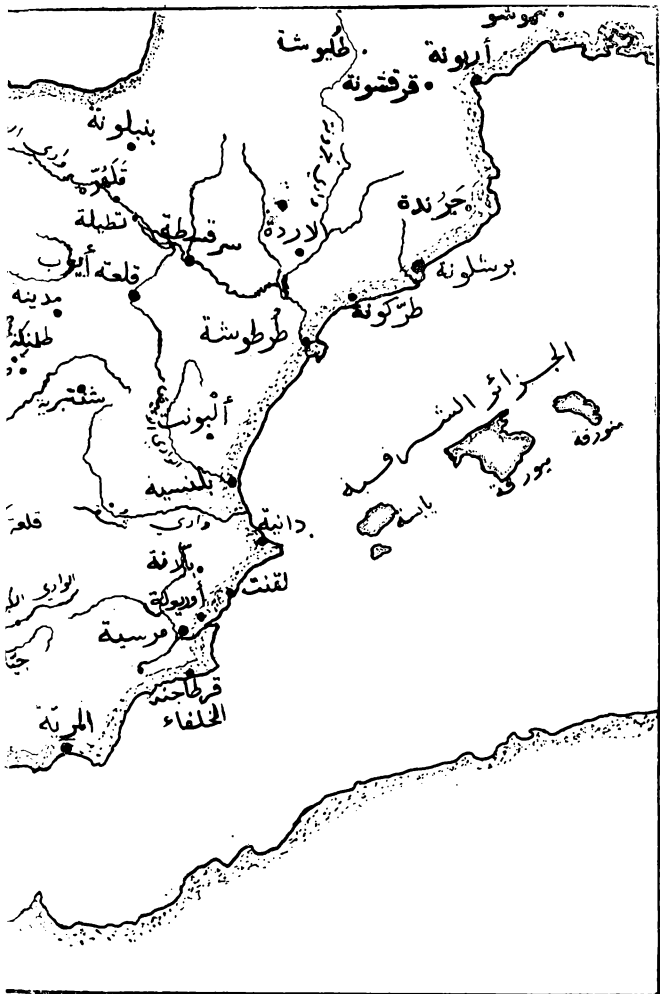
ثالثاً — ويقول آخرون أن يليان فعل ذلك انتقاماً من لذريق الذي فضحه بابنته ؛ كان من عادة الاشراف أن يبعثوا بأولادهم الى بلاطات ملوكهم لينشأوا على آداب التصور وسلوك الملوك . وكان يليان قد بعث ببنته فلوراندة الى بلاط لذريق ، فيزعمون أن لذريق استحلاها وفضحه فيها . ان قصة فلوراندة بنت يليان قد تكون خرافة وقد تكون حادثة صحيحة ، ولكن مما لا ريب فيه أنه لا صلة لها بفتح العرب للاندلس .

أ) ان عداوة يليان للذريق ترقى الى العام الذي خلع فيه حموه غيطشة ، قبل ان يكون الاتصال المزعوم بابنته .

ب) ان قصة ابنة يليان مع لذريق تشبه قصة ابنة قيصر الروم مع امرىء القيس ، فقد زعموا من قبل أيضاً أن أمراً القيس ، لما ذهب في عام ٥٣٨ م الى القسطنطينية يستنجد بالامبراطور يوستينيانوس الاول ويطلب منه جيشاً ليحارب به بني أسد ، أحب ابنته واتصل بها . فغِيظَ قيصر (يوستينيانوس) وأهداه حلة مسمومة تقرح منها جسده ومات ، ولذلك سمي امرؤ القيس « ذا القروح » (١) .

ج) ان واضع القصتين ، قصة ابنة يليان وقصة ابنة قيصر ، عربي نظر الى الموضوع من وجهة نظر البيئة الشرقية البدوية العربية الاسلامية ، بينما نحن نعلم من التاريخ أن الفسق والفجور كانا سائدين في بلاد الروم وبلاد القوط الى درجة أن مثل هذا الحادث — لو حدث فعلاً — لما أمكن أن

(١) الاغاني ٩ : ٧٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .



فتح الأندلس

خطته وسيّره :

لما صحت عزيمة موسى بن نصير على التعجيل بفتح الأندلس لم يشأ أن يغامر بجيوشه قبل أن يستوثق مما كان قد أخبره به يليان. لقد كانت الفرصة سانحة في كل مكان : فالدولة الأموية كانت يومذاك في أوج قوتها ، أما القسطنطينية فكانت نهياً للفوضى : فان يوستينيانوس الثاني الذي جاء الى العرش للمرة الثانية (٧٠٥ - ٧١١ م) لم يلق بالآ إلا الى النار لنفسه من كانوا قد أساءوا اليه في أثناء توليته الاولى (٦٨٥ - ٦٩٥ م) . لقد بدأ ولايته الجديدة بقطع رأس سلفه طيباريوس الثالث . ثم انه أمر في عام ٧٠٩ م (٩٠ - ٩١ هـ) بقتل حرس مدينة رافينة (رفتاً) في ايطالية انتقاماً منهم لأنهم كانوا قد خذلوه قبل خمس عشرة سنة ، في أثناء ولايته الأولى : وبعد مدة سيرة استدعى الامبراطور يوستينيانوس الثاني البابا قسطنطين الأول الى القسطنطينية في عام ٧١٠ م : ومع أنه احتفى به احتفاءً بالغاً فانه لم يسمح له بالرجوع الى رومية إلا في الرابع والعشرين من تشرين الأول من عام ٧١١ (١) ، بعد معركة وادي لكته بثلاثة اشهر ، وبعد ان حمله على التنازل عن بعض سلطاته من جديد : وكذلك انتقم من أهالي خرصون لأنهم أساءوا استقباله لما حل الى بلدهم منفيّاً بعدخلعه عام ٦٩٥ م . وفي كانون الأول من عام ٧١١ (صفر ٩٣) - بينما كان العرب يسرون في الأندلس يفتحونها فتحاً يسيراً هيناً - ثار الروم على يوستينيانوس الثاني وخلعوه ثم

(1) Enc. It. XI 611 a .

قطعوا رأسه (١) . اما في الأندلس نفسها فان القوط كانوا مشغولين بالفتن والمكائد في الداخل ، وبحروب الفرنجة في شمالي بلادهم .

رحلة يوليان

ولم يسرع موسى بن نصير الى قبول رأي يوليان في غزو الأندلس ، إذ يبدو أن موسى خشي ان يكون يوليان قد دبر للجيش الاسلامي مهليكا . من أجل ذلك اقترح موسى على يوليان ان يذهب هو اولاً الى استكشاف ساحل اسبانية وان يحاول النزول في مكان امين منه . ففي اواخر سنة ٩٠ هـ (خريف عام ٧٠٩ م) أبحر يوليان في عصابة من أتباعه من سبته ونزل على ساحل الجزيرة الخضراء فقتل وسبي وغنم وأقام بها يوماً يشن الغارات . وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا يوليان (٢) ،

حملة طريف

ومع ذلك كله فان موسى لم يطمئن فأرسل حملة صغيرة فيها أربعمائة رجل (٣) منهم مائة فارس بقيادة مولى له من البربر اسمه طريف (٤) . وجاز طريف البحر في أربعة مراكب أعارها يوليان للعرب حتى نزل في مكان يقال له جزيرة الأندلس فيها محاذي طنجة - غرب المكان الذي كان يوليان قد نزل فيه - وكانت مكاناً صالحاً للنزول (٥) .

وأقام طريف في هذه الجزيرة التي عرفت فيما بعد باسمه « جزيرة طريف » حتى تتألم أصحابه ثم أغار عليها وعلى ما يليها بمعونة يوليان (٦) . وعاد طريف من

(1) Cf. Bréhier I 68, 70-71 .

(١) راجع ابن الأثير ٤ : ٤٤٦ ، الروض المطار ٨ ، نفع الطيب ق ١ : ١١٨ ، Lévi - Provençal I 16 .

(٣) في نفع الطيب : مائة فارس وأربعمائة رجل (ق ١ : ١٠٦) ، ... الف رجل (ق ١ : ١١٩) .

(٤) طريف بن مالك النخعي (ابن خلدون ٤ : ١١٧) ، ... بن ملوك المعافري - بتشديد اللام - (الروض المطار ٨) .

(٥) Historia de Espana III 23, 59

(٦) نفع الطيب ق ١ : ١٠٦ .

غزوته هذه الى طنجة بغنائم كثيرة وأسرى ومعلومات هي أثنى من تلك الغنائم؛ وكانت تلك الحملة في رمضان من سنة ٩١ (١) وتموز من عام ٧١٠ :

حملة طارق

وفي العام التالي بعث موسى بن نصير مولى آخر له اسمه طارق بن زياد (٢) : في سبعة آلاف رجل جلهم من البربر والموالي (٣) وأقلهم العرب لفتح الاندلس . وبدأت سفن (يوليان) الاربع تنقل الرجال واخييل والعتاد ، بينما كان موسى جاداً في بناء سفن أخرى. ثم إن طارقاً جاز البحر في آخر الناس ، وكان نزوله على الشاطيء الاسباني في الخامس من رجب من سنة ٩٢ (٤) ، الموافق للثامن والعشرين من نيسان ٧١١ ، عند رأس في أقصى الجنوب ، في جزيرة الاندلس أو جزيرة طريف في موضع عرف فيما بعد باسم جبل طارق. ويزعمون أن طارقاً أحرق السفن لما نزل بجنوده الى البر ثم ألقى خطبة يحرّض المجاهدين فيها على القتال (٥) .

» وفي حكاية أن طارق بن زياد لما ركب البحر غلبته عيناه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي ، فيقول له النبي : يا طارق ، تقدم لشأنك ! ونظر (طارق) اليه والى أصحابه قد دخلوا الأندلس قدّامه . فهب من نومه مستبشراً ، وبشّر أصحابه ،

(١) راجع أخبار مجموعة ٦ ، ابن الأثير ٤ : ٤٤٤ ، البيان المغرب ٢ : ٤ ، ٥ ، الروض المطار ٨ ، ١٢٧ .

(٢) قيل في طارق انه عربي وأنه طارق بن عمرو (فتوح مصر ٢١٠) أو طارق بن زياد الليثي . وقيل بل هو فارسي (نفتح ق ١ : ١١٩) . والصحيح أنه من البربر من نفاوة ، وقد ساقوا نسبه من طرق مختلفة (راجع البيان المغرب ١ : ٤٣ ، ٥ : ٢ ، الروض المطار ٧٥) .
(٣) ابن الأثير ٤ : ٤٤٤ ، أخبار مجموعة ٦ . وقيل كان فيهم ستة عشر رجلاً من العرب فقط (فتوح مصر ٢٠٤ ، الروض المطار ٩) .

(٤) ابن الأثير ٤ : ٤٤٤ . وقيل يوم سبت من شعبان ٩٢ الموافق لشهر غشت - أغسطس - آب ، وقيل في رجب (الروض المطار ٩) . راجع أيضاً نفتح الطيب ق ١ : ١١٩ .
(٥) الروض المطار ١٠ ، نفتح الطيب ق ١ : ١٢١ . لا يمكن أن يكون طارق قد أحرق السفن لأن هذه السفن كانت ليوليان ، ولأن الحاجة اليها كانت شديدة للتردد بين الشاطئين ، فان سبعة =

ولم يشك في الظفر (١) « : فإذا صححت الرواية في هذه الرؤيا ، فإنها تدل بلا شك على رغبة طارق في تحقيق فتح الأندلس وعلى اعتلاج هذه الرغبة في عقله الباطن .

ويبدو ان موسى كان قد أمر طارقاً ، من باب الاحتياط ، ان يعود الى افريقية إذا ظفر في قتال القوط في الأندلس ، او أن يلبث مكانه ينتظر منه أمراً جديداً (٢) : وكذلك كان موسى قد بعث يوليان مع طارق ليدله على عورات البلاد وليتحسس له الأخبار (٣) ،

المرحلة التمهيديّة

وسار طارق من المكان الذي نزل فيه متجهاً نحو الشمال الى قرية قرطاجنة الاندلس : ان قرطاجنة هذه مدينة أزلية (قديمة ، أثرية) لم يكن فيها يومذاك سوى حصن جعل لها قيمة عسكرية لأنها كانت ثغراً (مكاناً يخشى منه مجيء العدو) من ثغور الاندلس . وتقع قرطاجنة هذه على مقربة من جبل طارق غير بعيدة عن مصب نهر صغير يصب في خليج مدينة الجزيرة الخضراء ويعرف باسم

== آلاف رجل مع سلاحهم وأعدتهم لا يمكن أن ينتقلوا مرة واحدة في أربع سفن . ثم ان موسى كان في هذه الاثناء ينشئ سفناً جديدة (اخبار مجموعة ٧) فليس من المعقول إذن أن يحرق طارق السفن المبنية . ولو ان طارقاً أحرق تلك السفن لكان في عمله ذلك غفلة عسكرية تتمعن من الانسحاب فيها لو اضطر اليه . وسرى بعد بضعة اسطر (ص ٨٥) أن طارقاً قد رتب المعركة على نظام يتمكن معه من الانسحاب فيها لو اضطر اليه . وأما الخطبة فلا يمكن أن تكون قد صدرت عن طارق . كان طارق بربرياً ومولى لموسى بن نصير الذي تولى الاندلس بعد سنة ٨٦٦ ، فلا يعقل أن تبلغ مقدرة طارق في اللغة العربية والبلغة الى الحد الذي يبدر في هذه الخطبة . فاذا أضفنا الى ذلك كله أن الخصائص في هذه الخطبة عباسية لم نعد الصواب إذا جزمنا بأنها منحولة ، خصوصاً وهي لا تذكر إلا في المراجع المتأخرة . ذكر المقرئ (نفع الطيب ق ١ : ١٠٧) ان طارقاً كان حسن الكلام ... ثم روى له شعرا (ق ١ : ١٢٤) .

(١) ابن الأثير ٤ : ٤٤٥ ، الروض المطار ١٠ ، راجع نفع الطب ق ١ : ١٠٧ ، ١١٩ .

(٢) راجع البلاذري ٢٣١ .

(٣) أخبار مجموعة ٧ ، ابن الأثير ٤ : ٤٤٥ ، راجع فتوح مصر ٢٠٥-٢٠٦ ، البيان

المغرب ٢ : ٧ ، الروض المطار ١٣١ .

وادي البحر : وبعد أن استولى طارق على قرطاجنة اتجه جنوباً في غرب الى مدينة الجزيرة الخضراء . غير أنه أدرك وشيكاً - وبعد ان نصح له يوليان في الاغلب - أن الميدان الموافق للمعركة المقبلة انما هو في موضع آخر ، فانقل بجيشه نحو الغرب ونزل ، في الاعم الاغلب، في اقليم البحيرة عند مدينة لكّنه من كورة شذونة قريباً من نهر لكّنه أو بكه (١) .

لقد اختار طارق مكان المعركة وفرض ذلك المكان على خصمه . ثم انه
رتب المعركة بأن نزل بمعظم الجيش على سفح المرتفعات الواقعة جنوب مستنقعات إقليم البحيرة (٢) ليجعل من هذه المستنقعات حاجزاً بينه وبين القوط ومن تلك المرتفعات حامياً له من ان يباغت من خلفه . ثم انه أقام عدداً من الجند بقيادة طريف في جزيرة طريف ليحمي بهم مؤخرة جيشه (٣) ، وترك الطريق بينه وبين الجزيرة الخضراء مفتوحاً لينسحب منه اذا اضطر الى ذلك .

في ذلك الحين كان لذريق مشغولاً في الشمال يقاتل الفرنجة عند مدينة بنبلونة من بلاد البشكنس . فلما علم بتزول العرب على أرضه انحدر مسرعاً « بحر أمم الأعاجم وأهل ملة النصرانية في زهاء أربعين الفاً » (٤) نحو قرطبة ليجيش فيها ومن حولها أكبر عدد يمكن تجييشه ، فيقال ان جيش القوط بلغ بعد ذلك مائة الف (٥) . ولعل في هذا العدد شيئاً كثيراً او قليلاً من المبالغة ، ولكن جيش القوط كان على كل حال أكثر عدداً من الجيش العربي . وكان لذريق قد تولى بنفسه قيادة قلب الجيش القوطي ، وجعل على جناحيه ابني غبطشة : شبشرت على ميمنته وأبّة على اليسرة . وأدرك طارق ان السبعة الآلاف الذين معه لا يكفون لحوض المعركة المقبلة فكتب الى موسى بن نصير يستمده ، فأمدّه موسى

-
- (١) فتوح مصر ٢٠٦، ابن الاثير ٤: ٤٤٥ ، البيان المغرب ٢: ٨ ، الروض المعطار ١٦٩، ١٣٣-١٩٤ .
(٢) نفع الطيب ق ١ : ١٢٠ ، ١٢١ .
(٣) نفع الطيب ق ١ : ١٠٧ ، ١١٩ . ابن خلدون ٤ : ١١٧ ، راجع البيان المغرب ٢: ٩ .
(٤) ابن خلدون ٤ : ١١٧ .
(٥) أخبار مجموعة ٧ ، ابن الأثير ٤: ٤٤٥ نفع الطيب ق ١ : ١٠٧ . في الروض المعطار (ص ١٠) : وكان الطاغية (لذريق) في سبائة الف فارس .

بخمسة آلاف رجل فتم له بذلك اثنا عشر ألفاً كلهم رجالة ليس فيهم فرسان ، معظمهم من البربر (١) ، ومعهم يوليان يدنهم على العورات ويتحسس لهم الأخبار (٢) .

معركة وادي لكة

فلما تراءى الجمعان (٣) ثبت طارق في مكانه وأطمع لذريق في أن يقطع المستنقعات إليه ، على غرار الخطة التي كان خالد بن الوليد قد رتبها على نهر اليرموك (٤) . ونسبت المعركة بين العرب والقوط في ٢٨ رمضان سنة ٩٢ (١٩ تموز ٧١١) . ثم ان شبشرت وأبته خذلا لذريق بمن معهما . ولم يكن ذلك منهما خيانة بالمعنى المألوف ، فقد ظنا أن العرب اذا امتلأت ايديهم من الغنائم عادوا الى المغرب ، كما كان طريف قد فعل من قبل (٥) . ولكن جيش طريف كان رائداً ولم يكن فاتحاً !

وحاول لذريق أن يثبت للعرب طويلاً فلم يستطع . وبعد ثمانية ايام من القتال الشديد تقطع الجيش القوطي وانهمز لذريق على وجهه ثم لم يُعرف ما فعل الله به : قيل قُتل في المعركة فعر فيها على أشلائه (٦) ، وقيل غرق في النهر فلم يعثر له على أثر (٧) ، وقيل بل انسحب الى الشمال لينظم المقاومة القوطية من جديد (٨) .

(١) فتوح مصر ٢٠٨ ، ابن الأثير ٤ : ٤٤٥ ، راجع البيان المغرب ٢ : ٦ . نفع الطيب ق ١ : ١٠٧ .

(٢) نفع الطيب ق ١ : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ .

(٣) بذكر ابن خلدون ان اللقاء كان بفحص شريش (٤ : ١١٧) ، على نحو خمسين كيلومتر (راجع الروض المطار ١٠٠) من مستنقعات وادي لكة شمالا في غرب .

(٤) راجع العرب والاسلام في الحوض الشرقي ٦٢ - ٦٤ .

(٥) أخبار مجموعة ٧ - ٨ ، ابن الأثير ٤ : ٤٤٥ ، راجع نفع الطيب ١ : ١٠٨ ، ١٢٠ .

(٦) فتوح مصر ٢٠٦ ، البيان المغرب ٢ : ٩٤٧ ، الروض المطار ١٩٤ . وقيل وجدوا حصانه الأشهب (نفع ق ١ : ١٢١) .

(٧) اخبار مجموعة ٩ ، البيان المغرب ٢ : ٩ .

(٨) راجع ابن خلدون ٤ : ١١٧ (هزمه الله) . يذكر هذا كثير في المراجع الافرنجية ، راجع

• Lévi - Provençal I 22

والذي يعرفه التاريخ ان آثار لذريق قد ضاعت بعد معركة وادي لكة ، وكل ما يقال بخلاف ذلك انما هو من عالم الخرافة (١) .

كانت معركة وادي لكة في الأندلس كالبرموك في الشام والقادسية في العراق وناهوند في فارس : لقد قضت معركة وادي لكة على الجيش القوطي وفتحت أبواب الأندلس امام العرب !

وسمع المسلمون في المغرب بهذا النظر فجازوا الى الأندلس مجاهدين (٢) :

استئناف الحرب : معركة أستجة

ثم مضى طارق نحو مضيق الجزيرة (٣) ، ومن هنالك اتجه الى إستجة حيث اجتمعت فلول القوط ، بعد معركة وادي لكة ، مع المدد الذي جاء اليها من المدن القوطية المختلفة . وتقع أستجة على الضفة الشرقية من نهر سنيل أو سنجيل ، أحد روافد الوادي الكبير ، وعلى نحو خمسة وسبعين كيلومتر من قرطبة . وخاض القوط هنالك معركة يأس مع العرب وقاتلوا قتالاً شديداً حتى كثر القتل والجراح بين المسلمين . ثم انهزم القوط بعد ان استولى طارق على أستجة عنوة . وقد انهارت بعد أستجة مقاومة القوط ولم يبق هنالك خطة دفاع موحدة ، بل اصبحت كل مدينة تتولى أمر نفسها بنفسها . ثم ان النبلاء القوط – من الذين صمموا على استمرار المقاومة – انسحبوا في اتجاه طليطلة وتحصنوا في عدد من المدن التي يكثر فيها السكان القوط المتصلين بالطبقات الحاكمة . على ان جموعاً صغيرة من الناقمين على حكم لذريق انضمت الى العرب ، كما بدأ منذ ذلك الحين انضمام اليهود الى العرب (٤) .

(1) Historia de Espana III 138.

(٢) نفع الطيب ق ١ : ١٢١ .

(٣) أخبار مجموعة ٩ ، البيان المغرب ٢ : ٨ .

(٤) راجع في ذلك كله أخبار مجموعة ٩ - ١٠ ، البيان المغرب ٢ : ٨ ، ابن الأثير ٤ : ٤٤٦ ،

الروض المعطار ١٤ .

خطة الفتح المقبلة

تذكر طارق الآن أمر موسى بن نصير له بالرجوع الى افريقية بعد التغلب على القوط ، إن صح ذلك (١) ، فوقف يتأمل حال العرب وحال القوط فعزم طارق - بعد ان شجعه يوليان ايضاً ، بلاريب - على المضي في الفتح مدفوعاً بالعوامل التالية :

أ- كان طارق يخشى - اذا توقف الزحف - أن يترد اليه القوط ويكروا عليه فيضيع ما فتحه ويتعرض الجيش لخطر الابداء ، لا سيما والقوط في بلادهم بينما العرب بعيدون عن مراكز تموينهم وإمدادهم .

ب- اذا أمر القائد جيشه الظافر بالتوقف فجأة انكسرت حمية الجيش ، وربما كان في ذلك مدعاة الى الاختلاف والتنازع .

ج- ان عنصر الزمن مهم في الحرب وغير الحرب ، فلم يجد طارق - فيما يبدو - مبرراً لإضاعة الوقت . أضف الى ذلك أن القائد في الميدان يرى ما لا يراه القائد الأعلى في العاصمة ، وخصوصاً في تلك الأيام التي لم يكن نقل الأخبار فيها ميسوراً في وقت قصير .

د- لم يكن امتناع طارق عن التقييد بأمر قائده الأعلى عصياناً بل احتياطاً ، وسنرى أن طارقاً كان قد حزم أمره على تسليم القيادة لموسى حينما يصل موسى الى حيث يكون طارق قد بانغ ، من غير ضرورة الى التوقف في مكان معين .

خطوط الفتح

قسم طارق الجيش أربعة أقسام : بعث قسماً منه بقيادة مغيث الرومي ، مولى عبدالمملك بن مروان ، الى قرطبة ، وبعث قسماً آخر الى مالقة ، ثم بعث قسماً ثالثاً الى إلبيرة وأمره بأن يتابع طريقه بعد ذلك الى مرسية . ثم سار هو ببقية الجيش في اتجاه طليطلة . وكان قد جعل في كل من هذه الأقسام أدلاء من أصحاب يوليان ،

(١) راجع فوق ، ص ٨٤ .

١ - سار مغيث الرومي في سبعمائة فارس (١) حتى وصل الى شَقْنُدة بعدوة نهر قرطبة قبالة قصرها ثم جاء الى طَرْسَيْلَ ، على ثلاثة أميال من قرطبة ، فوجد أن أهلها قد غادروها ولم يبق فيها سوى بطريقها (حاكمها العسكري) مع أربعمائة فارس ونفر من ضعفاء أهلها فحاصرها مدة ثم فتحها حيلة بالتسور عليها ليلاً. ولكن حاميها استطاعت النجاة الى كنيسة حصينة خارج قرطبة من الناحية الغربية تدعى كنيسة شنت أجليح (٢) . وبعد حصار شهرين في الأغلب ، او ثلاثة اشهر ، فتح العرب كنيسة شنت أجليح عنوة . فترك مغيث الرومي في قرطبة حامية صغيرة من العرب وضم الى تلك الحامية يهود قرطبة ثم مضى في سبيله (٣) .

٢ - أما الجيش الذي توجه الى مالقة ، على الشاطئ الجنوبي من الأندلس ، فقد فتحها وجميع أعمالها (منطقة مالقة ، بين قرطبة والبحر) فتحاً يسيراً هيناً ، بعد أن هرب علوجها (القوط والفرنجة) الى جبال رية واعتصموا بها . ولم يجد العرب في مالقة يهوداً (٤) .

٣ - وأما الجيش الذي توجه الى إلبيرة فاتجه اولاً جنوباً في شرق حتى احتل أرشذونة (بضم الهمزة والشين والذال) ثم عطف شرقاً نحو غرناطة مدينة كورة إلبيرة ففتحها فتحاً هيناً ، لأن كثيراً من أهلها كانوا يهوداً ، وقد استعان العرب بهم على ضبط المدينة وإدارتها ومساندة الحامية العربية فيها (٥) . وكان في الجيش الذي فتح غرناطة المجاهد المشهور حنّش بن عبدالله الصنعاني (٦) فأسس فيها مسجداً . وسرى حنّش الصنعاني في مناسبات كثيرة يؤسس المساجد في البلدان الأندلسية التي فتحها العرب .

(١) غنم العرب غيلا من القوط حتى أصبح جيشهم كله جيش فرسان (راجع نغم الطيب ق ١: ١٢٢) .

(٢) كنيسة القديس أخيلو ، راجع Alcántara 25 .

(٣) راجع في ذلك كله أخبار مجموعة ١٠ - ١٤ ، البيان المغرب ٢ : ٩ - ١٠ ، راجع تفصيل حصار قرطبة وكنيستها في نغم الطيب ق ١ : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) أخبار مجموعة ١٢ ، البيان المغرب ٢ : ١١ .

(٥) راجع أخبار مجموعة ١٢ .

(٦) راجع فوق ، ص ٦٠ .

٣ ب - ثم ان الجيش الذي كان قد سار الى غرناطة سار هو نفسه الى مرسية ، في الجانب الشرقي الجنوبي من الأندلس . وكان في مرسية نبيل قوطي اسمه تيودمير ، وقد عرفه العرب باسم تدمير بن عبدوس ، يعيش شبه مستقل في تلك المنطقة منذ أيام القوط . واختار تدمير هذا ان يقاوم العرب فانهزم أمامهم هزيمة منكرة في قرطاجنة الخلفاء ، وهي ثغر مدينة مرسية ، حتى كاد أصحابه أن يفنوا . عندئذ انسحب تدمير بمن بقي معه الى مدينته أوريوالة وعمد الى الحيلة فأمر النساء فنشرن شعورهن ثم أعطاهن القصب وأوقفهن على سور المدينة وأوقف معهن بقية الرجال ليوهم العرب بأن في المدينة حماة كثيرين . ثم ان تدمير هبط بنفسه على هيئة الرسول فاستأمن على نفسه وما يملك من بلاد ، فأمنه العرب على ذلك كله وعقد عبدالعزيز بن موسى بن نصير بينه وبين تدمير معاهدة (١) هذا نصها (٢) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبدالعزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوس (٣) أنه نزل على الصلح ، وأن له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يُقَدِّم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر (٤) ولا يُترَع من ملكه (٥) ، وأنهم لا يُقتلون ولا يُسبّون ولا يُفارق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ، ولا يُكروهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم ولا يُترَع من كنائسهم ما يُعبد . وذلك ما أدى الذي اشترطنا عليه (٦) . وأنه (اي تدمير بن عبدوس) صالح على سبع مدائن : أوريوالة وبلتنة وكتنت وموئله وبلانة ولورقة وألّه لا يؤوي (٧) لنا أبقا ولا يؤوي لنا عدوا ولا يخيف لنا آمنا ولا يكتم خبر عدو

-
- (١) أخبار مجموعة ١٢-١٣ ، البيان المغرب ٢: ١١ ، ابن الاثير ٤: ٤٤٦ ، فتح ١: ١٢٤ .
الروض المطار ٣٤ ، ١٥٢ ، ١٧١ .
(٢) الروض المطار ٦٢-٦٣ .
(٣) عبوش (الروض المطار ٦٣ ، راجع الترجمة الفرنسية ٧٩) .
(٤) لا يقدم ولا يؤخر (بالبناء للمجهول) : لا يغير شيء من احوالهم الراحة .
(٥) هذا نص على أن يبقى تدمير مستقلا في ما كان تحت يده من قبل .
(٦) ما دام يقوم بما تعهد به للعرب .
(٧) في الأصل : يأوي .

عَلِمَهُ : و (صالح على أن) عليه وعلى (كل واحد من) اصحابه ديناراً كل سنة واربعة امداد قمح واربعة امداد شعير واربعة اقساطٍ طلاء(١) واربعة اقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت . وعلى العبد نصف ذلك . وكتب في رجب في سنة ٩٤ (٢) من الهجرة .

فلما تسلم تدمير كتاب الصلح هذا من عبد العزيز بن موسى أدخل العرب الى أوريولة فرأوا ما فيها من ضعف الحامية وأدركوا خدعة تدمير وعلموا أنه كان بإمكانهم دخول المدينة عنوة . وقد أسفوا لما حدث ولكنهم وقوا للتدمير بما كانوا قد شرطوا له على أنفسهم في كتاب الصلح (٣) .

طارق يتجه الى طليطلة

(٤) في هذه الاثناء كان طارق قد سار بمعظم الجيش الى جيّان (٤) يريد طليطلة . وكان أهل طليطلة قد غادروها وفرّ عالجها (حاكمها) الى مدينة خلف الجبل يقال لها مابة (٥) . وكذلك كان اسقفها سنديريد قد تركها ايضاً ولحق برومية (٦) .

وكانت غنائم طارق في طليطلة كثيرة ، لأن طليطلة كانت دار مالك القوط : على ان الغنيمة التي كثر الحديث عنها في المصادر العربية(٧) وفي المصادر والمراجع

(١) القسط (بكر القاف وسكون السين) : مكيال يسع نصف صاع (٧٥٠ غراماً) . الطلاء في الاصل الخمر . والملوح هنا أن الطلاء عصير العنب المدّ لصنع الدبس ، لأن الخمر من المحرمات ولا يجوز لمسلم أخذها في زكاة او جزية او بيع وشراء الخ .

(٢) ٤ رجب من سنة ٩٤ = ٥ نيسان من عام ٧١٤ . راجع :

Alcántara, pàg. 26, nota al pie 1; La péninsule ibérique, p. 79 et note 4.

(٣) البيان المغرب ٢: ١١ ، أخبار مجموعة ١٣ ، الروض المطار ١٥٢ .

(٤) ابن الاثير ٤: ٤٤٦ . نفع الطيب ق ١: ١٢٢ .

(٥) ابن الاثير ٤: ٤٤٦ . في اخبار مجموعة (ص ١٤-١٥) وفي البيان المغرب (٢: ١٢) = مدينة المائة ، وفي فتوح مصر ص ٢٠٧ مدينة يقال لها فراس (بكر القاف) ، على يمين من طليطلة .

Le primat Sindered, cf. Lévi-Provençal I 23 (٦)

(٧) أخبار مجموعة ١٤-١٥ ، البيان المغرب ٢: ١٢ ، الروض المطار ٥ ، ١٢٢ ، ١٣١ .

١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٧٩ ، الخ ، فتوح ٢٠٨ ، ٢٠٧ .

الافرنجية كانت منضدة ثمينة مُحلّاة بالحجارة الكريمة سماها العرب مائدة سايمان فقالوا ان طارقاً وجدها في مدينة خاصة بها تحمل اسمها ، مدينة المائدة (١) ، على اننا إذا علمنا ان مائدة سليمان هذه لم تكن سوى « مقرأة » يوضع عليها الانجيل مفتوحاً اقراءته (٢) لم نعدُ الصواب إذا اخذنا ببعض روايات ابن عبد المنعم الحميري من ان هذه المائدة وجدت في مدينة طليطلة نفسها (٣) وفي كنيسة مدينة طليطلة على وجه الحصر ، اي في كنيسة الملك (٤) .

حملة موسى

لعل السبب الذي دعا موسى الى اللحاق بطارق والنتائج التي نشأت من لقاؤهما من أغمض الأمور في تاريخ فتح الأندلس . يبدو مما أجمعت عليه المصادر او كادت ان موسى بن نصير لما وصلته اخبار طارق وما فتح الله عليه من البلاد بتلك السهولة المدهشة والنجاح العظيم حركته الغيرة وحسد طارقاً فكذب اليه يتوعده إن هو توغل في الأندلس بغير إذنه وبأمره بالألا يجاوز المكان الذي يصله فيه كتابه بهذا الشأن (٥) حتى يباحق هو به (٦) . والأصح عندنا ان يقال في ذلك ان موسى كان قد رأى ان الحملة قد نجحت ، وأنه إنما كان قد أرسل طارقاً ليتحسس البلاد قبل قيامه هو بالحملة الرئيسية ، كما كان قد أرسل طريفاً من قبل ، وهذا كان تمشياً مع سياسته العامة في الفتح :

واستخلف موسى على القيروان ابنه الأكبر عبدالله وخرج في عشرة آلاف — وقيل في ثمانية عشر الفاً (٧) — وكان معه في الجيش وجوه العرب من قيس

(١) الروض المطار ١٧٩ .

(٢) راجع الروض المطار ١٣٢ ، Cf. Alcantara, p. 27, nota 2 .

(٣) الروض المطار ٢٠، ١٣١ ، فتوح مصر ٢٠٨ .

(٤) الروض المطار ١٢٢، راجع ١٩١ .

(٥) قيل كتب اليه ألا يجاوز قرطبة ، وقيل ألا يجاوز موضع هزيمة لذريق (البلاذري ٢٣١ ، البيان المغرب ٢ : ١٣) .

(٦) فتوح مصر ٢٠٧ ، أخبار مجموعة ١٥ ، البيان المغرب ٢ : ١٣ ، ابن الأثير ٤ : ٢٧٦ ، ابن خلدون ٤ : ١١٧ .

(٧) أخبار مجموعة ١٥ .

واليمن ومن اهل الشام ومن وجوه الموالي وُعرفاء البربر : وخرج معه ايضاً حبيب بن ابي عبدة (١) بن عقبة بن نافع (٢) ، ونهض موسى من القيروان في رجب من سنة ٩٣ ووافى خليج الزقاق ما بين طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الى الأندلس ونزل فيها في رمضان من سنة ٩٣ (٣) وحزيران من عام ٧١٢ . وسلك موسى في الفتح طريقاً غير الطريق التي سلكه طارق : سلك طريقاً غربياً حتى جاء شذونة - مدينة شذونة او مدينة ابن السلم (٤) - بعدئذ تقدم شمالاً نحو قرْمونة ، وكانت حصينة جداً ، ففتحها خدعة بأن واطأ اصحاب يوليان فتقدموا من المدينة وكأنهم منهزمون من العرب ، ثم دخلوا المدينة . فلما جنّ الليل فتحوا باب قرطبة (٥) للخيل التي كان موسى قد بعثها لفتح تلك المدينة . ثم عطف موسى شمالاً نحو اشبيلية فحاصرها اشهرراً حتى فتحها فهرب علوجها الى باجة - على نحو مائة وثمانين كيلومتر من اشبيلية غرباً في شمال ، على نهر واديانه - ففتح في طريقه قلعة وادي أيرُه (٦) ثم تابع مسيره غرباً الى لبلة ثم الى باجة (٧) :

حصار ماردة وفتحها

ماردة قاعدة من قواعد الاندلس كانت احدى العواصم القديمة الاربع : اشبيلية وماردة وقرطبة وطليطلة (٨) ، وكانت حصينة جداً . بعد ان سقطت قرطبة

- (١) ويقال عبدة بالتصغير (فتوح مصر ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٢ الخ) ، جبهة انساب العرب ١٦٨ .
- (٢) فتوح مصر ٢٠٧ ، الطبري ٢ : ١٢٥٣ ، ابن الأثير ٤ : ٢٧٦ ، البيان المغرب ٢ : ١٣ ، وفي ابن خلدون (٤ : ١١٧) : حسين بن ابي عبدالله المهدي القهري (كذا) .
- (٣) الطبري ٢ : ٥٣ ، ١٢٥٤ ، ابن الأثير ٤ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٤٤٧ ، البيان المغرب ١٢ : ٢ ، ٤٣ : ١ .
- (٤) جاء في الروض المطار (ص ١٦٢ ، السطر الاخير) : «مدينة شذونة التي تعرف في عصرنا بمدينة ابن السلم» .
- (٥) باب مدينة شذونة الذي يؤدي الى طريق قرطبة .
- (٦) قلعة على مسافة يسيرة من اشبيلية شرقاً في جنوب ، على وادي أيرُه احد روافد النهر الكبير (راجع أخبار مجموعة ١٠٣ وقارن ذلك بالنص الاسباني Alcántara 95-96 وراجع الخارطة : Bartholomew's Spain & Portugal.
- (٧) أخبار مجموعة ١٥-١٦ ، البيان المغرب ١ : ٤٣ ، ٢ : ١٣-١٤ ، ابن الاثير ٤ : ٤٤٧ .
- (٨) الروض المطار ٦ ، ٢٠ .

واشيلية وَاغرناطة وسواها من مدن الأندلس انسحب عدد كبير من انصار لذريرق واجتمعوا في ماردة .

ومضى موسى بن نصير الى (١) ماردة فقاتله اهلها ، على نحو ميل منها او اكثر قليلا ، قتالا شديداً . وكان اهل ماردة يخرجون لقتال المسلمين نهراً ثم يلجأون الى المدينة ليلا . وفي ذات ليلة أكن موسى الرجال والحيل في حفرة كانت مقالع يقطع اهل ماردة منها الحجارة . فلما خرج اهل ماردة في اليوم التالي على عادتهم لقتال المسلمين أثار عليهم موسى الكمائن من الرجال والحيل حتى أوقع بهم هزيمة منكرة فانسحبوا نهائياً الى المدينة وجعلوا يقاتلون المسلمين من وراء سورها .

وكانت ماردة مدينة حصينة جداً فحاصرها موسى أشهراً - قيل أطول حصار عرفه المسلمون (في الأندلس) - . ثم ان موسى بن نصير عمل دبابة فذب المسلمون تحتها حتى وصلوا الى احد أبراج المدينة . وبينما كانوا يتقون السور اصطدموا بصخرة صماء طال نقيبهم إياها حتى تنبه أهل ماردة فهاجمهم ، فهلك جميع المسلمين الذين كانوا تحت الدبابة . وشدد موسى الحصار على ماردة حتى يش أهلها من الصمود في وجه المسلمين فهرب نفر منهم خفية الى جيلقية في الشمال الشرقي من شبه جزيرة ابارية ، وطلب الذين آثروا البقاء في مدينتهم الصلح فصالحهم موسى على أن يدفعوا اليه أموال القتلى من الاسبان يوم الكمين وأموال الذين هربوا الى جيلقية والأموال والحلي التي كانت في الكنائس - ذلك لأن الاسبان كانوا يجعلون من الكنائس قلاعاً يحاربون العرب من وراء جدرانها (٢) - ، فقبل أهل ماردة بذلك وفتحوا أبواب المدينة للعرب يوم الفطر ، اول شوال ، من سنة ٩٤ وفي حزيران من عام ٧١٣ .

(١) ولا ادري ما قصد المقرئ لما قال (نفع الطيب ق ١ : ١٢٦) : ومضى موسى من اشيلية الى ألقنت الى مدينة ماوردة . فان لقتت بلدة في شرق الأندلس على الساحل جنوب دانية (الروض المطار ١٧٠) .

cf. Reinaud, p. 21.

(٢) انظر فوق ، ص ٨٩ .

وغنم العرب غنائم عظيمة من ماردة كان فيها قُليَّة (١) الدَّر التي وجدها موسى في كنيسة ماردة (٢) .

انتقاض أشبيلية

وحينما كان موسى بن نصير مشغولاً بحصار ماردة وصل أهل أشبيلية يدهم بيد أهل باجة ولبلة خفية فجاء جماعات من تينك المدينتين انضموا إلى أهل أشبيلية ثم انقضوا كلهم على المسلمين فقتلوا منهم نحو ثمانين رجلاً .
وبلغ ذلك إلى موسى فلم يرفع الحصار عن ماردة حتى فتحها ، ثم أرسل ابنه عبد العزيز ليستعيد أشبيلية وليفتح لبلة و باجة وأشكوبنة . فملك عبد العزيز هذه المدن وعاد إلى أشبيلية . أما موسى نفسه فمضى نحو طليطلة في عقب شوال من سنة ٩٤ (٣) وواخر تموز ٧١٣ .

طارق وراء طليطلة

لم يثبت طارق في طليطلة إلا ريثما أقام فيها حامية صغيرة من جنده ومن اليهود الذين كانوا فيها ثم انطلق في إثر الفارّين من أهلها نحو الشمال الشرقي من الأندلس . وسلك طارق درّباً (مَحْرَمًا) في الجبل سُمِّي فح طارق (٤) لعله صوموسيارا ، ثم قطع وادي الرمل ، أو الشارات (٥) متجافياً عن قلعة مَجْرِيْط - وكانت مجريط مدينة صغيرة وقلعة منيعة (٦) - حتى وصل إلى مدينة وادي الحجارة ، أو مدينة الفرج (٧) على نحو مائة وعشرة كيلومترات من طليطلة شمالاً في شرق ،

-
- (١) قليَّة (تصغير قلة بكسر القاف وتشديد اللام) : جرة ، وعاء فخار .
(٢) أخبار مجموعة ١٧-١٨ البيان المغرب ٢: ١٤-١٥ ، ابن الأثير ٤: ٤٤٧ ، الروض المعطار ٢٠٠، ٢٠١ ، ١٢٢٤ ، ١٧٦ .
(٣) أخبار مجموعة ١٨ ، البيان المغرب ٢: ١٥ ، ١٦ .
(٤) راجع أخبار مجموعة ١٤ ، ابن الأثير ٤: ٤٤٦ ، البيان المغرب ٢: ١٢ .
(5) cf. Alcántara, p. 252 y 245.

(٦) الروض المعطار ١٨٠ .

(٧) الروض المعطار ١٩٣ .

وذلك في اواخر سنة ٩٣هـ (خريف ٧١٢) . والغالب ان طارقاً لم يجاوز في تلك الحملة مدينة وادي الحجاره ، بل آثر ان يعود من هناك الى طليطلة ليشتمو فيها (١) . ثم وافته جيوشه التي كان قد وجهها من إستيجه (٢) إلى مالقة وغرناطة ومرسية وقرطبة .

لقاء موسى وطارق

وخرج موسى من ماردة في عقب شوال (٣٠ حزيران ٧١٣) يريد طليطلة ، وبلغ طارقاً إقبال موسى نحو طليطلة فأنحدر منها في حوض نهر تاجه حتى لقيه بموضع من كورة طليطيرة يقال له بايد (٣) . ويكاد يجمع المؤرخون العرب على ان لقاء موسى بطارق لم يكن ودياً ، ولكنهم اختلفوا كثيراً في مكان لقاؤهما وفي صورة ذلك اللقاء .

لا مجال للقول بان موسى لقي طارقاً في قرطبة ، كما ذكر بعضهم (٤) ؛ لأن ذلك يجعل اللقاء قريباً جداً من نزول طارق في الاندلس ، وليس من المنتظر ان يكون اللقاء بين القائدين قد تم في استرقة (٥) لأنه يكون حينئذ متأخراً كثيراً وغير متسق في خطة الفتح . ويبدو ان اللقاء في طليطلة (٦) يمكن ان يحمل على ان طليطلة قريبة من طليطيرة واشهر منها اسماً ، ولذلك ذكرت طليطلة دون طليطيرة ، والاجماع واقع على أن موسى خرج من القيروان الى الاندلس مغيضاً على طارق (٧) وعلى أن فعل طارق (التوغل في الفتح) قد غمّه (٨) . ولكن العجيب

(١) ابن الاثير ٤ : ٤٤٦ ، راجع فوق ، ص ٩٢ .

(٢) راجع فوق ، ص ٨٨ - ٩١ .

(٣) أخبار مجموعة ١٨ (بايد؟ مرسومة باند) راجع أيضاً ابن الاثير ٤ : ٤٤٨ .

(٤) فتوح ٢٠٧ ، البيان المغرب ٢ : ١٦ .

(٥) راجع ابن الاثير ٤ : ٤٤٦ .

(٦) الطبري ٢ : ١٢٥٤ ، ابن الاثير ٤ : ٢٧٦ ، البيان المغرب ٢ : ١٦ .

(٧) فتوح مصر ٢٠٧ .

(٨) أخبار مجموعة ١٥ .

أن ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ (٨٧١م) قد بالغ في الرواية أكثر من جميع الذين جاءوا بعده فذكر (١) أن موسى أخذ طارقاً فشدّه وثاقاً وهمّ بقتله . أما صاحب أخبار مجموعة (ص ١٩) فاكتمى بأن قال « فوضع موسى السوط على رأسه ووثبه فيما كان من خلاف رأيه » . وأما ابن الاثير (٤ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٤٤٨) فجمع ذلك وتردد في روايته ثم قال : « وكان موسى قد حبس طارقاً ، وقيل لم يحبسّه ... فلما أبصر موسى طارقاً ضربه بالسوط على رأسه ووجّحه على ما كان منه من خلافه » إياه .

ولعل الطبري هو الذي يستطيع أن يحل لنا هذا الاشكال على الرغم من أنه أشار إلى لقاء موسى وطارق إشارة عارضة . قال الطبري (٢ : ١٢٥٤ ، ١٢٥٣) : « وفي هذه السنة (٩٣هـ) عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الاندلس ووجهه الى مدينة طليطلة » : ومعنى ذلك أن موسى بن نصير كان قد عين طارقاً على الحملة التي وجّه بها الى الاندلس . فلما نزل هو في الاندلس عادت القيادة العامة بطبيعة الحال اليه لأنه هو القائد الأصيل . ثم ان رواية الطبري تحل مُعضلة المكان الذي التقى فيه القائدان ، إذ تدل صراحة على أن أمر موسى بالعزل عن القيادة العامة قد وصل الى طارق قبل ان يصل طارق الى طليطلة . أما اللقاء نفسه فكان بعد أن فتح طارق طليطلة .

على أن غضب موسى على طارق يظل أمراً واقعاً . وقد كثر فيه الحديث حتى قال ابن عبد المنعم الحميري (٢) : « ومنازعة موسى بن نصير وطارق مولاه في رحلتها مشهورة » . غير أن طارقاً اعتذر الى موسى فرضي موسى وقبل عنده طارق (٣) .

الفتح وراء طليطلة

وعاد موسى وطارق الى طليطلة وقضيا فيها شتاء ٧١٣ - ٧١٤م (ربيع

(١) فتوح مصر ٢١٠ .

(٢) الروض المطار ١٣٢ .

(٣) فتوح مصر ٢٠٤ ؛ البلاذري ٢٣١ ؛ الطبري ٢ : ١٢٥٤ ؛ ابن الاثير ٤ : ٢٧٦ - ٢٧٧ .

الاول جمادى الاولى من سنة ٩٥) : وأرسل موسى الخبر بالفتح وبالغنائم الى الخليفة الوليد مع علي بن رباح اللخمي ومُغيث الرومي. وفي تليطة سك موسى ابن نصير عملة^١، دراهم ودنانير، مضروبة باللغة العربية والالفاظ الاسلامية : على احد وجهيها : « بسم الله . لا آله إلا الله وحده لا آله غيره » ، وعلى الوجه الآخر : « هذا الدرهم ضرب في الاندلس سنة ١٠٠٠ » .

ولما حل الربيع من عام ٧١٤م (رجب من سنة ٩٥) تقدم موسى وطارق نحو سرقسطة او المدينة البيضاء (١) وحاصرها فسقطت وشيكاً ، فيما يبدو ، في سنة ٩٥هـ (٧١٤م) . وكان معها حنش الصنعاني(٢) فاستقر في سرقسطة وخط مسجدها الجامع (٣) .

وكان في سرقسطة نبيل قوطي من زعماء الارغون هو القمص « الكونت » فُرتون بن قسي ، يتمتع في سرقسطة بوجاهة وبحكم محلي^٢ : ويقال ان فُرتون خاف أن يخسر وجاهته ونفوذه فاعتنق الاسلام - قيل حضر الى دمشق وشهر إسلامه أمام الخليفة الوليد ، فلم يجد الوليد مانعاً من ان يتولى فرتون ونسله ولاية سرقسطة وراثته ما داموا يقرون لوالي الاندلس بالطاعة ويؤدون الخراج في حينه .

وقد كشف فتح سرقسطة جميع حوض نهر أبره أمام العرب فقسم موسى الجيش قسمين : وجه قسماً بقيادة طارق شمالاً الى وشقة فحاصرها ولكن لم يستطع فتحها (٤) فتركها واتجه شرقاً حتى قطع نهر ابره، ثم غزا أماية وفتح ليون وأستُرقة . وكذلك توجه موسى نفسه بالقسم الثاني من الجيش متجهاً في اول الأمر نحو الشرق حتى فتح برشلونة وماحولها من بلاد الافرنج (٥) في سنة ٩٦هـ :

(١) الروض المعمار ٩٦ .

(٢) راجع فوق، ص ٦٠ .

(٣) الروض المعمار ٩٧، ٤ .

(٤) راجع الروض المعمار ١٩٥ .

(٥) بلاد افرنج (الافرنج) هذه غير بلاد الفرنجة وراء جبال البرانس ، بل هي البلاد المحيطة بمرقا برشلونة ، او بلاد قطلونة (راجع الروض المعمار ٤٢) .

ثم مال موسى شمالاً حتى وصل الى أربونة . بعدئذ عطف غرباً في جنوب ، مخترباً شمالي بلاد الأندلس من الشرق الى الغرب حتى غزا سلمنكة . ثم عاد فمال شمالاً وقطع نهر دَوِيرُهُ الى أعلى نهر أبره مخترباً قشتالة الى بلاد أستوريش . ويبدو لنا من تتبع هذه البلدان على الخارطة أن حملة موسى لا يمكن ان تكون قد تناولت هذه البلاد المترامية بين الشرق والغرب والجوف (الوسط) والشمال في ذلك الوقت القصير الذي انقضى بين فتح سرقسطة وبين رجوع موسى الى المشرق ، أي في نحو خمسة أشهر من سنة ٩٥ هـ . على أن هذا لا يعني أن هذه البلدان لم تخضع في الحقبة الاولى على الاقل للحكم العربي (١) - لأن الفتح إذا وقع على قواعد البلاد فان البلدان الثانوية تسقط أمام الفاتح من تلقاء نفسها - ولكن هذ يعني أن موسى بن نصير لم يستطع أن يقوم بنفسه بهذا الفتح على هذا التفصيل الذي مر بنا .

رجوع موسى الى المشرق

زعموا أن موسى كان ينوي أن يفتح شمالي الأندلس ثم يقطع جبال البرانس الى بلاد الفرنجة ليعود والشاطئ الشمالي للبحر الأبيض المتوسط ماراً بإبطالية واليونان وبلاد الروم (آسية الصغرى) حتى يصل الى الشام (٢) ، ولا ريب في أن عزم موسى بن نصير على مثل هذه المغامرة ، لو صحت الرواية ، يدل على جهله بطبيعة البلاد التي كان عليه أن يمر بها وبأحوالها السياسية . وكان رسولا موسى ، مغيث الرومي وعلي بن رباح اللخمي ، قد وصلا الى دمشق . فيقال ان الوليد أشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما همّ به موسى - من الرجوع الى الشام عبر البلاد الواقعة شمال البحر الأبيض المتوسط - تغرير بالمسلمين . فكتب اليه يوبخه ويأمره بالحضور الى دمشق مع

(١) ما عدا أربونة التي فتحت في أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي والى الأندلس .

(٢) ابن الاثير ٤ : ٣٧٦ ، ابن خلدون ٤ : ١١٧-١١٨ ، الروض المطار ٢٧ ، نفع الطيب ١ :

طارق بن زياد : ويقال أيضاً ان الوليد عهد الى مغيث الرومي بأن يحمل موسى ابن نصير على القفول من الأندلس مع المسلمين بكل سبيل . واذا لم يقبل موسى بذلك فليُرجع هو (أي مغيث) بهم (١) . أما السبب الذي حمل الوليد على ما أمر به فلا يزال الى اليوم لغزاً ، الا أن يكون خوفه من انقطاع المسلمين بأرض بعيدة في دار حرب - كما تراءى لعمر بن عبد العزيز فيما بعد (٢) - وقد ساء ذلك موسى وقت في عزمه . ولم يشأ موسى أن يخالف أمر أمير المؤمنين ، ولكنه مطّل الرسول ريثما يوطد الفتح ، لأنه أراد أن يستوثق من أمر المسلمين بأن يستولي على الكتلة القنظيرية (جبال قنظيرية) وما قرب منها ، أي قشتالة القديمة أو العليا .

ولما وصل موسى الى هذا الحد من الفتح وأنزل الحامية والرابطة (٣) في ثغور الأندلس وشد حصونها (٤) ترك الأندلس في أواخر سنة ٩٥هـ (٧١٤م) بعد أن استخلف عليها ابنه عبد العزيز وأسكنه في اشبيلية (٥) وأمره بمتابعة الجهاد لتوطيد الفتح . وقد ترك موسى مع ابنه عبد العزيز جيشاً ونفراً من أنجاد العرب ووجوههم منهم حبيب بن أبي عبدة الفهري حفيد عقبة بن نافع . وقفل موسى الى افريقية ومعه طارق بن زياد ومغيث الرومي والغنائم والسبي ، فوصل الى قصر الماء ، على ميل من القيروان (٦) ، في العاشر من ذي الحجة من سنة ٩٥ (أواخر آب ٧١٤) : ثم أن موسى استخلف ابنه مروان على طنجة وابنه عبد الله على القيروان وسار الى المشرق في أول سنة ٩٦هـ (أيلول ٧١٤) في حاشية عظيمة وسبي غفير وغنائم كثيرة ، فوصل الى القسطنطينية .

(١) راجع البيان المغرب ٢ : ١٦ ، أخبار مجموعة ١٩ .

(٢) راجع تحت ، ص ١١٣ .

(٣) ابن خلدون ٤ : ١١٨ .

(٤) ابن القوطية .

(٥) أخبار مجموعة ١٩ . في ابن خلدون (٤ : ١١٨) ، ونقل ذلك عنه المقرئ (نفع الطيب ١ :

١٠٩) ان موسى اسكن ابنه في قرطبة .

(٦) الطبري ٢ : ١٣٦٧ - . في فتوح مصر (ص ٢١١) : « لم ينزل القيروان (بل) خلفها ونزل قصر الماء » .

يوم الخميس في ٢٥ ربيع الاول (٩ كانون الاول) . فلما وصل موسى الى طبرية من أرض فلسطين وافاه رسول من سليمان بن عبد الملك ، وهو بعد ولي للعهد ، يطلب اليه أن يترث في المسير حتى يكون قدومه وسليمان خليفة (١) ، غير أن موسى أغدّ السير وفاء للوليد الذي كان قد وجه الفتوح الى الأندلس فوصل اليها والوليد حي (٢) في الأغلب .

اساءة سليمان الى موسى والى طارق

تذكر المصادر (٣) أن موسى بن نصير وطارق بن زياد قد رجعا الى المشرق وبينهما وحشة ، قيل لأن طارقاً كان يريد أن يحتفظ بشرف الفتح وأن موسى كان يريد هذا الشرف لنفسه هو . وقيل إن نزاعاً نشب بينهما في شأن الغنائم حينما كانا في الأندلس وحينما وقفا بين يدي سليمان بن عبد الملك . ويبدو أن سليمان بن عبد الملك لم يكن بحاجة الى حجة يتخذها سلباً الى نكبة القائدين العظيمين اللذين وهبا العروبة والاسلام بلاداً واسعة كانت فيما بعد أعظم ميادين الحضارة والثقافة الاسلاميتين على الدهر . وقد زال حكم العرب السياسي عن الأندلس ولكن آثار الحضارة فيها لا تزال الى اليوم ناطقة بمجد العرب وفضلهم ، ان سليمان بن عبد الملك لم ينكب فقط القائدين اللذين فتحوا الغرب للعروبة والاسلام ، بل نكب القواد والولاة الذين فتحوا الشرق أيضاً (٤) . وسرى بعد قليل شيئاً من تفاصيل نكبة موسى بن نصير (٥) .

أما طارق بن زياد فقد قضى باقي عمره خاملاً لم يتمتع سليمان بشيء مما كان قد وهبه للاءبرطورية الأموية من الفتح المجيد والشرف العظيم والغنائم الوفيرة .

(١) البيان المغرب ٢: ٢٠ اخبار مجموعة ٢٩ (مرتين) ، ٣٠ فتوح مصر ٢١١ ، ابن خلدون .

١١٨: ٤ .

(٢) البيان المغرب ٢: ٢٠ من السطر التاسع الى السطر الرابع عشر .

(٣) فتوح مصر ٢١١ ، اخبار مجموعة ١٩-٢٠ ، ٢٩-٣٠ ؛ راجع فوق ص ٩٦-٩٧ .

(٤) راجع الخوض الشرقي ١١٠ ؛ راجع أيضاً ابن الاثير ٥: ٥ .

(٥) راجع تحت ؛ ص ١٠٤-١٠٦ .

عصر الولاية



يمتد عصر الولاية منذ رجوع موسى بن نصير عن الأندلس، بعد استخلاف ابنه عبد العزيز عليها (آخر ٥٩٥ = أيلول ٧١٤) الى تولّي عبد الرحمن الداخل إمارتها (٥١٤٢ = ٧٥٩م) ، سبعاً وأربعين سنة . وليس لموسى بن نصير ولا لطارق بن زياد مكان بين ولاية الأندلس لأنهما فاتحان فحسب (١) .
ويقع عصر الولاية في أربعة أدوار : دور توطيد الفتح واختيار العاصمة – دور الغزو الى ما وراء البرانس – دور العصبيات – دور النزاع بين عبد الرحمن الداخل وبين الصميل بن حاتم ويوسف بن عبد الرحمن الفهري .

أ (توطيد الفتح

هذا الدور قصير جداً ، ذلك لأن موسى وطارقاً كانا قد فتحا البلاد كلها ، ولم يبق على الولاية الاوين الا أن يوطنوا الفتح وينظموا الادارة ويخمدوا اثورات اذا نشبت .

وبما ان العرب لم يفرضوا الاسلام على أهل اسبانية (٢) ، فقد بقي قسم كبير من السكان على النصرانية وظلت جماعات كثيرة من هؤلاء على عداء شديد للعرب ، بالعامل الديني والعامل القومي معاً .

(١) يمكن ان نجد طارقاً وموسى في ولاية الاندلس اذا اعتبرنا ان كل فاتح لأرض هو وال عليها، وكان القائد يوجه والياً على البلاد قبل ان يفتحها (راجع مثلاً فتوح مصر ٢٠٠) . ولما عد لافوانتي ألقانطرا 240 Alcántara) ولاية الاندلس وجعل لهم ارقاماً متسلسلة خص موسى وطارقاً بالرقمين ٢٠١ .
(2) Lévi - Provençal I 73 .

(١) عبد العزيز بن موسى

لما قتل موسى الى المشرق سنة ٩٥ هـ (٧١٤م) استخلف على الأندلس ابنه عبد العزيز واسكنه في مدينة اشبيلية لاتصالها بالبحر قريباً من المكان الذي يسهل منه الجواز الى افريقية (١) ، ولأنها من البلدان التي فتحها هو - بينما كانت قرطبة من فتوح طارق - فاتخذ عبد العزيز اشبيلية دار إمامة (عاصمة) . وقد ترك موسى مع ابنه عبد العزيز حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع وزيراً له ومعيناً ، وترك له نفراً من وجوه القبائل وجمعا من العساكر ليساعده في حماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو (٢) .

فتوح عبد العزيز

فضبط عبد العزيز الأندلس وحمى ثغورها وفتح في أيام ولايته القصيرة (٩٥-٩٧ هـ) مدناً كثيرة . على أن فتح عبد العزيز لتلك المدن لم يكن معناه الاستيلاء عليها ، بل اخضاعها للإدارة العربية ، ذلك لأنها كانت قد فتحت من قبل . وقد استولى عبد العزيز في غربي اسبانية (البرتغال اليوم) على يابرة وشترين وقلمرية ، كما وطد الحكم العربي في مالقة والبيارة . ثم عمل عبد العزيز بوصية أبيه فأرسل الغزوات الى طرركونة وجرّونة على الشاطئ الشمالي الشرقي ، والى بنسبلونة في الشمال الشرقي ، وإلى أربونة على خليج ليون من ساحل فرنسا الجنوبي .

زواج عبد العزيز بأخيلونا

لما نزل العرب في الأندلس أعجبوا بالجمال الاسباني كما كانوا قد أعجبوا بالجمال الفارسي والرومي من قبل . وقد تزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير أرملة لثدريق ، وكان اسمها أخيلونا (أغيلون ، أخيلون) وعرفها العرب

(١) راجع الروض المطار ١٩ .

(٢) راجع أخبار مجموعة ١٩ ، البيان المغرب ٢: ٢٣ .

باسم أَيْلُهُ* . وحظيت أَيْلُهُ عند عبد العزيز وغلبت عليه أيضاً ، وخصوصاً بعد أن ولدت له - فيما يبدو - ابناً وتكنت بأسمه : أم عاصم . ولعل أَيْلُهُ دخلت في الاسلام ، في الظاهر على الأقل (١) . وكان ذلك أول زواج مختلط في الأندلس (٢) . وكذلك تزوج زياد بن النابغة التميمي امرأة من نبلاء القوط ظلت على دينها (٣) :

وفي صدر وجب من سنة ٩٧ (آذار من عام ٧١٦) قتل عبد العزيز بن موسى في حديثين مختلفين :

أما الحديث الاول فقصة موضوعة ولكنها مشهورة ، خلاصتها أن أَيْلُهُ ظلت بعد زواجها بعبد العزيز على النصرانية . ثم أنها ارادته - فيما قيل - على أن يلبس تاجاً ويجلس على سرير ، وأن يأخذ أصحابه بالسجود له كلما دخلوا عليه . ولما قال لها أن هذا لا يجوز في الاسلام ردت عليه بأن هذا كله ضروري لإلقاء الميية في قلوب أصحابه وأن أهل البلاد قد ألفوا ذلك حتى أنهم لا يخضعون الا لمن يسلك هذا المسلك . ورفض عبد العزيز أن يأمر أصحابه بالسجود له كلما دخلوا عليه فاحتالت أَيْلُهُ بأن جعلته يفتح للقاعة التي كان يجلس فيها باباً متطامناً ، فكان كل من دخل عليه اضطر الى أن يطأطئ رأسه كأنه يركع . ومنهم من ذكر أن عبد العزيز بنى لأَيْلُهُ كنيسة على باب مسجده وأنه كان يسكن في الكنيسة معها . وقد زعم آخرون أنها حملته على النصرانية ففتنصر (٤) .

وأما الحديث الآخر فيدور حول العصبية وعلى حقد شخصي في صدر سليمان بن عبد الملك الذي نكب وجوه العرب وقادتهم من قبل (٥) .

(١) أخبار مجموعة ٢٧ ، البيان المغرب ٢: ٢٣، ٢٤، Cf. Enc. Isl. (New Ed.) I 58.

(٢) Los Mozarabes I 48

(٣) اخبار مجموعة ٢٠ ، البيان المغرب ٢: ٢٣ .

(٤) فتوح مصر ٢١٢ اخبار مجموعة ٢٠ ، البيان المغرب ٢: ٢٤ ، ابن الاثير ق ٤: ٨-٩ .

(٥) راجع الحوض الشرقي ١٠٩ - ١١٠ .

لما استدعى سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير من الأندلس نكبه ؛ ثم أنه أرسل على افريقية والمغرب والأندلس محمد بن يزيد . ووصل محمد بن يزيد الى القيروان في سنة ٥٩٧ هـ ، ثم وصل اليه أمر سليمان بن عبد الملك بأخذ آل موسى بن نصير ونكبتهم وتعذيبهم ، وأن يغرمهم ثلاثمائة ألف دينار ، فأخذ محمد بن يزيد عبد الله بن موسى فسجنه وعذبه ثم قتله . وبلغ ذلك كله الى عبد العزيز فخاف أن يلحق به ما لحق بأبيه وأخيه (١) فخلع طاعة بني مروان واستبد بأمر الأندلس . وأراد سليمان أن يزيد في ايلام موسى بن نصير - وكان لا يزال سجيناً عنده - فكتب الى خمسة من وجوه الجنود في الأندلس بقتل عبد العزيز بن موسى ، وكان في هؤلاء حبيب بن أبي عبدة الفهري وزباد بن النابغة التميمي - وهما من وجوه الجنود الذين كانوا قد جاءوا مع موسى بن نصير في زمن الفتح (٢) - وزباد بن عُدرة البَلَوِي . واستثار هؤلاء نفر الجنود ثم وثبوا على عبد العزيز وهو قائم يصلي في مسجد رُبَيْنة (٣) في اشبيلية وقتلوه ، قيل قتله زياد بن عذرة البلوي (٤) ، وقيل قتله زياد بن النابغة التميمي (٥) . وكان مقتل عبد العزيز في غداة السبت لست خلون من رجب سنة ٩٧ (٨ آذار ٧١٦) .

ثم أن القتلة حملوا رأس عبد العزيز ورأس أخيه عبد الله وتوجهوا بهما في مطلع ٥٩٨ هـ (أيلول ٧١٦) الى سليمان بن عبد الملك في دمشق . ويقال أن سليمان دعا بموسى من السجن ثم طرح له بين يديه رأس ابنه وقال له : « أتعرف هذا ؟ » قال موسى : « نعم ، أعرفه صوّماً قواماً فعليه لعنة الله إن

(١) في فتوح مصر : لما قتل عبد العزيز كان أخوه عبد الله لا يزال والياً على افريقية (ص ٢٢٢)

حتى : زباد بن عُدرة سنة ٩٦ هـ - كذا - (ص ٢١٣) ، أوائل ما بعد وفاة سليمان (ص ٢١٣ ، ٢١٤) .

(٢) الذخيرة ١٨٧ ، ٢٠٣ .

(٣) ويقال رفينة .

(٤) البيان المغرب ٢ : ٤٢ .

(٥) فتوح مصر ٢١٢ ، الذخيرة ٢٠٣ .

كان الذي قتله خيراً منه ! » (١) .

ولا ريب في أن مقتل عبد العزيز يدل على النفوذ الذي كان بنو أمية يتمتعون به في الأندلس ، ولكنه كان من وصمات سليمان التي تعد عليه طول الدهر (٢) ، وأما طرح رأس عبد العزيز بين يدي موسى فكان فيه من الحقد والانتقام والنكاية ما حمل المقرري على أن يقول في نفح الطيب (١: ١٨١) : « لا جرّم أن الله لم يمتع سليمان بن عبد الملك بعد عبد العزيز بملكه وشبابه » .

على أن صاحب أخبار مجموعة يروي (ص ٢٢) أن سليمان غضب لمقتل عبد العزيز وأمر واليه على افريقية والمغرب (٣) أن ينظر في شأن مقتل عبد العزيز وأن يُقْفِلَ القتلَةَ الى دمشق .

وتوفي موسى بن نصير بعد أن اضطر الى أن يطوف في أحياء العرب لجمع الغرامة التي فرضها سليمان بن عبد الملك عليه . وكانت وفاته في الحجاز في سنة ٧٩٨هـ (٤) ، عام ٧١٦ - ٧١٧ م .

(٢) أيوب بن حبيب اللخمي

اضطربت أحوال الأندلس بعد مقتل عبد العزيز بن موسى ، ولم يتفق أهل الأندلس على شخص يولونه على أنفسهم فبقيت الأندلس ستة أشهر بلا وال (٥) • وأخيراً ، في مطلع سنة ٩٨هـ (أيلول ٧١٦) ، قدم أهل الأندلس أيوب بن حبيب اللخمي على أنفسهم - وكان رجلاً صالحاً - ليؤمهم في صلاتهم . فلما

(١) فتوح مصر ٢١٢-٢١٣ ، راجع البيان المغرب ٢: ٢٥٠ .

(٢) البيان المغرب ٢: ٢٥٠ ، نفح الطيب ١: ١٨٠ .

(٣) هو محمد بن يزيد ، ولكن صاحب أخبار مجموعة (ص ٢٢) يسميه مرة عبدة الله بن زيد القرشي (السلطان الثاني) ومرتين عبد الله بن يزيد (السلطان ١٠٧) .

(٤) راجع ابن الاثير ٤: ٢٧٢ .

(٥) البيان المغرب ٢: ٢٥٠ ، ابن الاثير ٥: ٢٢٣ ؛ في فتوح مصر (ص ٢١٣) وأخبار مجموعة (ص ٢١) أن أهل الأندلس مكثوا سنين بلا وال .

طال بهم الأمر ارتضوه والياً (١) . ويقال أن البربر هم الذين قدموه للولاية خوفاً من افتراق الكلمة (٢) ، وقيل بل قدمه أهل اشبيلية (٣) . وكان تقديم أيوب لولاية الأندلس يشبه أن يكون وراثة لأنه كان ابن أخت موسى بن نصير .

والى أيوب بن حبيب تنسب قلعة أيوب ، وهي مدينة على نحو خمسة وسبعين كيلومتر من سرقسطة جنوباً في غرب (٤) .

وكانت ولاية أيوب بن حبيب على الأندلس ستة أشهر ، فيما ذكروا (٥) ؛ على أن المدة التي انقضت بين مقتل عبد العزيز ومجيء الحر بن عبد الرحمن الثقفي تزيد ، فيما يبدو ، على عام ونصف عام .

(٣) الحر بن عبد الرحمن الثقفي

وكان من المنتظر ألا يرضى سليمان بن عبد الملك عن ولاية أيوب بن حبيب — وهو ابن أخت موسى بن نصير — على الأندلس . وأدرك محمد بن يزيد ، والى إفريقية ، أن تحية أيوب بن حبيب داخلية في السياسة التي رسمها له سليمان في موقفه حيال آل موسى بن نصير . من أجل ذلك أرسل محمد بن يزيد الحر بن عبد الرحمن الثقفي والياً على الأندلس مكان أيوب بن حبيب .

ووصل الحر الى الأندلس في أربعمائة من وجوه إفريقية ، في أوائل سنة ٥٩٨ (حريف عام ٧١٦ م) في الأغلب :

وكان أيوب بن حبيب قد اتفق مع أهل الأندلس على تحويل العاصمة من اشبيلية الى قرطبة ، لأن قرطبة مدينة وسط أكثر من اشبيلية ، ولأنها كانت

-
- (١) المملوح من فتوح مصر (ص ٢١٢) ان الذين قتلوا عبد العزيز بن موسى هم الذين قدموا ابن عمته أيوب بن حبيب للولاية .
- (٢) ابن القوطية ٩ ، راجع جذوة المقتبس ١٦١ .
- (٣) نفع الطيب ٨:٢ .
- (٤) الروض المطار ٧٧ .
- (٥) البيان المغرب ٢:٢٥ ، ابن خلدون ٤: ١١٨ ، نفع الطيب ١: ١٤٤ ، ٨:٢ .

على طريق القوافل : ولأن اشبيلية كانت ميداناً واسعاً لنشاط الأسبان ضد الحكم العربي. ولكن تحويل العاصمة الى قرطبة تم في أيام الحر .

بدء المقاومة الاسبانية

« قال (١) غير واحد : أن أول من جمع قفل (٢) النصرارى في الأندلس بعد غلبة العرب لهم عِلْج يقال له بلابي (٣) من أهل استوريش من جيلقية كان رهينة عن طاعة أهل قرطبة أيام الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، الثاني من أمراء العرب في الأندلس (٤) ، وذلك في السنة السادسة من افتتاحها - سنة ثمان وتسعين من الهجرة . وثار النصرارى على نائب الحر بن عبد الرحمن فطردوه وبقي الملك فيهم .. »

كان حكم آل نصير: موسى وأبنيه عبد العزيز وابن أخته أيوب بن حبيب ليناً حليماً . ويبدو أن عبد العزيز خاصة كان مستضعفاً ومستنهماً لامرأته أخيلونة التي لم تكن كثيرة الوفاء لزوجها وللإسلام. ولقد رأيناها (٥) تصل يدها بيد بلابي وتساعدته على أن ينال من زوجها والي الأندلس عبد العزيز بن موسى شروطاً جديدة لينة يهود بعدها بلابي الى جبال جيلقية لينظم أنصاره القليابين ويستقل في ذلك المكان الوعر النائي عن سلطة اشبيلية . ولم يحرك بلابي ساكناً في أيام عبد العزيز وأيام أيوب ، لأن أنصاره كانوا قليابين جداً - لقد كان الأسبان ينعمون بالعدل العربي وبحام آل نصير خاصة . وتذكر المصادر الأفرنجية (٦) أن الحر كان

(١) نفع الطيب .

(٢) بقايا الجيوش .

(3) Pelagius (L.), Pelayo (esp.), Pélage (fr.). Pélage: roi des Asturies, fut les chef des goths et chrétiens fideles (Dictionnaire Universel d'Hist. et de Géog. Paris, nouvelle édition, 1859, sous : Pélage .

(٤) لم يعد هذا المصدر هنا عبد العزيز بن موسى في الولاة لانه كان عنده من الفاتحين مثل والده موسى ومثل طارق بن زياد .

(5) Cf. Los Mozarabes 81.

(6) ibid. 79ss.

قيساً متحمساً لقيسيته وحاكماً شديداً الوطأة على رعيته : أما قيسيته فحملته على أن يبذل السياسة التي كان آل نصير اليمانية ينتهجونها وأن يسلك مع اليمانية سياسة جائرة . وقد تناولت سياسته هذه العرب والبربر والنصارى واليهود على السواء ، وكان لها على الدولة العربية في الأندلس نتائج تزداد خطورة مع الأيام : مع ازدياد قوة الأسباب ومع اتساع العصبية والضعف بين العرب حيناً بعد حين .

وبلاي هذا كان - فيما زعموا - نبيلاً قوطياً أجمع عليه جماعة من قومه الذين كانوا قد خسروا الحكم على الأندلس بعد الفتح العربي : وكان الذين اجتمعوا حول بلاي قلةً - لأن جانباً كبيراً من أهل اسبانية كانوا قد دخلوا في الاسلام إيماناً واحتساباً أو رياء وجذباً للدنيا - فاتخذوا مقامهم في جبال استوريش ، في جيلقية (في الطرف الشمالي الغربي من اسبانية ، ذلك الجزء الذي لم يستطع فاتح أن يصل إليه) . من هذا الجزء من اسبانية بدأ دفع العرب عن الأندلس ، لأن ذلك الجزء كان في الحقيقة مركزاً لتجمع الجيوش من جميع البلاد الأوروبية . وسرى أن المعارك التي كانت تدور بين العرب وبين الجلالقة ، في جميع أدوار الحكم العربي ، كانت تدل على أن الجلالقة كانوا يتسكتون مدداً وافرأ من الرجال والعتاد من وراء جبال البرانس : فربّ معركة واحدة قتل فيها من الجيش الجليلقي عدد يربو على أهل جيلقية كلهم (١) . أما غنائم العرب من الجلالقة فكانت تدل ، باختلاف الأسلحة ووفرتها وبكثرة المؤن والأعتدة ، على أن تلك الأسلحة والأعتدة لم تكن من صنع جيلقية والجيلقيين ، بل من صنع بلاد الفرنجة وإيطالية وبلاد الجرمان البرابرة وراء نهر الراين .

الجهاد في أيام الحر

جاء في عدد من المصادر والمراجع ، من عربية وفرنجية ، أن الحر بن عبد

(١) جاء في اخبار مجموعة (٢٨) : « ولم تبق في جيلقية قرية لم تفتح غير الصخرة (معقل طبيعي) فإنه لاذ بها ملك يقال له بلاي فدخلها في ثلاثمائة راجل ، فلم يزل (العرب) يذاورونه حتى مات اصحابه جوعاً وترامت طائفة منهم الى الطاعة . فلم يزلوا يتقصون حتى بقي (بلاي) في ثلاثين رجلا ليس معهم عشرة نسوة فيما يقال ... »

الرحمن الثقفي غزا الأرض الكبيرة (بلاد الفرنجة) وراء جبال البرانس (١) ، ولكن الواقع أنه لم يفعل . ولعله أراد أن يفعل فحالت بينه وبين ذلك ثورة بلاي التي نشبت في عام ٨١٧م (٥١٠٠ هـ في الأغلب) ، وأستطاع أن يهزم فيها ، فيما زعموا ، عبد الرحمن بن علقمة والي الحر بن عبد الرحمن على أربونة في معركة كوفادونقا (٢) . ومع أن التاريخ ٧١٨م مشكوك فيه كثيراً ، فاننا لا نشك في أن نصارى الأندلس بدأوا منذ هذا العصر الذي نقص تاريخه هنا في رص صفوفهم ليدفعوا العرب ، بمعونة الفرنجة والبابوية ، عن شبه جزيرة الأندلس ، وتم المصادر الأجنبية قصة معركة كوفادونقا بأن العذراء ظهرت لجيوش الأسبان ، وأن بلاي قد تسمى بالملك بعد تلك المعركة وبني مدينة أوبيط (٣) :

* * *

وبقي الحر بن عبد الرحمن الثقفي القيسي والياً على الأندلس سنتين وثمانية أشهر في الأغلب . ذكر ابن عذاري (٤) أن ولايته كانت ثلاث سنوات ، ويبدو أنه بقي والياً على الأندلس الى رمضان من سنة ١٠٠ و نيسان من عام ٧١٩ :

ب) الجهاد وراء جبال البرانس

اذا كان العرب قد فكروا في قطع جبال البرانس (٥) منذ نزلوا في الأندلس ، فانهم لم يبدؤوا قطعها فعلاً الا في أيام السمع بن مالك الخولاني الذي خلف الحر بن عبد الرحمن الثقفي على الأندلس . ويحسن بنا أن نوجز هنا سياسة العرب في غزو بلاد الفرنجة قبل أن تأتي الى تاريخ هذا الدور الذي نحن بصدد تأريخه .

(١) راجع مجلة العلوم (بيروت ؛ شباط - فبراير ١٩٥٩) ص ٧-١١ .

(2) Cf. Lévi-Provençal, I 66s.

(3) Dictionnaire Univerels, Loc. cit.

(٤) البيان المغرب ٢: ٢٥ .

(٥) عرف العرب جبال البرانس باسم جبال الثايبا والبرانس والعقاب والبرت والبرتات ، وهرتها الافرنج باسم (Eng.) Pyrenees , (Fr.) Pyrenés , (Sp.) Pirineos

١ - حينما فتح العرب الأندلس لم يكن قد أصبح لجبال البرانس ذلك المعنى السياسي الذي هو لها اليوم من أنها حد فاصل بين اسبانية وفرنسة . لقد كانت بلاد للفرنجة - في نظر العرب يومذاك ، مما كانوا يلاحظونه من طبيعة الأرض ولغة السكان وعاداتهم ومن الأحوال السياسية السائدة في تلك الأصقاع - امتداداً لبلاد الأسيان .

٢ - ان روح الجهاد والرغبة في نشر الاسلام والدفاع عن الدين ، وهي العوامل التي كانت قد حملت العرب من قبل على فتح المشرق والمغرب وعلى فتح الأندلس قد حملت العرب بعد ذلك على متابعة الغزو الى بلاد الفرنجة .

٣ - اذا أرادت أمة من الأمم أن تحفظ بلادها وتصون حدودها وجب عليها أن تمد صداقتها الى أقطار مجاورة لها أو أن تبسط نفوذها على تلك الأقطار حتى تبعد خطر الغزو الخارجي عن أرضها وديارها .

٤ - لما نزل العرب في الأندلس بدأت الجماعات العائشة يومذاك في الجانب الجنوبي الغربي من أوربية تتحفّز ، بتحريض من البابوية ، للانقضاض على الأندلس . من أجل ذلك لم يكن لعرب الأندلس بدّ من أن يحطّموا هذه القوى المتجمعة وراء حدودهم قبل أن يتاح لها أن تنفذ الى بلادهم وتقلق راحتهم : وهكذا رأينا أن غزوات العرب لبلاد الفرنجة كانت للتدمير والتخريب لا للاحتلال والاستقرار .

واخذ العرب الى غزو بلاد الفرنجة طويقين :

- طريقاً شرقياً يسير محاذياً للساحل ثم دائراً حول الركن الشرقي من سلسلة جبال البرانس الى مدينة أربونة . ثم يفرّق هذا الطريق شِعْبَيْن يتجه أحدهما شرقاً الى مدينة أبنيون (أفينيون) ثم يصعد في حوض نهر رودنو (الرون) حتى يصل الى لودن (ليون) والى ما ورائهما شمالاً . وأما الشعب الآخر فيتجه من أربونة شمالاً في غرب الى طلّوزة (تولوز) .

- طريقاً غربياً يذهب من سَرَقَسْطَة ماراً بمدينة قَلَهْرَة ومدينة بنبلونة

حتى يخرق الركن الغربي من سلسلة جبال البرانس متجهاً نحو مدينتي بوردو وبواتيه :

(٤) السمح بن مالك الخولاني

توفي سليمان بن عبد الملك في صفر من سنة ٩٩ (تشرين الاول من عام ٧١٧) فخلفه عمر بن عبد العزيز بن مروان، ابن عم سليمان (١)، وكان لا يزال محمد بن يزيد والياً على المغرب . ورأى عمر بن عبد العزيز أن يعزل محمد بن يزيد هذا ويولي مكانه اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم (٢) . وقد ذكروا في سبب توليته أن العادة كانت قد جرت اذا بعث الولاة ببجايات الأمصار أن يرسلوا معها وفداً من عشرة رجال من وجوه الناس والاجناد ليحلفوا بين يدي الخليفة بأنه ما من درهم ولا دينار من الجباية التي جاءوا بها الا أخذ بحقه وأنه فضلُ أعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية . وجاء وفد أفريقية بخراجها - مرة من المرات في أيام سليمان بن عبد الملك - فحلف ثمانية من رجاله بأن ما معهم من مال الجباية قد أخذ بحقه ونكل اثنان عن حلف اليمين هما اسماعيل بن عبد الله والسمح بن مالك الخولاني . فأعجب ذلك عمرَ منهما فضمهما الى نفسه فاختر منهما صلاحاً وفضلاً . فلما تولى الخلافة ولى اسماعيل ابن عبد الله على افريقية وولّى السمح بن مالك على الأندلس (٣) .

ووصل اسماعيل بن عبد الله الى المغرب سنة ١٠٠هـ فسار سيرة حميدة فأسلم بقية البربر بأفريقية على يديه ؛ وهو الذي علم أهل افريقية الحلال والحرام ؛ وكان عمر بن عبد العزيز قد بعث مع اسماعيل عشرة من التابعين لتفقيه أهل افريقية في الدين منهم عبد الرحمن بن نافع وسعد بن مسعود التجيبي وحبان

(١) راجع الحوض الشرقي ١١١-١١٣ .

(٢) البيان المغرب ١: ٤٨ .

(٣) أخبار مجموعة ٢٢-٢٣ .

ابن أبي جبّالة . وقد كانت الخمر تشرب في افريقية حتى جاء هؤلاء فبينوا تحريمها (١) .

وما كاد اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر يصل الى القيروان حتى بعث السمع بن مالك الخولاني - تنفيذاً لرغبة عمر بن عبد العزيز - الى الأندلس . فوصل السمع اليها في رمضان من سنة ١٠٠ (٢) ، نيسان من عام ٧١٩ .

لما وليّ السمع الأندلس لم يكن قد مر على الفتح العربي فيها ثماني سنوات بعد . من أجل ذلك لم تكن البلاد مستقرة ولا كان أهلها قد خضعوا بعد للحكم العربي خضوعاً تاماً ، وخصوصاً النبلاء القوط الذين كانوا قد خسروا دولتهم بالأمس القريب . وأدرك عمر بن عبد العزيز الخطر الذي يمكن أن يتعرض له المسلمون في هذا القطر المقطوع عن بلاد الإسلام اذا كانوا قليلي العدد بين أقوام أعداء لهم فكتب الى السمع يستخبره خبر الأندلس ويسأله أن يكتب اليه بصفة الأندلس وأحوالها - وكان رأيه نقل المسلمين منها لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم بأقوام هم أعداء لهم . ولكن السمع كتب الى عمر يقول له ان المسلمين قد كثروا في الأندلس وانتشروا في أقطارها وأنه لا خوف عليهم : واقنع عمر بقول السمع ولكنه زاد اهتمامه بالأندلس ففصلها عن المغرب وجعلها ولاية مستقلة تابعة لمركز الخلافة في دمشق بعد أن كانت تابعة لوالي افريقية . ثم أن عمر أمر السمع بالقيام باصلاحات تجعل مقام المسلمين في الأندلس أكثر أمناً واطمئناناً وراحة (٣) . فكان من تلك الاصلاحات :

(١) تجديد القنطرة على نهر الوادي الكبير : كان الرومان قد عقدوا على نهر الوادي الكبير قنطرة (جسراً) . فلما فتح العرب الأندلس كانت هذه القنطرة قد تهدمت ولم يكن قد بقي منها الا أسسها وعدد من حناياها . ففي سنة ١٠١ هـ ورد كتاب من عمر على السمع يأمره فيه بأن يعيد بناء القنطرة بحدارة يأخذها

(١) البيان المغرب ١: ٤٨ ، الاستقصا ١: ٩٠٠ .

(٢) البيان المغرب ١: ٤٨ ، ابن خلدون ١: ١١٨ ، ١٨٨ ، نفع الطيب ١: ٤٥٤ ، ٢: ٩٠٨ .

(٣) راجع البيان المغرب ٢: ٢٦٦ ، ابن الاثير ٥: ٣٧٣ ، أخبار مجموعة ٢٣ نفع الطيب ٢: ٨٠

من السور . أما السور فرأى عمر أنه لم يبق حاجة إليه ما دام المسلمون قد كثروا في الأندلس وأمنوا . فان لم يكن بد من سور ، محافظة على الأمن المحلي ، فلا ضرر من بنائه باللّين (١) .

(٢) تخميس الأندلس : أن استيلاء العرب على الأندلس بسرعة جر شيئاً من الاضطراب على ادارتها العسكرية والمدنية ثم جعل التمييز بين الأراضي التي فتحت عنوة والأراضي التي فتحت صلحاً على جانب من الصعوبة . من أجل ذلك عسر فرض الجبايات على هذه الأراضي بالعدل . ولعل جماعة من أهل البلاد شكوا ذلك ، فكتب السمع الى الخليفة بهذه الشكوى . فكان مما كتب به الخليفة عمر بن عبد العزيز الى السمع بن مالك أن يميّز الأراضي التي فتحت عنوة من تلك التي فتحت صلحاً ثم يخرج خمس الأراضي التي فتحت عنوة لينفق منه على الفتوح وعلى مصالح المسلمين ، وأن يقسم ما بقي من هذه الأراضي (أربعة أحماسها) بين غنّامها الذين فتحوها . وكذلك كتب عمر الى السمع أن يخرج من خمس قرطبة مقبرة للمسلمين ، فأخرج منه البطحاء المعروفة بالربض (الضاحية الجنوبية) فجعلت مقبرة (٢) .

السمع وراء جبال البرانس

في أخبار مجموعة (ص ٢٤) أن عمر بن عبد العزيز أمر السمع بن مالك الخولاني بالجهاد ، فاستجاب السمع لرغبة عمر .

الاسرة الميروفية : يبين وابنه قارله

في ذلك الحين كانت الاسرة الميروفية (٣) تحكم فرنسة . ولكن تلك الاسرة التي بدأت حكمها في اواسط القرن الخامس للميلاد - قبل ظهور الاسلام بنحو

(١) أخبار مجموعة ٢٣-٢٤ ، البيان المغرب ٢: ٢٦ ، نفع الطيب ١: ٣١٤ ، ٢: ٩ .

(٢) البيان المغرب ٢: ٢٦ ، أخبار مجموعة ٢٣-٢٤ ، غزوات العرب ٤٧: ٥٧ .

(٣) Les mérovingiens نسبة الى الملك Merowig (في الافرنسية Mérové))

أمانة وخمسين عاماً - كانت ، لما دخل العرب الى الأندلس ، قد ضعفت ودخل العجز على ماوكها فاستبد بالحكم فيها حجّاب متوارثون (وزراء قيّمون على قصر الملك) وأخذوا يصرفون الأمور وفق مصالحهم وعلى أهوائهم . وكان مثال هؤلاء الحجاب كثيرين وموجودين في جميع بلاطات الجرمان والفرنجة ، أما حاجب القصر الميروي في الزمن الذي نؤرخه فكان يبين صاحب هرستال (١) الذي استبد بالحجابه في بلاط أوستراسية نحو عام ٦٧٩م (٢) ثم حارب مملكة نوسترية (غربي غالية) واغتصب السلطة في بلاطها (٦٨٧م) ، كما حارب القبائل الجرمانية . ولكنه تخلى أخيراً عن الحجابه في بلاط نوسترية واكتفى بالحجابه في بلاط أوستراسية .

وكان ليبين هذا عشيقه اسمها ألبايد استولدها في نحو عام ٦٨٦م (٥٦٧) غلاماً سماه قارل^٣ . وتوفي يبين عام ٧١٤م (٥٩٦) ، بعد أن تم استيلاء العرب على الأندلس ، فخلفه ابنه قارله في الحجابه في بلاط أوستراسية . وسلك قارله سلوك أبيه فحارب أهل نوسترية وغزا قبائل السكسون والفريزيين والألمان ، ولكنه لم يشتهر الا بعد أن حارب العرب في معركة بواتيه (٤) .

ولما بلغت المملكة الميروفية الى هذه الدرکه من الضعف أخذ النبلاء الفرنجة يستبدون بالمقاطعات المختلفه ويحكمونها مستقلين أو كالمستقلين . من هؤلاء أودون صاحب أكويتانية الذي اتخذ تولوز (٥) عاصمة له . ويحسن أن نشير هنا إلى أن هؤلاء النبلاء المستبدين بالمقاطعات كانوا في نزاع مع الملوك الميروفيين - أو مع حجّاب القصر الميروي على الأصح - ثم في نزاع فيما بينهم .

غزوات السمح

في سنة ١٠٠٥هـ (٧١٩م) سار السمح الى مدينة أربونة وافتتحها . ولكن فتح

(1) Pépin d'Héristal .

(٢) يوافق ذلك أيام يزيد بن معاوية .

(3) Karl, Carlos, Charles .

(4) Cf, Larousse du XXeme Siecle 5:472 et 2:150.

(5) Eudes (طلوزة) ، و (أود)

أربونة لم يدم طويلاً فأعاد السمح الكرة عليها في أواخر سنة ١٠٢ هـ (ربيع عام ٧٢١ م) ففتحها ثم حصنها وشحنها بالمقاتلة والأعددة . بعدئذ اتجه شمالاً في غرب نحو تولوز فحاصرها ورامها بالمنجنيق . فلما علم أودون بذلك - وكان في الشمال - عاد مسرعاً للدفاع عن عاصمته يقود جمعاً غفيرة من الجُرمان والفرنجة . ومع أن العرب كانوا قليلين فانهم انتصروا في بادئ الأمر . ولكن في يوم عرفة (٩ ذى الحجة) من سنة ١٠٢ (١٠ حزيران ٧٢١) اشتدت الحرب حول تولوز نفسها ، وقتل السمح فانتشر شيء من الفوضى في الجيش العربي وانهمز : غير أن أحد القادة الذين كانوا مع السمح بن مالك استطاع بحكمته ومقدرته وشجاعته أن ينسحب بمن بقي من الجند سالمين الى الأندلس . ذلك القائد كان عبد الرحمن الغافقي (١) . على أن انهزام العرب أمام تولوز لم يجبرهم على الانسحاب من أربونة (٢) ، فبقيت أربونة لهم حصناً ومكاناً لتعبئة يشنون منها الغارات على ما حولها من بلاد الفرنجة .

وكانت ولاية السمح بن مالك على الأندلس سنتين وثمانية أشهر في أصح الروايات (٣) .

ولاية يزيد بن أبي مسلم على افريقية والمغرب

كان يزيد بن أبي مسلم مولى للحجاج بن يوسف وصاحب شرطته ، ولا ريب في أنه قد أضاف الى ما كان عنده من كفاية وحزم شيئاً من شدة الحجاج وعنفه . ولما حضرت الحجاج الوفاة ، في رمضان من سنة ٩٥ (أيار ٧١٤) ،

(١) البيان المغرب ٢: ٢٦٤ ، راجع ابن خلدون ٤: ١١٨ . جاء في نفع للطيب ٢: ٩٠ : « قتل (السمح) في الوعدة المشهورة عند أهل الأندلس بوقعة البلاط - يوم التروية (٨ ذى الحجة) سنة ١٠٢ - وكان جنود الفرنجة قد تكاثروا عليه فاحاطت بالمسلمين فلم ينج منهم أحد » . وفي البيان المغرب ٢: ٢٦٤ : قتل السمح في طرسونة (قرب تطلية على نهر أبره شرق سرقسطة) (راجع الروض المطار ١٢٣: ٦٤) ، راجع Larousse 6 : 745

(2) Larousse 5: 671.

(٣) راجع البيان المغرب ٢: ٢٦٤ ، ابن القرضي ١: ٢٣٠ ، نفع للطيب ٢: ٩٠ .

استخلف يزيد بن أبي مسلم على خراج العراق فضببطه وأحسن القيام عليه : من أجل ذلك أقره الوليد وسليمان ابنا عبد الملك على ما كان للحجاج قد استخلفه عليه . ولكن لما جاء عمر بن عبد العزيز - وكان كارهاً للحجاج ولسياسته وللناهجين نهجه - رأى على يزيد بن أبي مسلم ما يوجب المواخذة فألقاه في السجن (١) . ثم توفي عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة ١٠١ (شباط ٧٢٠) فخلفه يزيد بن عبد الملك فولّى يزيد بن أبي مسلم على افرريقية والمغرب . ووصل يزيد بن أبي مسلم الى القيروان في سنة ١٠١ هـ ، كما ذكر ابن خلدون (٤ : ١٨٨) ، أو ١٠٢ هـ ، كما ذكر صاحب البيان المغرب (١ : ٤٨) . وأرى أن أحداث المغرب والأندلس لاتتسق في هذه الحقة الا اذا كان قدوم يزيد بن أبي مسلم الى القيروان في مطلع سنة ١٠٣ هـ (تموز ٧٢١) :

(٥) عبد الرحمن الغافقي للمرة الاولى

كان عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكبي (٢) من الذين دخلوا الأندلس للجهاد والرباط ، وكان هؤلاء بضعة وعشرين شخصاً ، وهم الذين أسسوا جامع قرطبة (٣) . وروى عبد الرحمن الغافقي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب كما روى عنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعياض بن عياض وسواهما (٤) ، لما استشهد السمح بن مالك الخولاني قدم الجند على أنفسهم عبد الرحمن الغافقي فدخل عبد الرحمن الأندلس (من أرض الفرنجة) في ذي الحجة من سنة ١٠٢ ، وبقي والياً عليها حتى جاء عنبسة بن سحيم الكلبي في صفر من سنة ١٠٣ (٥) . وهكذا كانت ولاية السمح الاولى على الأندلس نحو شهرين :

-
- (١) الاستقصا ١ : ٩٢ ، راجع ٩١-٩٢ ، والبيان المغرب ١ : ٤٨ .
(٢) جذوة المقتبس ، ٢٥٥ ، راجع في سياقة نسه جمهرة أنساب العرب ٣٠٩ .
(٣) جذوة المقتبس ، ٧ ، المعجب ١٤ ، نفع الطيب ١٨٣ ، ١٩٠ ، ٩٠ : ٢ .
(٤) راجع ابن القرضي ١ : ٢٩٨ ، جذوة المقتبس ، ٧ ، المعجب ١٤ ، نفع الطيب ٢ : ١١٤٩ .
(٥) البيان المغرب ٢ : ٢٦ ، ابن خلدون ٤ : ١١٨ ، نفع الطيب ١ : ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٩ : ١٤٥ .

٩ : ٢

(٦) عنبسة بن سحيم الكلبي

في الشهر الذي وصل فيه يزيد بن أبي مُسَلِّم إلى القيروان ولّى علي الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي (١) ، فوصل عنبسة إلى قرطبة في صفر من سنة ١٠٣ (آب ٧٢١) .

مقتل يزيد بن أبي مسلم

كان في يزيد بن أبي مسلم شيء من استبداد الحجاج وقسوته ، فأراد أن يسلك في المغرب مسلك الحجاج في العراق فأساء السيرة في البربر وأراد أن يرد الجزية - أو ما يشبه الجزية - على الذين أسلموا ، وأن يرد أهل الريف إلى قراهم (كما كان الحجاج قد فعل في العراق) . ثم انه اتخذ حرساً من البربر البُتْر وأراد أن يكتب على يمين كل واحد منهم اسمه (اسم الجندى) وأن يكتب على يساره كلمة « حرسى » ، كما كان يصنع الروم (٢) . فسيئ البربر من ذلك وتآمروا عليه وقتلوه بعد شهر واحد من قدومه (٣) ، في صفر من سنة ١٠٣ .

وأراد أهل المغرب أن يولّوا على أنفسهم المغيرة بن أبي بُردة القرشي ، أحد بني عبد الدار - وكان شجاعاً كبيراً - فقال له ابنه عبد الله : ان بن أبي مسلم قتل بحضرتك . فان رضيت بالولاية أتهمك الناس بقتله . فالرأي عندي أن تحمل الناس على الرضا بمحمد بن أوس الانصارى ، وكان يومذاك في غزوة إلى سقلية فلم يلبث أن عاد بغنائم قد أصابها فولاه الناس على افريقية (٤) .

(١) البيان المغرب ١ : ٤٨ ، ٢ : ٢٧ ، ابن خلدون ٤ : ١١٨ ، ١٨٨ ، نفح الطيب ١ : ١٤٥ ،

راجع ٢ : ٩ ، الاستقصا ١ : ٤٧ .

(٢) فتوح مصر ٢١٥ . الحرسى واحد حرس السلطان (القاموس) .

(٣) البيان المغرب ١ : ٤٨ ، ابن خلدون ٤ : ١٨٨ ، الاستقصا ١ : ٩٢ .

(٤) البيان المغرب ١ : ٤٩ . وقد اتهم الناس عبد الله بن موسى بن نصير بمقتل يزيد بن أبي مسلم

فتوح ٢١٥ ، راجع فوق ، ص ١٠٥ والحاشية ١ .

وقيل بل عاد أهل المغرب الى تولية محمد بن يزيد (١) .

ولاية بشر بن صفوان على المغرب

ولم يررض الخليفة يزيد بن عبد الملك عن عمل أهل افريقية بيزيد بن أبي مسلم لأن مقتله كان ، كما سرى بعد قليل ، بدء عصية ستور وشيكاً في المغرب والأندلس على السواء، فكتب إلى واليه على مصر بِبشر بن صفوان بذلك ، فاستخلف بشر أخاه حنظلة على مصر ثم سار الى افريقية فوصل اليها سنة ١٠٣ هـ « فبلغه أن عبد الله بن موسى (بن نصير أو أحد آل موسى بن نصير) هو الذي دس لقتل يزيد بن أبي مسلم ، وشهد على ذلك خالد بن أبي حبيب القرشي (٢) وغيره . فقتله بِبشر ، قيل بعد أن استشار في ذلك يزيد بن عبد الملك (٣) ، واستصفى بقايا آل موسى بن نصير (٤) .

وأقر بشر بن صفوان عبسة بن سحيم على الأندلس (٥) ثم التفت الى افريقية نفسها فضببطها وسكن أرجاءها .

وبدا لبشر بن صفوان أن يذهب الى المشرق في زيارة للخليفة يزيد بن عبد الملك يحمل له فيها هدايا كثيرة . فلما توفي يزيد في ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ (أواخر كانون الثاني ٧٢٤) كان بشر لا يزال في الطريق : فلما تولى الخلافة هشام بن عبد الملك أقر بشر بن صفوان على افريقية فرجع بشر الى القيروان . ثم ان بشر أقر عبسة بن سحيم على الأندلس من جديد لأن أمر الأندلس كان قد استقر على يديه (٦) .

(١) ابن خلدون ٤: ١٨٨ راجع الاستقصا ١: ٩٢ .

(٢) يذكر فتوح مصر خالد بن أبي حبيب القرشي ص ٢١٥ مرتين وخالد بن أبي حبيب النهري ص ٢١٨ ثلاث مرات ، والظاهر أنها واحد .

(٣) فتوح مصر ٢١٥ .

(٤) البيان المغرب ١: ٤٩ ، الاستقصا ١: ٩٣ .

(٥) البيان المغرب ٢: ٢٧ ، راجع أخبار مجموعة ٢٤ .

(٦) فتوح مصر ٢١٥ ، البيان المغرب ٢: ٢٧ ، جلوة المقتبس ٣٠١ ، ابن خلدون ٤: ١١٨ .

نفع الطيب ١: ١٤٥ ، الاستقصا ١: ٤٧ .

عنبسة وراء جبال البرانس

في أواخر سنة ١٠٥ هـ (ربيع عام ٧٣٤م) استنفر عنبسة المجاهدين ثم عَبَّرَ جبال البرانس في جيش كثيف الى بلاد الفرنجة : واستقر عنبسة حيناً في أربونة حتى أتم تحصينها وشحنها بالرجال والعتاد : بعدئذ اتجه غرباً نحو مدينة قرقشونة على نهر الأود ، في أوائل سنة ١٠٦ هـ ، وحاصرها حصاراً شديداً ، فصالحه أهلها على ما يلي (ابن الأثير ٥ : ٦٤) :

- (أ) أن يَتْرَلَ (يتنازل) له أهلها عن نصف أعمال المدينة (الأراضي التابعة لها) .
- (ب) أن يطلقوا جميع من عندهم من أسرى المسلمين ويردوا اليهم سلاحهم ومتاعهم .
- (ج) أن يعطوا الجزية .
- (د) أن يلتزموا بأحكام أهل الذمة فيحاربوا من حاربه المسلمون ويسالموا من سالمه المسلمون .

ثم ان عنبسة سار الى نومشو (١) ، شمال شرقي قرقشونة بين مونبيليه وأبينيون ، فدخلها بلا مقاومة وأخذ منها رهائن نقلهم الى برشلونة . بعد ذلك صعد في حوض نهر رودنة (الرون) حتى وصل الى أوتون على نهر أرو ، ورافد نهر النوار ، والى لوكسوي (٢) في مقاطعة الساعون الأعلى ، وتلك أبعد نقطة بلغ اليها العرب في فرنسة . ومن هنالك عاد عنبسة أدراجه ، ولكنه توفي في الطريق شهيداً ، في شعبان من سنة ١٠٧ (مطلع ٧٢٦م) ، فكانت ولايته أربع سنوات وثمانية أشهر (٣) .

(٧) عذرة بن عبد الله الفهري

لما استشهد عنبسة قدم أهل الأندلس على أنفسهم رجلاً من العرب يقال

Luxeuil (٢)

Nîmes (١)

(٣) راجع في الكلام على غزوة عنبسة واستشهاده : البيان المغرب ٢ : ٢٧ ، ابن الأثير ٥ :

٢٣٣ ، جنرة المقتبس ٣٠١ ، ابن خلدون ٤ : ١١٨ ، نفع الطيب ١ : ١٤٥ ، ٢ : ١٠٩ .

له عُدْرَة (١) بن عبد الله الفهري . ولم يكن عذرة والياً بالمعنى المقصود من الكلمة ، ولكن أهل الأندلس قدموه حتى يضبط أمورهم ويقيم الأحكام بينهم لأنه كان من الصالحاء والفرسان ومن بيت نباهة وأدب (٢) . ولذلك لم يعده ابن بشكوال في سلاطين الأندلس (٣) ، ولا ذكره صاحب أخبار مجموعة ولا ابن خلدون .

(٨) يحيى بن سلمة الكلبي

ومع أن أهل الأندلس كانوا قد ولّوا على أنفسهم ، بعد استشهاده عنبسة ، عذرة بن عبد الله الفهري ، فانهم كتبوا الى والي افريقية بشر بن صفوان (٤) واستدعوا منه والياً يقوم بأمرهم (٥) . فأرسل بشر بن صفوان اليهم يحيى بن سلمة (٦) الكلبي . وقد وصل يحيى الى الأندلس في شوال من سنة ١٠٧ (شباط ٧٢٦) ، في أيام هشام بن عبد الملك (٧) .

وأصلح يحيى بن سلمة الكلبي أمور الأندلس . ثم إنهم ردوا الى أهل الذمة (اليهود والنصارى) ما كان عنبسة قد أخذه منهم بغير حق وأجبر المسلمين على أن يردوا ما كان في أيديهم من ذلك الى أصحابه . وهكذا استشعر أهل الذمة في

(١) في نفع الطيب ١: ١٩٠، ٢: ١٠ غزرة بالزاي اخت الراء .

(٢) راجع البيان المغرب ٢: ٢٧ ، نفع الطيب ١: ١٩٠ ، ٢: ١٠ .

(٣) نفع الطيب ١: ١٠ .

(٤) في ابن خلدون ٤: ١٨٨ : حنظلة بن صفوان ، وهو وهم من ابن خلدون نشأ من ابن حنظلة اخابشر ، كان والياً على مصر ثم تولى افريقية والمغرب سنة ١١٩ (البيان المغرب ١: ٥٨) . وفي البيان المغرب ٢: ٢٧ : « ورد يحيى ... والياً من عند امير المؤمنين هشام بن عبد الملك في آخر سنة ١٠٩ . (٥) الاستقصا ١: ٤٧ .

(٦) في اخبار مجموعة ص ٢٤ مسلمة ، وفي بعض الروايات سلى او سلامة راجع مثلا ابن الاثير ٥: ٣٣ .

(٧) راجع البيان المغرب ١: ٤٩، ٢: ٢٧، ابن الاثير ٥: ٦٤ ، ٢٣٣ ، ابن خلدون ٤: ١١٨ ، نفع الطيب ١: ١٤٥ ، ١٩٠ ، ١٩٠ ، ٢: ١٠ ؛ الاستقصا ١: ٤٧ .

أيام يحيى كثيراً من القوة ، بينما آتهم العربُ يحيى بأنه يميل الى العصية اليمينية (١) . ولم يغز يحيى بلاد الفرنجة أبداً (٢) ، مع أن ولايته على الأندلس امتدت سنتين وستة أشهر (٣) .

عبدة بن عبد الرحمن السلمي على المغرب

في سنة ١٠٧ هـ غزا بشر بن صفوان جزيرة سقلية ، فلما عاد شكاً من الدبيلة (٤) . ثم حضرته الوفاة فاستخلف مكانه على افريقية نُعْاش بن قُرط الكلبي . فلما توفي في شوال من سنة ١٠٩ (كانون الثاني - شباط ٧٢٨) عزل هشام بن عبد الملك نُعاش بن قرط وولّى عبدة بن عبد الرحمن بن أبي الأغر السلمي القيسي ، في المحرم أو صفر من سنة ١١٠ (٥) ، أيار ٧٢٨ ، فوصل الى القيروان في يوم جمعة من شهر ربيع الاول من السنة نفسها (٦) ، أي في حزيران ٧٢٨ . وكان عبدة بن عبد الرحمن قائد خيل معاوية في معركة صفين (٧) . وأغزى عبدة بن عبدة بن عبد الرحمن المستنير بن الحبحاب الى سقلية فهبت ريح على الأسطول العربي فأغرقت بعضه وقذفت المركب الذي فيه المستنير الى شاطئ طرابلس . فكتب عبدة الى عامله على طرابلس يزيد بن مسلم الكندي أن يبعث اليه بالمستنير مشدوداً في وثاق . فلما وصل المستنير الى القيروان جلده عبدة ثم سجنه وأخذ في التنكيل به (٨) .

وكان عبدة بن عبد الرحمن قد أخذ عمال بشر بن صفوان وأصحابه وأغرمهم وعذبهم . وكان في هؤلاء أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي

(1) Los Mozarabes 84.

- (٢) ابن خلدون ٤: ١١٨ ؛ السطر الثالث من اسفل ؛ نفع الطب ١: ١٤٥ .
- (٣) البيان المغرب ٢: ٢٧ ، أبق خلدون ٤: ١١٨ ؛ نفع الطب ١: ١٤٥ ؛ ١٠: ٢ .
- (٤) الدبيلة بالتصغير او الدبلة بفتح الدال وكسرها : مرض يصب الجوف .
- (٥) فتوح مصر ٢١٦ ، راجع ابن خلدون ٤: ١٨٨ .
- (٦) البيان المغرب ١: ٥٠٠ .
- (٧) البيان المغرب ١: ٥٠٠ .
- (٨) فتوح مصر ٢١٦ ، راجع ٢١٧ . في الحاشية ١٠ من ص ٢١٦ والحارث بدل الحبحاب .

— وكان شريفاً في قومه مع فصاحة وبراعة — وكان قد وليّ في إفريقية ولايات كبيرة في أيام بشر ، فعزله عبيدة ونكّل به . فيقال إن أبا الخطار نظم أبياتاً وبعث بها الى هشام بن عبد الملك ، فكان ذلك سبباً في عزل عبيدة بن عبد الرحمن عن إفريقية ، في شوال من سنة ١١٤ (١) أو تشرين الثاني ٧٣٢ ، بعد أن قضى في ولايته أربع سنوات وستة أشهر .

(٩) حذيفة بن الاحوص الأشجعي

تولى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي إفريقية والمغرب والأندلس معاً ؛ وأرسل في اثناء ولايته اربعة اولاة على الأندلس هم عثمان بن ابي نِسْعَة وحذيفة بن الاحوص والهَيْثَم بن عُبَيْد ومحمد بن عبد الله الأشجعي (٢) . واختلف المؤرخون في عثمان وحذيفة : أيهما تولى قبل صاحبه (٣) . ان صاحب أخبار مجموعة (ص ٢٤) والمقري في نفع الطيب (١ : ١٤٥ ، ١٩٠ ، ٢ : ١٠) والسلاوي في الاستقصا (١ : ٣٩) يجعلون عثمان قبل حذيفة . أما ابن الخطيب في كتاب أعمال الاعلام (ص ٦) فيجعل حذيفة قبل عثمان . والغريب أن ابن عذارى يجعل عثمان ، في كتابه « البيان المغرب » ، مرة قبل حذيفة (١ : ٥١) ومرة بعد حذيفة (٢ : ٢٧ - ٢٨) . ومثل ذلك فعل ابن خلدون (٣ : ١٤٠ ، ٤ : ١١٨) .

ولعل الذي نقله الأمير شكيب أرسلان عن المؤرخ الأسباني كوندي (٤) يحل المشكلة ، مع أن أكثر ما ذكره كوندي في كتابه مدخول لا يوثق به . قال كوندي (٤) :

(٩) البيان المغرب ١ : ٥٠-٥١ .

(٢) الاستقصا ١ : ٩٣ .

(٣) ابن خلدون ٤ : ١١٥ ، السطر الاول .

(3) J. Conde, La dominacion arabe.

(٣) غزوات العرب ٨٦ .

« ... وبينما كان (يحيى بن سلمة) يطوف في الولايات الشمالية انتهب أعداؤه الفرصة فطلبوا من أمير افريقية عزله ، فأجابهم الى ما سألوا وأرسل مكانه عثمان بن أبي نسة . وكان عثمان هذا مشهوراً بالبسالة والتجدة والبصيرة بالحروب فتولى الأمانة واضطاع بها . ولكن وجد فيه أصحابه عوداً صليلاً وقناة لا تاین لغامز ، ولم يحققوا فيه آمالهم ولا هو عرّف لهم جميل سعيهم في تأميره ، بل رأوا فيه ما أفضّ وأرغض . فما زالوا يسعون به كما (كانوا قد) سعوا من قبل بسلفه حتى حماوا الخليفة على صرفه بمُحْدِقة بن الاحوص . فلم يقم هذا الا قايلاً ، وعاد أمير افريقية فولى على الأندلس عثمان بن أبي نسة نفسه ، ولكن وكيلاً لا أصيلاً ، الى أن قدم من دمشق بأمر الخليفة الهيثم بن عبيد الكناني

وهكذا تستقيم المصادر ، اذ يكون عثمان قد جاء مرتين : مرة قبل حذيفة ومرة بعده . ثم ان ما ذكره كوندي ، اذا صح ، يمكن أن يحل لنا مشكلة ثانية : يذكر عدد من المصادر أن حذيفة قدم إلى الأندلس في ربيع الاول من سنة ١١٠ (١) ، كما يقول بعضها إنه جاء في المحرم من سنة ١١١ (٢) ؛ وكذلك تذكر المصادر أن حذيفة تولى الأندلس ستة أشهر (٣) ثم عزل عنها ، كما تذكر أن ولايته استمرت سنة (٤) . فينتج مما استعرضنا اذن أن المؤرخين اذا قالوا « مكث حذيفة ستة أشهر » وجب أن ينصرف ذهننا الى المدة التي قضّاها حذيفة في ولايته الفعلية . أما اذا ذكروا أن حذيفة قضى في ولايته سنة فانهم يكونون قد استخرجوا ذلك من ادخال ولاية عثمان الثانية في مدة حذيفة ، اذ ظنوا أن حذيفة قد بقي في الولاية حتى قدم الهيثم بن عبيد الكناني .

(١) ابن الاثير ٥: ٦٨ ، راجع ٨٢ . راجع ابن خلدون ٣: ١٣٩ ، ٤: ١١٩ ، نفع الطيب ١٠: ٢ .

(٢) البيان المغرب ١: ٥٠٠ .

(٣) البيان المغرب ٢: ٢٧ ، ابن الاثير ٥: ٢٣٣ ، راجع ٦٨ و٨٢ ، ابن خلدون ٤: ١١٩ . وفي نفع الطيب ايضاً ١: ١٣٥ خمسة اشهر .

(٤) ابن خلدون ٤: ١١٩ ، نفع الطيب ١: ١٤٥ ، ٢: ١٠٠ .

(١٠) عثمان بن أبي نسة

وفي شعبان من سنة ١١٠ جاء عثمان بن أبي نسة الخثعمي والياً على الأندلس من قبل عبيدة بن عبد الرحمن السلمي فأقام فيها خمسة أشهر أو ستة ثم عاد الى القيروان (١) .

(١١) الهيثم بن عبيد الكلابي

وكذلك جاء الهيثم بن عبيد الكلابي (٢) الى ولاية الأندلس من قِبَلِ عبيدة ابن عبد الرحمن السلمي (٣) فوصل اليها في المحرم من سنة ١١١ (نيسان ٧٢٩) ، في أصح الأقوال (٤) . ويصف الأمير شكيب أرسلان في غزوات العرب (ص ٨٦) الهيثم هذا فيقول : « وكان الهيثم شامياً ، ولكنه كان فظاً بخيلاً جاسياً فأسف شيوخ العرب والبربر وساءت ملكته فيهم فاتحدوا عليه فألقى بهم في السجون وأهلك بعضهم » . وقد نقل الأمير شكيب هذا الكلام عن كوندني ، ونحن لا نعرف مظانه في المصادر العربية :

وقالوا غزا الهيثم أرض منوسة (٥) وافتتحها وأقام فيها عشرة أشهر (٦) . وكانت ولاية الهيثم سنتين وأياماً (٧) . وعلى هذا كانت وفاته - وهو لا يزال

(١) البيان المغرب ١: ٥٠٠ ، ٢: ٢٨ ، راجع أخبار مجموعة ٢٤ (عثمان بن أبي سعيد الخثعمي

تسعة بالتاء) راجع نسبه في جبهة انساب العرب ص ٣٦٩ .

(٢) الهيثم بن عبيد الكلابي (البيان المغرب ١: ٥٠٠) ، الهيثم بن عقير الكلابي (اخبار مجموعة ٢٤) .

(٣) البيان المغرب ١: ٥٠٠ ، ابن خلدون ٤: ١١٩ .

(٤) ابن الاثير ٥: ٢٣٢ ، ابن خلدون ٤: ١١٩ ، نفع الطيب ١: ١٩٠ ، ٢: ١٠ . اما ابن عذارى فيذكر في البيان المغرب ان الهيثم جاء في صدر سنة ١١١ (٢٨:٢) مرة ، وانه جاء في المحرم من سنة ١١٢ (١: ٥٠) مرة اخرى .

(٥) البيان المغرب ٢: ٢٨ ، وفي الحاشية : سنوسة ، في ابن خلدون (٤: ١١٩) : مقرشة ،

وفي نفع الطيب (١: ١٤٥) : منوسة ، وفي الحاشية : مقوشة .

(٦) ابن خلدون ٤: ١١٩ .

(٧) في البيان المغرب : سنتين وأياماً (١: ٥٠٠) ، سنة وشهرين (٢: ٢٨) . في ابن خلدون (٤: ١١٩) سنتين . في أعمال الاعلام (ص ٦) أربعة اشهر .

والياً - في أواسط المحرم من سنة ١١٣ (١) ، أي في آخر آذار من عام ٧٣١ ء

(١٢) محمد بن عبد الله الأشجعي

بعد الهيثم قدّم أهل الأندلس على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي ، وكان فاضلاً ، فصلّى بهم شهرين (٢) هما مدة ولايته عليهم (٣) : ذو الحجة من سنة ١١١ والمحرم من سنة ١١٢ (شباط وآذار من عام ٧٣٠) . والملموح ن أهل الأندلس كانوا اذا ولّوا أحداً عليهم من عند أنفسهم ، قبل ثورة العصبية ، لم يكونوا يولونه اللامارة العامة بل للصلاة بهم وإقامة الأحكام (القضاء والحسبة وما يههما) في الدرجة الاولى .

(٠٠) عبد الرحمن الغافقي للمرة الثانية

كان عبدة بن عبد الرحمن السلمي لا يزال والياً على افريقية والمغرب (٤) ، فلما بلغته وفاة الهيثم بن عبيد وأن أهل الأندلس قدموا على أنفسهم محمد بن عبد الله الأشجعي لم يرض بذلك فوجه الى الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي العكبي (٥) ليتولّاها للمرة الثانية . فكان دخول عبد الرحمن الغافقي الى الأندلس في صفر من سنة ١١٢ (أيار ٧٣٠) في أصح الأقوال (٦) .

(١) ابن خلدون ٤ : ١١٩ ، نفع الطيب ١ : ١٤٥ . - توفي في ذي الحجة ١١١ (ابن الاثير ٥ : ٧٤ ، ٢٣٢) ، توفي سنة ١١٢ (ابن خلدون ٣ : ١٤٠) ، توفي ١١٤ (البيان المغرب ١ : ٥٠٤) .

(٢) البيان المغرب ٢ : ٢٨ ، نفع الطيب ١ : ١٤٥ ، ١٩٠ ، ١١ : ٢ ، ١٢ .

(٣) البيان المغرب ٢ : ٢٨ : ابن الاثير ٥ : ٨١ : ابن خلدون ٣ : ١٤٠ نفع الطيب ١ : ١٤٦ ، (٤) البيان المغرب ١ : ٥٠٤ .

(٥) فتوح مصر ٢١٦ ، ابن الاثير ٥ : ٨١ ، ٨٢ ، ٢٣٢ ، ابن خلدون ٣ : ١٤٠ ، الاستقصا ١ : ٤٨ .

(٦) البيان المغرب ٢ : ٢٨ ، ابن الاثير ٥ : ٢٣٢ ؛ وذكر بعضهم ان ولاية عبد الرحمن الثانية كانت سنة ١١٣ (البيان المغرب ١ : ٥١ ، نفع الطيب ١ : ١٤٦ ، ٢ : ٩) .

الجهاد وراء البرانس

غزا عبد الرحمن الغافقي في ولايته الثانية بلاد الفرنجة في سنة ١١٣ وفي سنة ١١٤ للهجرة (١) . أما غزوة سنة ١١٣ فكانت استطلاعية تمهيدية ، فقد أرسل عبد الرحمن الغافقي جيشاً بقيادة عثمان بن أبي نِسْعَةَ الذي كان والياً على الأندلس (٢) وعيّنهُ أميراً على الثغر (حامياً للحدود) ، وأمره بأن يشاغل العدو بالغارات الى أن يكون هو قد أطل بمعظم الجيش (٣) . وتذكر المصادر الفرنجية أن عبد الرحمن الغافقي أساء الاختيار في عثمان هذا . ان عثمان بن أبي نِسْعَةَ كان يضطغن على عبد الرحمن ولايته ، وكان يحز في نفسه أن يعمل تحت امرته بعد أن كان هو أميراً على الأندلس كلها .

خرافة مونوزا

ثم تزعم الكتب الفرنجية أن عثمان قد أسر في إحدى غاراته في تلك الغزوة ابنة أود دوق أكويتانية ، وكانت رائعة الجمال ، فهام بها وتزوجها . وتسمي تلك الكتب ابنة أود أسماء مختلفة : نوميرانسة ، مينين ، لا مباحية (٤) . وكذلك تسمي تلك الكتب عثمان نفسه « مونوسا » أو « مونوزا » ، وتجعله أحياناً من البربر (٥) ، قالوا : فلما سكن عثمان الى زوجته ترك الغزو وأصبح ضيلعه مع صهره أود ونذيراً اليه بتحريك الجيوش الإسلامية نحو بلاده . فيقال ان عبد الرحمن للغافقي أرسل الى عثمان من تغلب عليه فقتله (٦) ، وقيل بل قُتِلَ في حديث

(١) ابن الاثير ٥ : ٨٢ ، نفع الطيب ١ : ١٤٦ ، ٢ : ٩ .

(٢) راجع فوق ، ص ١٢٥ .

(٣) غزوات العرب ٨٧ .

(٤) راجع غزوات العرب ٨٨ وما بعدها

Munûsa, Los Mozarabes 89, cf. 101, 486. Lévi-Provençal I 60s.
Munûsa y Othman يسميه Larouse dsu XX eme Siécle (vol. 5, p. 671)

(5) Lévi-Provençal I 60,61 .

(٦) غزوات العرب ٨٩ .

آخر . ومع أن الغالب على هذه الرواية أنها موضوعة من أساسها (١) ، فإنها تدل على أن عبد الرحمن الغافقي لم يكن غافلاً عن بعث الطلائع قبل أن قام بهجومه الرئيسي :

معركة بلاط الشهداء

على أن الغزوة التي اقترن بها اسم عبد الرحمن الغافقي ثم ملأت أخبارها كتب الفرنجة ولم يخل من ذكرها كتاب من كتب التاريخ عند العرب - وأن كان ذكر المصادر العربية لها كان دائماً إشارة عارضة - فهي معركة بلاط الشهداء أو معركة البلاط .

لم يتبع عبد الرحمن الغافقي في غزوته هذه خط الزحف الذي كان العرب قد ألفوه منذ أيام السمع وعنبسة ، والذي كان يسير من برشلونة الى جيرونة ثم يدور حول الركن الشرقي من سلسلة جبال البرانس ليتجه نحو أربونة ثم الى ما وراءها شرقاً أو غرباً ، لأن الفرنجة كانوا قد حصنوا وادي نهر الرون ، ولكنه شق طريقاً جديداً غربياً : سار في الأغلب الى سرقسطة ثم عطف شرقاً في شمال نحو تطيلة فالى بنبلونة ، في أرض نيبارة ، في مطلع الصيف . وفي بنبلونة أتم عبد الرحمن حشد جيوشه ثم قطع جبال البرانس من طرفها الغربي ماراً بدرّب (عَقَبَة ، مَخْرَم ، مضيق) رونسفالس متجهاً نحو بورداله (بوردو) .

وحاول أود أن يصد عبد الرحمن ، ولكنه انهزم في المعركة التي وقعت في عتق وادي دوردون ، على مقربة من مصب ذلك النهر مع نهر الغارون في خليج واحد . بعدئذ مال عبد الرحمن الى مدينة بوردو ، عند مصب نهر الغارون ، وأخذها عتوة بعد مقاومة يسيرة ثم اندفع بجيشه شمالاً حتى مر بمدينة بواتيه نحو مدينة تور . وقد كانت مدينة تور العاصمة اللدنية لبلاد غالية . ولعل اسمها تور Tours لا يزال يحمل شيئاً من معناها الأول ومقامها القديم . ان كلمة

(١) دولة الاسلام في الاندلس ١ : ٨١ - ٨٥ .

« تور » (أو : تورس ، على الأصح) معناها الأبراج ، أبراج القلاع والحصون أو أبراج الكنائس التي تفرع فيها الأجراس .
وبعد الهزيمة التي مُنيَ بها أود في وادي نهر دوردون لم يجد مَقَرّاً من الأستنجد بخصمه قارله مفضلاً أن يجتاح الفرنجة أملاكه على أن ينتزعها منه العرب . ولعل الذي أفرغ أودَ أن جانباً كبيراً من أهل المدن التي كان العرب قد استقروا فيها حينئذٍ مثل أربونة وقرقشونة كانوا قد بدأوا يتعاونون مع العرب (١) :

نشوب معركة بلاط الشهداء

لبّى قارله نداء أود (٢) لا حباً بأود ولكن طمعاً في الاستيلاء على أراضيه — كما قام الدليل على ذلك فيما بعد باستيلاء قارله على تلك الأراضي فعلاً — وخوفاً من أن يغزو العرب بلاده وقد باتوا على مَقَرُّبة منها (٣) . واستدعى قارله جموعه من كل صوب : من ضفاف نهر الالبي (٤) وضفاف الطونة والراين ، ثم انحدر من الشمال مسرعاً نحو مدينة تور . وكان العرب قد مروا بمدينة بواتيه ، وهم مندفعون نحو الشمال ، حتى أصبحت طلائعهم على مقربة من مدينة تور نفسها . وحدث الاصطدام الأول بين طلائع العرب وبين الجيش الفرنجي ، وارتدت تلك الطلائع جنوباً راجعة نحو بواتيه حيث أراد العرب أن يصمدوا للجموع الفرنجية التي كانت منحدرة اليهم كالسيل .

مشهد المعركة

يذكر رينو (٥) أن العرب يجعلون مشهد هذه المعركة عند تور بينما الكتّاب الأفرنج يجعلونها عند بواتيه ، وقد أخذ ذلك عنهم المشرفون على دائرة المعارف

(1) Reinaud 32.

(٢) راجع فوق ، ص ١٢٧-١٢٨ .

(3) Reinaud 42.

(٤) الالبي نهريينج في تشيكوسلوفاكية ثم يتفرق شمالي شرقي ألمانيا ويصب في بحر الشمال .

(5) Reinaud, 44, 49.

الاسلامية (١) . والذي يبدو فعلاً أن المعركة بدأت عند مدينة تور بأهزام
الطلائع العربية ثم كانت الوقعة الفاصلة عند بواتيه ، على نحو عشرين كيلومتر
من بواتيه شمالاً في شرق في المكان الذي لا يزال يدعى موسىه - لا - باتاي (٢)
على مقربة من بلاط (طريق روماني) كان يصل بين مدينة شانلرو وبين بواتيه ؛
أما بلاط الشهداء فليس عكماً على مكان معروف . ان ياقوت الحموي
يذكر (١ : ٧٠٨ - ٧١٠) البلاط وبلاطة وبلاط عوسجة ، ولكنه لا يعرف
بلاط الشهداء . والمؤرخون العرب يسمون هذه المعركة أحياناً معركة بلاط
الشهداء وأحياناً معركة البلاط (٣) . وقد كتب أحد المسلمين المعاصرين في
مجلة « المسلمون » (٤) أنه زار موضعاً بين تور وبواتيه يدعى فوسيه - له -
ووا (٥) أو خندق الملك ثم قال انه قد استُكشِفَ هناك حديثاً في الحفريات
بعضُ السيوف العربية . وهو يرى أن عبد الرحمن الغافقي استشهد هنالك .

عجى المعركة

وكان المصاف بين العرب والفرنجة بضعة أيام حدثت فيها مناوشات كثيرة
لم تكن كيفة النصر فيها مائلة الى العرب ، بل كانت الهزيمة مُطلّة عليهم
لأسباب منها أن الجيش الذي كان عبد الرحمن الغافقي يقوده كان قليل العدد
ولم يكن عبد الرحمن يطعم في مدد من خلفه ، بينما الفرنجة كانوا جمعاً لائحص وكان
المدد من خلفهم متلاحقاً . وكذلك لم يكن لدى العرب خُطّة منظمة للفتح في
بلاد الفرنجة ، بينما كان الفرنجة يدافعون عن ملكهم .

(1) Enc. Isl. (new ed.) I 86.

Moussais-la-Bataille (cf. Lévi-Provençal I 62.) (٢)

(٣) غزوة البلاط (فتح الطيب ٢ : ٩) ، بلاط الشهداء (البيان المغرب ١ : ٥١) ، وابن عبد
عبد الحكم لا يعرف ذلك بل يذكر (فتوح مصر ٢١٧) أن عبد الرحمن استشهد في حرب
الفرنجة ، الخ .

(٤) المجلد الخامس ، للعدد الثالث - ذو القعدة ١٣٧٥ = حزيران (يونيو) ١٩٥٦ ، ص
٧٩ (من المجلد المتسلسلة ٢٨٢) .

(٥) Fossé-le-Roi ، ولم اشر على اسم هذا الموضع في ما رأيته من المراجع .

وانتظم الفرنجة مربعات متراصة وكان العرب فرساناً في الاكثر . وكلما هجم العرب على الفرنجة فازالوا صفاً من صفوفهم نبت مكانه صف جديد آخر ، وهكذا احتل الفرنجة الهجمات العربية وكأنهم جدار من حديد أو كتلة من جليد ، كما قال كتابهم (١) . أما العرب فكانوا في كل هجمة أقل عدداً منهم . في الهجمة التي سبقتها ، ولم يكن لهم مدد يسد أماكن الذين كانوا يسقطون منهم شهداء .

ولعل عبد الرحمن فكّر في الانسحاب وأراد أن يغطي انسحابه بحركة بارعة : قسم جيشه قسمين وأذن لأحد هذين القسمين بالقفول بينما بقي هو في القسم الآخر يقيم التحصينات وكأنه مقبل على المعركة الكبرى . وخدع الفرنجة بذلك وتيسبوا الهجوم . ويظهر أن عبد الرحمن نفسه سقط شهيداً في أثناء هذه الحركة فاضطر الجنود الذين كانوا قد بقوا معه الى الانسحاب كيفما دارت الحال . وأدرك الفرنجة ذلك فكروا على العرب وأعملوا فيهم القتل فسقط منهم قتلى كثيرون. ويذكر الكتاب الفرنجة (٢) أن هذه المعركة كانت آخرسبت بين ٢٥ و٣١ من شهر تشرين الاول من عام ٧٣٢ . غير أن قبول هذا التاريخ يخرج معركة بلاط الشهداء من الزمن الذي شاع عند المؤرخين العرب أنها وقعت فيه : من رمضان من سنة ١١٤ (٣) الى شوال .

نتائج معركة بلاط الشهداء

ومع أن ابن الأثير قد قال عن عبد الرحمن (٥ : ٨٢) : « قتل هو ومن

(1) Cf. Hitti, 500.

(2) Reinaud 45, Cf. Lévi-Provençal I 62,

(٣) ان صاحب أخبار مجموعة (ص ٢٤-٢٥) وابن الحكم (فتوح مصر ٢١٦-٢١٧) وابن الأثير (٢٣٢:٥) لم يذكروا الشهر . ولكن ابن عذارى (البيان المغرب ٢: ٢٨) وابن خلدون (٤: ١١٩) والمقري (نفع الطيب ١: ١٤٦) يحملون المعركة في رمضان . وفي ابن الأثير (٥ : ٢٣٢، ٨٢) انها كانت في سنة ١١٣ ، وقيل سنة ١١٤ وهو الصحيح . وجلهسا ابن عبد الحكم (فتوح مصر ص ٢١٧) وابن عذارى (البيان المغرب ١: ٥١) في سنة ١١٥ .

معه شهداء » ، فان الأصح أن عدداً كبيراً من المسلمين استشهد في تلك الغزوة (١) وانسحب الناجون نحو أربونة (في غير الطريق الذي جاءوا منه) .

ولم يتتبع قارله العرب فقد خاف أن يكون انسحابهم - مع كل ما مُدّوا به من الخسائر في الأنفس - خدعة ل نصب كمين له . ثم رأى أنه قد أمن على بلاده ، آتياً على الأقل ، من غزو عربي جديد . وكذلك كان لقارله أعداء في الشمال فخاف أن ينتهزوا فرصة غيابه ويستقوا على بعض أراضيه . وعاد قارله مزهوّاً بما حدث واتخذ منذ ذلك الحين لقب مارتل (المطرقة) ، فأصبح لقبه الذي اشتهر في التاريخ شارل مارتل . ومع ذلك كله فان العرب لم يغادروا جميع ما كان تحت أيديهم في غالية ، بل ظلت لهم أربونة وما حولها (٢) . على أن الذي لا ريب فيه أن غزوة عبد الرحمن العافقي هذه كانت آخر محاولة جديدة قام بها العرب لغزو بلاد الفرنجة .

وأطب المؤرخون الأفرنج في وصف معركة الشهداء وجعلوها رمزاً دينياً وقومياً لهم ، فقد قال المؤرخ الانكليزي الرصين أدورد غيبون (٣) : « وسرعان ما انتشرت البشائر في العالم الكاثوليكي ، ثم اخذ الرهبان في ايطالية يجزمون بأن ثلاثمائة وخمسين ألفاً من المسلمين - او ثلاثمائة وخمسة وسبعين ألفاً - قد رُضِختَ رؤوسهم تحت مطرقة شارل مارتل ، ولم يُذبح من النصراري في معركة تور سوى أُنْف وخمسمائة فقط » . ثم يأسف غيبون لأن رجال الدين لم يُطوبوا شارل (لم يجعلوه قديساً) بعد أن أنقذ النصرانية وبعد ان أصبحوا هم أنفسهم مدينين بالحياة التي يتمتعون بها اليوم لسيفه . وهناك كتاب مدرسي

(١) راجع مثلاً البيان المغرب ٢: ٢٨ : « امتشهد عبد الرحمن ، واصيب عسكره » ، واستشهد مع جماعة من عسكره (٥١:١) .

(2) Cf. Reinaud, pp. 46-47, 49-50 ,

(3) Cf. Edward Gibbon, The Decline and Fall of the Roman Empire (ed. Methuen & Co., London, 1902), p 17, 18. Hitti, History of the Arabs, 501,

(تاريخ العرب للدكتور فيليب حتى ، الترجمة للعربية وبيروت) ص ٥٩٧ .

فرنسي (١) يقول مؤلفاه : « ... فماذا كانت حال العالم اذن لو أن العرب انتصروا علينا؟ اذن لكاننح (يقصد الفرنسيين) مسلمين كالجزييريين والمراكشيين » ، وكثر الكلام على السبب الذي حمل العرب الى ما وراء جبال البرانس ، وقد أكثر الأفرنج القول في أن الذخائر النفيسة التي كانت في كنائس فرنسة كانت السبب الأصيل في ذلك . وبحسبي هنا أن أذكر ما قانه المستشرق الاميركي الدكتور فيليب حتّي (٢) في كتابه «تاريخ العرب» ، قال (٣) : « وكان الذي حدا بالحر (٤) الى هذه المغامرة أمل الاستيلاء على كنوز الأديرة والكنائس في غالبا (فرنسة) ... وقد تقدم عبد الرحمن (٥) فقطع سلسلة البرنة ... ثم أخذ بوردو عنوة وأشعل النار في كنائسها . وبعد أن أحرق الباسيليكا (الكنيسة) القائمة خارج أسوار بواتيه زحف شمالاً حتى جوار مدينة تور ... وليس من شك في أن الطُرف والكنوز النفيسة التي عرفت فيها كانت من العوامل التي حرّكت الفاتحين » .

أما قصة الكنائس التي تهدمت في العصر الذي نؤرخه ، وفي فرنسة خاصة ، فيجب أن تبني على الحقائق التالية (٦) :

(أ) أن عدداً من الكنائس والأديرة - وخصوصاً تلك التي كانت مبنية

(1) Histoire de France, cours moyen au certificat d'étude, par H. Guillemain et F. Le Ster, Paris (Les éditions des écoles), 11, rue de Sèvres, pp. 80-81.

راجع ذلك في التبشير والاستعمار ، الطبعة الثانية ؛ ص ٧٥ .
 (٢) كذلك سماه The International Who's Who (1949), p. p. 397.
 والدكتور فيليب حتّي كان استاذي في التاريخ (١٩٢٢-١٩٢٤) ، في السدائرة الاستعمارية من الجامعة الاميركية ، وقد شع علينا منه يومذاك كثير من اسلوبه العلمي الصحيح ومن روحه القومي السليم . ولكنه في عام ١٩٢٤ اكتسب الجنسية الايركية ثم أخذ يكتب في تاريخ العرب والاسلام كما يكتب نفر كثيرون من المستشرقين الاميركيين !

(٣) ص ٥٩٥-٥٩٦ (في الاصل الانكليزي ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٠) .
 (٤) الحر بن عبد الرحمن الثقفي . راجع فوق ، ص ١٠٧-١٠٨ .
 (٥) عبد الرحمن النافقي .
 (٦) راجع Reinaud, وراجع غزوات العرب ٧٢، ٧٦، ٨٠، ١٠٧، ١١٠ .

خارج أسوار المدن ككنيسة مدينة تور مثلاً - كانت في الحقيقة قلاعاً وحصوناً ، وكان الفرنجة يقاتلون العرب من ورائها . فليس بدعاً اذن اذا هدمها العرب في اثناء المعارك .

(ب) كانت قبائل البرابرة الجرمان لا تزال إلى ذلك الحين على الوثنية ، وكان القتال محتتماً بينها وبين خصومها من الفرنجة وسواهم . فكانت تلك القبائل تعيش في غربي أوروبا وتدمر كل شيء بما في ذلك الكنائس .

(ج) كان شارل مارتل نفسه اذا هاجم أراضي خصومه ومنافسيه لا يتحَوَّب من تهديم الكنائس ، مع أنه كان مسيحياً .

(د) وبما أن المؤرخين الاوروبيين الأولين كانوا قَسُماً ورُهباناً فقد افترَوا على العرب واتهموهم بأنهم كانوا يهدمون الكنائس والأديرة - تأليفاً للرأي العام المسيحي عليهم . وكانوا أيضاً ينسبون اليهم هدم الكنائس التي كانت قد تهدمت على يد القبائل الوثنية وعلى يد شارل مارتل نفسه .

(هـ) وزعم مؤرخو الفرنجة أن العرب هاجموا ديراً كان فيه خمسمائة راهب فذبحوهم جميعاً . ولعمري ان خمسمائة راهب في دير - والأديرة في كل مكان معاقل وحصون طبيعية - لا يستطيع جيش كبير أن يبلغ اليه . ثم أن ذبح خمسمائة راهب لم يكن ميسوراً في زمن كانت الحرب فيه تعتمد على عدد المقاتلين وعلى قوتهم البدنية ومناعة مراكزهم في الدرجة الاولى .

(١٣) عبد الملك بن قطن للمرة الاولى

لما علم عبيدة بن عبد الرحمن بأخبار بلاط الشهداء وبمقتل عبد الرحمن الغافقي ، ولي على الأندلس عبد الملك بن قَطَنَ بن نُفَيْل بن عبد الله الفِهْرِي (١) ،

(١) البيان المغرب ٢: ٢٨ ، راجع جبهة أنساب العرب (ص ١٦٩) : « عبد الملك بن قطن بن نهشل » . وفي اخبار مجموعة (ص ٢٥) : « عبد الملك بن قطن المحاربي ، محارب قريش » ولكن يبدو أنه غير عبد الملك بن قطن المحاربي المذكور في فتوح مصر (ص ٢١٨) .

وقد وصل عبد الملك بن قطن الى قرطبة في شهر رمضان من سنة ١١٤ (١) .
 كان عبد الملك بن قطن فيهرباً قُرَشِيّاً من حزب أهل المدينة ، ولذلك لم يكن
 محباً لبني أمية ، وكان قد شهد يوم الحرة (٢) . ويذكر ابن خلدون (٣) أن عبد
 الملك بن قطن كان ظلوماً في سيرته جائراً في حكومته .
 وغزا عبد الملك بن قطن ، في ولايته الاولى ، أرض البشكنس (١١٥ =
 ٧٣٣ م) فأوقع بالبشكنسيين وغنم ثم عاد سالماً (٤) .

عيد الله بن الحبّاب

في مطلع سنة ١١٥ هـ (آذار ٧٣٣) أقر عبيدةُ بن عبد الرحمن عبدَ الملك بن
 قطن على الأندلس ثم استخلف على افريقية عقبه بن قدامة التّجيبّي وقفل
 راجعاً الى الشام بغنائم وهدايا كثيرة ليبيدَ بها على هشام بن عبد الملك .
 واستعفى عبيدة هشام بن عبد الملك من ولاية افريقية فأعفاه هشام ثم كتب الى
 عبيد الله بن الحبّاب - وكان عامله على مصر - يوليه على افريقية (٥) .

كان عبيد الله بن الحبّاب مولى لبني سلول ، ولكنه كان رئيساً نبيلاً وأميراً
 جليلاً ، بارعاً في الفصاحة والخطابة حافظاً لأيام العرب وأشعارهم ووقائعهم :
 وكان في أول الأمر كاتباً ، ثم تناهت به الحال الى أن أصبح والياً على مصر ، ولم

-
- (١) البيان المغرب ٢: ٢٨ ، نفع الطيب ١: ١٤٦ ، ٢: ١١ .
 جاء في جنوة المقتبس (ص ٢٦٨) وفي ابن عبد الحكم (ص ٢١٦) وفي ابن خلدون (٣ :
 ١٤٠) ان عبد الملك بن قطن دخل الاندلس سنة ١١٥ . وفي ابن عذاري ايضاً (٢: ٢٨)
 ما يدل على ان والي افريقية ولى عبد الملك بن قطن على الاندلس من غير أن يعلم باستشهاد
 عبد الرحمن النافقي ، فدخل عبد الملك بن قطن الاندلس فألقى عبد الرحمن النافقي قد توفي .
 وكذلك قال ابن عذاري (٢: ٢٨) عن ابن قطن : « وقيل دخلها في شوال من سنة ١١٤ » .
 (٢) جهرة أنساب العرب ١٦٩ .
 (٣) ابن خلدون ٤: ١١٩ ، نفع الطيب ١: ١٦ ، ٢: ١١٤ .
 (٤) ابن الاثير ٥: ٨٥ ، ابن خلدون ٤: ١١٩ ، نفع الطيب ١: ١٤٦ ، ٢: ١١٤ .
 (٥) فتوح مصر ٢١٧ ، راجع ١٤٣ ، ١٨٩ ، ابن خلدون ٤: ١٨٨ ، البيان المغرب ١: ١٠١ .

يلبث أن أضيفت اليه افريقية والأندلس والمغرب كله (١) في بضعة أشهر .
 واستخلف عبيد الله بن الحبحاب على مصر ابنه القاسم (٢) ثم توجه الى
 افريقية فوصل اليها في ربيع الآخر من سنة ١١٦ (٣) ، أيار من عام ٧٣٤ .
 ولما وصل عبيد الله بن الحبحاب الى افريقية أخرج أخاه المستنير من السجن
 وولاه تونس : وكذلك بعث ابنه اسماعيل والياً على طنجة وما والاها من
 المغرب الأقصى وجعل معه عمر بن عبد الله المرادي .
 وعزل عبيد الله بن الحبحاب عبد الملك بن قطن عن الأندلس في رمضان من
 سنة ١١٦ (٤) - تشرين الاول ٧٣٤ - ثم ولي عقبة بن الحجاج عليها في
 الشهر التالي . وهكذا كانت ولاية عبد الملك بن قطن على الأندلس سنتين في
 أصح الأقوال (٥) .

(١٤) عقبة بن الحجاج

ويؤخذ مما ذكرته المصادر أن عبيد الله بن الحبحاب لم يعزل عبد الملك بن
 قطن لخيانة أو لتقمة ، ولكنه أراد أن يسر عقبة بن الحجاج بولاية فاتق أن
 اختار عقبة الأندلس فلم يجد ابن الحبحاب بداً من عزل عبد الملك بن قطن
 عنها (٦) .

-
- (١) البيان المغرب ١: ٥١ .
 (٢) في ابن خلدون (٤: ١٨٨) : أبا القاسم .
 (٣) فتوح مصر ٢١٧ ، البيان المغرب ١: ٥١ . في ابن خلدون (٤: ١٨٩) قدم افريقية سنة ١١٤
 (٤) فتوح مصر ٢١٧ ، ابن الاثير ٥: ٨٩ ، راجع ٢٣٣ ، ٨٦ ، البيان المغرب ١: ٥١ ، ٢ :
 ٢٩ ، ابن خلدون ٤: ١١٩-١٧٩ ؛ نفع الطيب ١: ١٤٦ ، ٢: ١١ - وقيل قدم سنة ١١٧
 (فتوح مصر ٢١٧ ، ابن خلدون ٤: ١١٩ ، ١٨٩ ، نفع الطيب ١: ١٤٦ ، ٢: ١١) ؛ وفي
 (اخبار مجموعة) ص ٢٨ سنة مشروماتة ، وهو خطأ .
 (٥) في أخبار مجموعة ص ٢٥ نحو من ستة اشهر . راجع البيان المغرب ٢: ٣٢ ، وفي ابن خلدون
 ٤: ١١٩ ، ونفع الطيب ١: ٤٦١ عن الواقدي أن ولاية عبد الملك بن قطن كانت أربع
 سنوات . ولعل هؤلاء قصدوا بذلك مدة ولايته في المرتين .
 (٦) جاء في نفع الطيب ٢: ١١ أن عبد الملك بن قطن عزل عن الأندلس ذمياً .

كان الحبحاب بن الحارث (١) مولىً في بني سلول فأعتقه رجل من بني سلول اسمه الحجاج (٢) .

ويبدو مما جاء في أخبار مجموعة (ص ٢٥) أن عقبة بن الحجاج بدأ يفد على عبيد الله بن الحبحاب منذ ولاية عبيد الله على مصر . وفي البيان المغرب (١ : ٥٢ - ٥٣ ، ٢ : ٢٩) أن عبيد الله كان يكرم عقبة كثيراً حتى أنه كان يقدمه على أولاده وكان يقبل رأيه وشفاعته ووساطته في أمور كثيرة . غير أن الغالب في الروايات أن عقبة وفد على عبيد الله بالقيروان (٣) ، فسأله عبيد الله ان يختار مقاطعة يولّيه عليها ، فاختر عقبة الأندلس لأنها دار جهاد وكان هو يحب الجهاد في سبيل الله (٤) .

وكان عقبة حسن السيرة رفيقاً بالناس عادلاً ، وقد قضى ولايته على الأندلس في الجهاد : فتح أربونة وبنبلونة ومقاطعة ألبّة وأسكن فيها جماعات من المسلمين . وأتسعت فتوحه في جيليقية حتى قال صاحب أخبار مجموعة (٥) : « ولم تبق في جيايقية قرية لم تفتح غير الصخرة » . ومع أنه كان صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو ، فانه كان حسن السيرة في الأسرى : كان اذا أسر أسيراً لم يقتله حتى يعرض عليه الاسلام ويقبّح له عبادة الأصنام . فيقال أنه أسلم على يده بهذا الفعل ألف رجل (٦) . ان هذا النص بالغ الأهمية ، فإنه يدلنا على أن كثيرين ممن كانوا يحاربون مع الأسبان في الأندلس ومع الفرنجة وراء جبال البرانس كانوا لا يزالون على الكفر لم يدخلوا في النصرانية بعد . والا لما جاز لعقبة أن يقتل الأسير حتى يعرض عليه الاسلام ويقبّح له عبادة الأصنام !

(١) اخبار مجموعة ٢٥ .

(٢) في اخبار مجموعة ص ٢٦ ، ٢٥ ، ان الحجاج أعتق الحارث .

(٣) راجع قصة لقاء عقبة ببيدائه مبسولة في اخبار مجموعة ٢٥-٢٧ للبيان المغرب ١ : ٥٢ - ٥٣ .

(٤) اخبار مجموعة ٢٧-٢٨ .

(٥) ص ٢٨ ، راجع البيان المغرب ٢ : ٢٩ .

(٦) البيان المغرب ٢ : ٢٩ ، أسفل للصفحة .

أحداث المغرب

وتمكن سلطان عبيد الله بن الحبحاب في افريقية والمغرب فبنى جامع الزيتونة في تونس واتخذ في مدينة تونس نفسها دار صناعة لأنشاء المراكب البحرية (١) . ثم ان عبيد الله بعث حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع غارياً في أرض المغرب ، فاتجهي الى السوس الأقصى وقاتل بني مسوفة ثم تخطاهم الى تخوم السودان وأصاب مغام شتى من الذهب والفضة وشيئاً كثيراً من السبي ثم عاد الى القيروان (٢) . وفي جمادي الاولى من سنة ١٢٢ (نيسان من عام ٧٣٩) أغزى عبيد الله بن الحبحاب حبيب بن أبي عبدة نفسه الى جزيرة سقلية وبعث معه ابنه عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة . فنازل العرب سرقوسة أعظم مدن تلك الجزيرة وضرىوا عليها الجزية ثم أئخنوا في سائر أنحاء البلاد (٣) .

الثورة في المغرب وأثرها في الاندلس

كان عمر بن عبد الله المرادي عاملاً على طنجة وما والاها من المغرب فأساء السيرة واشتط في جمع الضرائب حتى زعموا أنه أراد أن يأخذ الخمس ممن كان قد أسلم من البربر . ووجهُ الأمر أن الدولة الإسلامية لما اتسعت قصرت جبايتها الاولى عن حاجتها فاضطر الولاة الأمويون في كل مكان الى أن يأخذوا من الناس الضرائب القديمة بأسماء جديدة . ولقد كان الحجاج بن يوسف قد أتهم بأنه كان يضع الجزية على المسلمين من غير العرب . ومثل هذا حدث بلا ريب في المغرب وفي كل مكان .

على أن هذه النقمة الاقتصادية على ولاة ابن الحبحاب ، وعلى عمر بن عبد الله المرادي خاصة ، لم تقلب ثورة الابعاملين آخرين : أحد هما انتشار الدعوة الخارجية في المغرب وثانيهما غياب معظم الجنود في غزوة سقلية .

(١) البيان المغرب ١: ٥١ ، ابن خلدون ٤: ١٨٩ ، الاستقصا ١: ٩٤ .

(٢) فتوح مصر ٢١٧ ، خلدون ٤: ١٨٩ ، البيان المغرب ١: ٥١ ، الاستقصا ١: ٩٤-٩٥ .

(٣) البيان المغرب ١: ٩١ ، ابن خلدون ٤: ١٨٩ ، الاستقصا ١: ٩٥ .

لما انهزم الخوارج في المشرق سقط بعضهم الى المغرب ابتعاداً عن مركز الدولة في دمشق ، فانتشرت دعوة الخوارج الصُّفْرِيَّة (١) والإباضِيَّة (٢) هناك ، ولكن لم تلتق نجاحاً سياسياً حتى أيام ابن الحبحاب ، اذ استغل الدعاة من الخوارج نقمة البربر فاستمالوهم وثاروا بهم على ولاة ابن الحبحاب ؛

ميسرة المضعري يقود الثورة

كان (٣) مَيْسِرَةُ المَضْعَرِي المعروف بالخنير (٤) من قبيلة مضغرة ، وهي من البتر ، وكان شيخ قومه ؛ فلما تقبل هودعوة الخوارج الصُّفْرِيَّة قبلها معه جماعة من قومه . ثم انه حملهم على الخروج والثورة وزحف بهم على طنجة وفيها عمر ابن عبد الله المرادي فقتله وولّى عليها عبد الأعلى بن جريج (٥) الافريقي ، وهو رومي من موالي العرب . ثم انحدر ميسرة الى السوس وقتل واليها اسماعيل ابن عبيد الله بن الحبحاب (٦) .

ولما استولى ميسرة على المغرب من طنجة الى السوس ادعى الخلافة وأوجب على أتباعه أن يخاطبوه بلقب أمير المؤمنين . ثم اضطرر المغرب كله بالفتن ولم يعد بعد ذلك الى طاعة خلفاء المشرق .

عندئذ بعث ابن الحبحاب الى حبيب بن أبي عبدة يأمره بالقول من ستملية

(١) اتباع زياد بن الاصفر يقولون ان اصحاب الذنوب كفرة مشركون ولكنهم لا يرون قتل أطفال مخالفينهم ونسائهم كما يقول الازارقة (الفرق بين الفرق للبغدادي ٥٢ : ٥٥٠ ، ٥٧٠ ، راجع ١٩ ، ٤٥) .

(٢) أتباع عبد الله بن إباض ، قالوا بان مخالفهم كفسار ، لا مؤمنون ولا مشركون ولكنهم لا يدينون دين الحق . وقد أجازوا شهادة مخالفهم ، ولكنهم استحلوا أموالهم من الخيل والسلاح « في الحرب » وحرموها من الذهب والفضة يردونها عليهم إذا غنموها منهم (الفرق بين الفرق ٦١-٦٢) .

(٣) راجع فتوح مصر ٢١٧ وما بعدها ، البيان المغرب ١ : ٥٢ وما بعدها ، الاستقصا ٩٥ : ٩٨ .

(٤) في فتوح مصر ص ٢١٨ الفقير المدغري . في البيان المغرب ١ : ٥٢ الحقيير .

(٥) البيان المغرب ١ : ٥٢ حديج .

(٦) الاستقصا ١ : ٩٧ .

الى المغرب لمقاتلة ميسرة المصغريّ وجموعه . غير أن ابن الحبحاب لم ينتظر
 قفول حبيب ، بل بعث خالد بن أبي حبيب (١) في جيش كثيف لقتال ميسرة ،
 ثم وصل حبيب فانضم الى خالد ونزل جيشاهما في وادي الشليف على مقربة من
 مدينة تيهوت (٢) . ولزم حبيب الضفة الشرقية ، بينما عبر خالد النهر ثم تابع
 مسيره غرباً حتى لقي ميسرة على مقربة من طنجة وقاتله قتالاً شديداً أثر ميسرة
 بعده الانسحاب هرباً من هزيمة تامة . إلا أن أصحاب ميسرة عدوا ذلك منه
 تبديلاً فخذلوه وقتلوه ، كما كان الخوارج الأولون قد قتلوا علي بن ابي طالب
 لمثل ذلك (٣) . ثم ولى الخوارج على أنفسهم خالد بن حميد الزناتي وعادوا
 الى قتال خالد بن أبي حبيب ، على وادي الشليف نفسه ، فانهزم المسلمون وقتل
 خالد بن أبي حبيب ومن معه كلهم . وقد قتل في هذه الغزوة حُمَاة العرب
 وفرسانهم وكماتهم ، فسميت تلك الغزوة من أجل ذلك « غزوة الأشراف » (٤) ؛

(٥٠) عبد الملك بن قطن للمرة الثانية

بعد غزوة الأشراف انتقض المغرب كله على ابن الحبحاب . وبلغ الخبر بذلك
 الى الأندلس فثار أهلها ، والبربر منهم خاصة ، على واليهم عقبة بن الحجاج ،
 وتزعّم تلك الثورة عبد الملك بن قطن ، والي الأندلس قبل عقبة ، ثم استولى
 على الأندلس وأقام نفسه فيها والياً من جديد برضا أهلها (٥) ، وذلك في صفر
 من سنة ١٢٣ (كانون الثاني ٧٤١) في أصح الأقوال (٦) .

-
- (١) في الاستقصا ١ : ٤٩ . خالد بن حبيب .
 (٢) في المغرب الاوسط « الجزائر اليوم » .
 (٣) راجع الحوض الشرقي ٨٤ .
 (٤) راجع البيان المغرب ١ : ٥١ - ٥٤ ، الاستقصا ١ : ٩٧ - ٩٨ .
 (٥) راجع ابن الاثير ٥ : ١١٧ ، ١١٨ ، وابن خلدون ٤ : ١٩٠ .
 (٦) البيان المغرب ١ : ٤٥ ، ٢ : ٣٠ ، ابن الاثير ٥ : ٢٣٣ ، راجع ٩٠ ؛ ابن خلدون ٤ :
 ١١٩ ، راجع ١٩٠ ، ٣ : ١٤١ ، نفع الطيب ١ : ١٤٦ ؛ ٢ : ١٢ ؛ الاستقصا ١ : ٩٨ .
 (جداى الاولى) .

واختلفت الأقوال في مصير عقبة : قال بعضهم ان عبد الملك بن قطن خلعه ثم قتله . وقال آخرون : بل أخرجه من الأندلس (١) . وقيل أيضاً : ان عقبة اعترل الأمر واستخلف عبد الملك بن قطن بعده (٢) . ثم ان عقبة توفي في صفر من سنة ١٢٣ ، قيل هلك بالأندلس (٣) في سرقسطة (٤) ، وقيل بل في قرشونة (٥) من بلاد الفرنجة اذ كان غازياً فيها فهلك في بلاط الشهداء (٦) .

ولاية كلثوم بن عياض على افريقية

وزاد الاضطراب في المغرب ، وعظمت جراءة الناس على السلطان ، فخلعوا ابن الحبجاب نفسه (٧) . وبلغ الخبر بذلك الى هشام بن عبد الملك فغضب وكتب الى ابن الحبجاب بالقدوم عليه . فخرج ابن الحبجاب من افريقية في جمادى الاولى من سنة ١٢٣ (نيسان ٧٤١) . ثم ان هشام بن عبد الملك أرسل الى افريقية كلثوم بن عياض القشيري والياً عليها ، بعد أن عقد له على اثني عشر ألفاً من أهل الشام وكتب الى والي كل بلد ، ما بين الشام وبين افريقية ، أن يخرج مع كلثوم بمن عنده من الجند . فسار ولاية مصر وبرقة وطرابلس الغرب معه حتى قدم افريقية في رمضان من سنة ١٢٣ (حزيران ٧٤١) (٨) . وكذلك عهد هشام الى الجيش بأنه اذا حدث بكلثوم بن عياض حدث

(١) البيان المغرب ٣٠:٢ ، ابن خلدون ٤:١١٩ ، نفع الطيب ١٤٦١: ١٢:٢ .

(٢) البيان المغرب ٥٣:١ ، ٣٠:٢ ، ابن خلدون ٤:١١٩ .

(٣) المعجب ١٣:١٣ ؛ ابن خلدون ٤:١١٩ .

(٤) في ابن خلدون (٤:١١٩) : سرقوسة . وسرقوسة في سقلية . ولعل ذلك وهم .

(٥) نفع الطيب ١٤٦١ .

(٦) البيان المغرب ٢٩:٢ .

(٧) البيان المغرب ٥٤:١ ؛ الاستقصا ٩٨:١ .

(٨) البيان المغرب ٥٤:١ . وجاء في اخبار مجموعة ٣٠-٣١ : (وأخرج هشام بن عبد الملك

ثعلبة على جند أهل الاردن ، وندب من أجناد الشام من كل جند ستة آلاف ومن أهل قنشرين

ثلاثة آلاف فأخرجه من الشام في سبعة وعشرين ألفاً ... ثم أقبل الى مصر فأخرج من أهلها

ثلاثة آلاف ثم بعث ثلاثين ألفاً سوى من تبعهم من الناس) .

– وكان كلثوم شيخاً كبيراً (١) – ، فالأمير بعده ابن أخيه بلنج بن بشر القشيري ، فان أصيب بلنج فالأمير بعده ثعلبة بن سلامة الجندامي (٢) ؛ فسار كلثوم بن عياض وعلى مقدمته ابن أخيه بلنج (٣) ، فلما وصل الى افريقية كان قد أصبح معه ثلاثون ألفاً : عشرة آلاف من صلّب بني أمية وعشرون ألفاً من سائر العرب . وكان بلنج على طلائعه في نحو سبعة آلاف فارس (٤) .

وكان كلثوم بن عياض أعظم حلماً من ابن أخيه بلنج ، فانه لما وصل الى افريقية نكب عن عاصمتها القيروان (٥) كيلا يصطدم بالذين يستبدون بادارة البلاد فيزيد في عداوتهم لخلفاء المشرق ، وكيلا يثير الذين يقاتلون الخوارج حفاظاً من عند أنفسهم فينقلبوا هم عليه أيضاً . أما بلنج الشاب فما كاد يصل الى افريقية حتى أخذ يتورد أهلها بالسفّه ويذكر كلاماً كثيراً يغيظهم به ، فانقسم جيش أهل الشام – الجيش القادم بقيادة كلثوم بن عياض – وانحاز من كانوا فيه من أهل مصر الى أهل افريقية ، ثم كتب أهل القيروان الى حبيب بن أبي عبدة ، وكان بتلمسان موقفاً للبربر ، يشكون اليه بلجا وكلثوماً معاً ، ورفع أهل مصر وأهل افريقية سلاحهم في وجه العرب . ولولا حكمة كلثوم بن عياض وحلمه لوقع القتال بين الفريقين (٦) ؛

ولم يكن كلثوم بن عياض قائداً قديراً ، فقد كان سوء رأيه ورأي بلنج – من تتبع البربر الى أواسط المغرب – من أسباب هلاك جيشهما (٧) . واجتمع كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبدة على وادي الشليف ثم تقدما الى وادي سباو

(١) اخبار مجموعة ٣٠ .

(٢) البيان المغرب ١: ٥٥٠ . راجع ٣٢-٣٣-٢٤٥٦ ؛ جذوة المقتبس ١٧٤ ؛ نفع الطيب ٢ :

١٣ . او العالمي (جمهرة انساب ٣٩٤) .

(٣) الاستقصا ١: ٩٨٠ .

(٤) اخبار مجموعة ٣٣ .

(٥) فتوح مصر ٢١٩ .

(٦) ابن الاثير ٥: ٩٠٠ ؛ البيان المغرب ١: ٥٥٠-٥٥٠ .

(٧) البيان المغرب ١: ٥٥٠ .

فتوجه اليهم خالد بن حُميد الزناني ونشب القتال بين العرب والبربر على نهر سباو وطلال . ثم ان العرب انهزموا هزيمة شديدة ، في ذي الحجة من سنة ١٢٣ (مطلع الخريف من عام ٧٤١م) وقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن أبي عبدة وسليمان بن أبي المهاجر ووجوه العرب . ونجا من سلم من جيش كلثوم بأنفسهم : أفلت أهل الشام مع بلج الى نواحي سبتة ، وانقلب أهل مصر وأهل افريقية معاً الى افريقية (١) .

كان من سوء حظ بلج وأصحابه أن بلأوا الى نواحي سبتة ، ذلك لأنهم بلأوا الى رقعة ضيقة من الأرض جميع أهلها من البربر أصحاب خالد الزناني . وهكذا كان أهل الشام بين خصومهم وفي أرض لا يعرفونها وبيئة لا يألفونها ، فضاقت عليهم الأمور وأنجح عليهم الجوع حتى أكلوا دوابهم . فكتب بلج عند ذلك الى أمير الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري يسأله أن يبعث اليه والى أصحابه المحصورين في سبتة شيئاً من الميرة يتقوون به وأن يرسل اليهم بسفن تنقلهم الى الأندلس . وكان قد انهزم الى افريقية بعد معركة وادي سباو عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة الذي كان قد تنافر مع بلج بن بشر قبيل تلك المعركة ، فخوف عبد الملك بن قطن عاقبة جواز بلج مع أهل الشام الى الأندلس وقال له : « هؤلاء أهل الشام يقولون لك : ابعث لنا مراكب تجوز فيها . وهم ان جازوا اليك لم نأمنهم عليك » . فأصغى عبد الملك بن قطن الى قول عبد الرحمن بن حبيب ومطل بلجاً وأصحابه بالميرة ولم يرد عليهم في شأن السفن التي طلبوها لاجواز فيها الى الأندلس (٢) . فلما شاع خبر ضرتهم عند رجالات العرب في الأندلس أشفقوا عليهم ، فأعانهم زياد بن عمرو اللخمي بمركبين مشحونين ميرة أمسكت أرماقهم . فلما عرف عبد الملك بذلك ضرب زياداً سبعمائة سوط واتهمه بعد ذلك بتضريب الجند (بائارهم) عليه فسلم عينه ثم ضرب عنقه

(١) البيان المغرب ١: ٥٥٥ ؛ الاستقصا ١: ٩٩ . راجع ابن الاثير ٥: ١١٧ ؛ ٢٣٣ . ثم

راجع تفاصيل المعركة في اخبار مجموعة ؛ ص ٣٢-٣٥ ؛ فوج مصر ٢١٨-٢٢٠ .

(٢) البيان المغرب ١: ٢٤٥٦: ٣٠ .

وصلبه وصلب عن يمينه كلباً (١) .

دخول بلج الى الاندلس

وشجع انتصار البربر على العرب في المغرب اخوانهم في الأندلس فتنفطروا لما كانوا عنه غافلين من قبل من الخلاف على العرب ومزاحمتهم في سلطانهم ، فاستفحل أمرهم بالأندلس وكثر ايقاعهم بجنود ابن قطن ثم تغلبوا على الذين كانوا يسكنون منهم في جيليقية وغيرها فقتلوهم أو طردوهم (٢) .

فخاف عبد الملك بن قطن أن يلقي هو والعرب في الأندلس من البربر ما لقيه كلثوم بن عياض في المغرب . ثم إن عبد الملك بن قطن علم أن البربر قد عزموا على أن يتقصّدوه الى قرطبة ، فلم يجد أجدى عليه في تلك الحال من أن يستظهر بأصحاب بلج بن بشر على الرغم من تخوّفه منهم ، فكتب الى بلج بذلك ولكنه شرط عليه أن يمكث هو وأصحابه في الأندلس سنة واحدة ثم يخرجوا عنها . فرضي أصحاب بشر بذلك على أن يعيدهم عبد الملك بن قطن ، اذا انتهى الأجل المضروب ، الى شواطئ من افريقية ليس للبربر الخرج سلطة عليها . فتراضى الجميع على ذلك . ثم ان عبد الملك بن قطن أخذ رهائن من جنود بلج ليستوثق من خروجهم في الوقت المتفق عليه . وكذلك رأى ، زيادة في الاستيثاق ، أن يؤمّر عليهم ولديه أمية وقطنا (٣) .

وكان دخول بلج بأصحابه الى الأندلس في ذى القعدة من سنة ١٢٣ (٤) ، في مطلع الحريف من عام ٧٤١ ، وكان مع بلج عشرة آلاف من أهل الشام . وأنزل عبد الملك بن قطن أصحاب بلج بجزيرة أم حكيم ، وهي المعروفة بالخضراء (٥) ، وكانوا جيعاً عراة فأواهم أهل الأندلس وكسّوهم على أقدار أنفسهم ، فرب

(١) الاستقصا ١: ١٠٠ .

(٢) البيان المغرب ٢: ٣٠٠ ؛ الاستقصا ١: ١٠٠ ؛ راجع تفصيل القتال في اخبار مجموعة ٣٨ .

(٣) البيان المغرب ٢: ٣١ ؛ راجع ابن الاثير ٥: ١٧٥ ؛ ابن خلدون ٤: ١٨٩ .

(٤) البيان المغرب ٢: ٣١ .

(٥) البيان المغرب ٢: ٣٢ ، راجع الروض المطار ٧٣ .

رجل من أهل الأندلس رأيناه يكسو مائة من أهل الشام ، ورب رجل كما
عشرة وآخر كما واحداً فقط (١) .

وكان معظم البربر في غربي الأندلس وشماليتها . فسار عبد الملك بن قطن
وبلج بن بشر أولاً إلى قتال البربر القاطنين في شذونة ، وكان المترس عليهم
رجلاً من زناته . وكانت الوقعة بين جيوشي عبد الملك بن قطن وبلج بن بشر
وبين بربر شذونة على وادي لكّه في الأغلب ، في مطلع سنة ١٢٤ للهجرة
(أواخر عام ٧٤١ م) . وبعد هزيمة البربر في منطقة شذونة عاد عبد الملك بن
قطن وبلج بن بشر شمالاً الى قرطبة ونازلوا بربرها وهزمهم أيضاً . بعدئذ
سار بلج مع عبد الملك بن قطن الى طليطلة ، وقد اجتمع حولها معظم البربر
يحصرونها ويشددون الحصار عليها . فالتقى العرب والبربر على وادي سليط ،
أحد روافد نهر تاجه ، فانهزم البربر وقتل منهم ألوف كثيرة (٢) . ثم ان العرب
تتبّعوا البربر في الأندلس حتى لَحِقَتْ بقايا البربر بالثغور (بأطراف البلاد
الشمالية) وخصّوا عن العيون (٣) .

حنظلة بن صفوان يلي المغرب

في هذه الأثناء كانت أخبار الأحداث التي جرت في المغرب والأندلس قد
بلغت الى هشام بن عبد الملك ، كما كان قد نجا الى الشام نفر من جند كلثوم بن
عياض يحملون أخبار الهزيمة . فكتب هشام الى والي مصر حنظلة بن صفوان
— وكان يليها منذ سنة ١١٩ هـ (٧٣٧م)— يوليه على افريقية والمغرب . وخرج
حنظلة من مصر في ثلاثين ألفاً فوصل الى القيروان في سنة ١٢٣ (٤) . للهجرة .
ثم أمده هشام بعشرين ألفاً . ولم يلبث حنظلة الا يسيراً حتى ثار عليه الخوارج
الصفيرية بقيادة زعيم لهم أسمه عكاشة .

-
- (١) البيان المغرب ٢ : ٣٠-٣١ ، اخبار مجموعة ٢٩ .
 - (٢) البيان المغرب ٢ : ٣١ ، راجع ابن الأثير ٥ : ١١٤ .
 - (٣) الاستقصا ١ : ١٠٠ .
 - (٤) في فتوح مصر (ص ٢٢١) : سنة ١٢٤ (٧٤٢ م) .

كان عكاشة بن أيوب الفزاري (١) وعبد الواحد بن يزيد الهَوَّاري معسكرين على نهر الزاب في أتباعهما من خوارج البربر . فلما علما بمقدم حنظلة سارا اليه : سلك عكاشه طريقاً جنوبية وأخذ عبد الواحد في طريق الجبال من الشمال . وكان من توفيق حنظلة أن سار أولاً الى لقاء عكاشة عند القرن في ظاهر القيروان (٢) وهزمه ثم أسره وضرب عنقه . بعدئذ اتجه نحو عبد الواحد فلقيه عند الأصنام (٣) وكانت الحرب بينهما شديدة وسجالاً حتى خرب عبد الواحد صريعاً وانهمز جنده ، وذلك في عقب ١١٢٤هـ (٤) ، في خريف ٧٤٢م . وكتب حنظلة بنجر هذا النصر إلى هشام ، وهشام يومئذ مريض مرض الموت .

(١٥) ولاية بلج على الأندلس

وتم التغلب على البربر في الأندلس فأقطع عبد الملك بن قطن بلجاً وأصحابه أرضاً في نواحي قرطبة ليسكنوها منفردين ريثما يحل موعد مغادرتهم للأندلس : وقد عرّف أصحاب بلج في الأندلس باسم **الشاميين** تمييزاً لهم من العرب الذين كانوا قد جاءوا مع طارق بن زياد وموسى بن نصير والذين كانوا يعرفون باسم **البلنديين** لتبليدهم (طول مكثهم في الأندلس) .

فلما حال الحول جاء عبد الملك بن قطن يقتضي بلجاً وأصحابه ما اتفقوا عليه ، وقال لهم : « اخرجوا على ما شورطم عليه » (٥) . وكان أصحاب بلج قد قوّوا واشتدت شوكتهم وثابت همتهم وبطروا، فتعللوا عليه وذكروه

(١) فتوح مصر ٢١٩ ، ٢٢٢ ، راجع ٢٢١ .

(٢) الاستقصا ١ : ١٠١ .

(٣) مكان على نحو مرحلة من مدينة القيروان (فتوح مصر ٢٢٢) .

(٤) راجع في ذلك كله فتوح مصر ٢٢١ وما يليها ، أخبار مجموعة ٣٦-٣٧ ، البيان المغرب

٥٨-٥٩ .

(٥) البيان المغرب ١ : ٥٦ ، ٢ ، ٣١ ، ابن الأثير ٥ : ١١٧ ، ابن خلدون ٤ : ١١٩ ،

الاستقصا ١ : ١٠١ .

صنيعته بهم أيام انحصارهم بسبته وقتله الرجل الذي أغاثهم بالميرة . وألح عبد الملك بن قطن علي بلج واستنجزه وعده ، فقال له بلج : « احملنا اذن الى ساحل إلبيرة أو تدمير » . فقال له عبد الملك : « ليست لنا مراكب الا بالجزيرة (الخضراء ، في جنوبي الأندلس) » . فقال له بلج : « إنما تريد أن تردنا الى البربر ليقتلونا في بلادهم » (١) ، ورفض الخروج . وتردد القول بين عبد الملك وبلج ، فوثب أصحاب بلج على ابن قطن فخلعوه وقدموا على أنفسهم أميرهم بلج بن بشر . ودخل بلج قصر قرطبة عشية يوم الأربعاء في صدر ذى القعدة من سنة ١٢٤ (اب ٧٤٢) واستولى على الأمانة (٢) . وكان لولاية بلج على الأندلس سبباً من تسمية هشام بن عبد الملك له قائداً لجيش كلثوم بن عياض اذا هلك كلثوم (٣) .

اعتزال عبد الملك بن قطن ومقتله

لم يرض عبد الملك بن قطن عن تغلب بلج بن بشر فحاربه طويلاً — قيل في اثنتي عشرة وقعة — ثم أدرك ضعفه فترك القتال واعتزل في بيته في قرطبة (٤) ، وكان بلج ، وقت جوازه من سبته ، قد أعطى ابن قطن رهائن فجعلهم ابن قطن في جزيرة أم حكيم ، وهي جزيرة بلا ماء ، فمات منهم رجل من بني غسان من أهل دمشق (٥) . وجاء أصحاب بلج اليه وسألوه أن يعطيهم عبد الملك بن قطن ليقتلوه بالرجل الغساني . فتوقف بلج في ذلك مدة ولم يرض أن يسلمه اليهم . حينئذ ألح عليه جنده في المسألة وانضم اليهم اليمانية ، ثم قالوا له جميعاً : « ان أنت لم تدفع الينا عبد الملك بن قطن فلن نطيعك بعد أبداً » . ثم

(١) أخبار مجموعة ٤٠-٤١ ، للبيان المغرب ٢ : ٣١ ، راجع ابن الأثير ٥ : ١١٧ .

(٢) للبيان المغرب ٢ : ٣١ ، الاستقصا ١ : ١٠١ (سنة ١٢٣) . L'é'vi - P. 1 46 .

(٣) راجع فوق ، ص ١٤١-١٤٢ ، ثم راجع جنوة المقتبس ١٧٠ .

(٤) البيان المغرب ١ : ٥٦ ، ٢ : ٢٢ .

(٥) البيان المغرب ٢ : ٣١ .

أهموه بالعصية لمُضَر (١) .

فلما خاف بلج من تفرق الكلمة أمر بعبد الملك بن قطن فأخرج اليهم ، وهو شيخ هرم في التسعين من عمره (٢) كتمَرخ نَعامة . فلما رأى أصحاب بلج عبدَ الملك بن قطن ثاروا اليه وجعلوا ينادونه ويقولون : « أفلتَ من سيفنا يوم الحَرّة (٣) فطلبتنا بثأرنا في أكل الكلاب والجلود ثم أردتَ اخراجنا الى القتل (٤) . ثم أنهم قتلوه وصلبوه ، وصلبوا خنزيراً عن يمينه وكلباً عن شماله (٥) .

الثأر لابن قطن ومصراع بلج

ولما قُتل عبد الملك بن قطن هرب ابناه أمية وقطن من قرطبة ، فسار أحدهما الى ماردة والآخر الى نواحي سرقسطة وجعلا يحشدان الجيوش انتقاماً لأبيهما . وقد انضم اليهما عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري - وكان من خصوم بلج نازعه يوم قدم بلج على طلائع كلثوم بن عياض الى المغرب كما كان يطمع في ولاية الأندلس مكانه - . وكذلك انضم الى ابني قطن عبد الرحمن بن علقمة اللخمي والي أربونة ، فبلغ الجيش الذي جمعاه في شمالي الأندلس مائة ألف (٦) . ثم انضم اليهما جموع أخر من البربر الذين كانوا

(١) أخبار مجموعة ٤١ .

(٢) راجع اخبار مجموعة ٤٢ ، ابن الأثير ٥ : ٢٣٣ ، نفع الطيب ٢ : ١١ . في مكان آخر من نفع الطيب (١ : ١٤٦) : في السبعين من عمره .

(٣) شهد عبد الملك بن قطن وقعة الحرة التي قادها مسلم بن عقبة المري ثم فتح بعدها المدينة وأباحها ثلاثة أيام ، في أيام يزيد بن معاوية .

(٤) إشارة الى الزمن الذي كانوا فيه محصورين في سبتة ولم يشأ ان يسمح لهم بالجواز الى الأندلس او ان يرسل اليهم مؤونة .

(٥) كان مقتل عبد الملك بن قطن في أوائل ذي القعدة ابن الأثير ٥ : ١١٧ ، من سنة ١٢٤ هـ (راجع أخبار مجموعة ٣٨ ، ثم قارن ١ : ٥٦٠ و ٢ : ٣٢-٣٣ من البيان المغرب بصفحة ٢ :

٣١) . أما ابن خلدون (٤ : ١١٩ ، ١٨٩) ، فمضطرب في تعيين السنة . أوائل القعدة من سنة ١٢٤ = أيلول ٧٤٢ .

(٦) اخبار مجموعة ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ابن الأثير ٥ : ١١٤ ، ٢٣٣ .

يُحقدون على بلج لإيقاعه بهم لما استنجد به عليهم عبد الملك بن قطن ، كما انضم اليهما أيضاً جماعة من الفهريين ممن كانوا مع بلج نفسه ثم تقموا على بلج غدره بعبد الملك بن قطن وهو فهري مثلهم (١) .

وزحف ابنا قطن على قرطبة طالبين بئار أبيهما ، فخرج اليهما بلج في أقل من عشرين ألفاً . ثم اقتتل الفريقان قتالاً شديداً في مكان شمال قرطبة يدعى أقوه برطورا (٢) ، في شوال (٥) من سنة ١٢٤ (آب ٧٤٢) . وقد انتصر بلج على ابني قطن وامتلات أيدي جنده بالغنائم . الا أن بلجاً نفسه أصيب في المعركة ، قيل أن عبد الرحمن بن علقمة فوق اليهم سهماً فأصاب منه مقتلاً . ثم مات بلج بعد بضعة أيام (٣) . وكانت ولاية بلج على الأندلس عاماً أو نحو ذلك (٤) .

(١٦) ثعلبة بن سلامة الجذامي

بعد مهلك بلج غاب ثعلبة بن سلامة (٥) الجذامي (٦) على امارة

(١) ابن خلدون ٤ : ١١٩ .

(٢) أخبار مجموعة ٤٣ ، Alcàntara 243 .

(٥) كذا ، بالاستناد الى البيان المغرب (٢: ٣٢) ؛ ولكن ذلك يجعل وفاة بلج قبل مقتل عبد الملك ابن قطن (راجع الصفحة السابقة) وهذا لا يصح . ثم ليس هناك مجال لتقديم دخول بلج الى الاندلس ولا لتأخير مقتله لأن التاريخين المتعلقين بذلك يكاد يقع عليها الإجماع . ثم ان المدة يجب أن تكون بين الحادثين سنة ، مما تذكره معظم المصادر . فالمخرج الوحيد إذن أن تقدم مقتل عبد الملك بن قطن ونعمتة قول صاحب اخبار مجموعة (ص ٣٩ ، السطران الاول والثاني) وفيها أن بلجاً كان يجب أن يغادر الاندلس مع أصحابه بعد الثعلب على البربر من غير تقييد بجمدة . وهذا يحملنا على اغفال رواية ابن عذارى (البيان المغرب ٢: ٣٠٠) المتعلقة بطلب عبد الملك بن قطن من بلج وأصحابه لدخول الاندلس : « فكاتبتهم وشرط عليهم مقام سنة بالاندلس ثم يخرجون عنها » .

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٢ ، راجع ١ : ٥٦ ، ابن الأثير ٥ : ١٢١-١٢٢ ، ٢٣٣ ، ابن

خلدون ٤ : ١١٩ ، نفع الطيب ١ : ١٤٦ .

(٤) البيان المغرب ٢ : ٣٢ ، ابن خلدون ٤ : ١١٩ .

(٥) سلمة (أخبار مجموعة ٤٤) .

(٦) راجع نسبة في جمهرة أنساب العرب ٣٩٤ . ويقال « العاملي » أيضاً (جمهرة أنساب

العرب ٣٩٤ ، أعمال الاعلام ٧) .

الأندلس ، بسند من عهد هشام بن عبد الملك لكثوم بن عياض (١) وبالانفاق مع أهل الشام، وذلك في شوال (***) من سنة ١٢٤ (آب ٧٤٢). عندئذ انحاز عنه الفهريون أنصار عبد الملك بن قطن ولم يطيعوه ، كما انحاز عنه أهل البلد أو البلديون من العرب والبربر (٢) .

ضبط ثعلبة الأندلس في القسم الاول من ولايته وحكمها بالعدل فدانت له ، ثم مالت به عصبية اليمانية ففسد أمره (٣) وشيكاً . عندئذ ثار البربر في مدينة ماردة فزاهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر نحو ألف رجل (٤) . ثم أن أهل الأندلس الاقدمين (أهل البلد ، البلديين) من العرب والبربر سمّوا بعد تلك الواقعة لطلب الثأر فساروا اليه من كل صوب وحصروه في مدينة ماردة نفسها . فكتب ثعلبة الى خليفته بقرطبة أن يسرع اليه ببقية أصحابه لنجدته . وقوي أمر المحاصرين لثعلبة وكثر أتباعهم حتى أصبحوا لا يشكون في الظفر فامتأوا بذلك عجباً وأشراً . ثم حل عبد الأضحى (١٠ من ذى الحجة ١٢٤ = ١٤ تشرين الاول ٧٤٢) فتشاغلوا بأمره ، فأبصر ثعلبة منهم غيرة فخرج عليهم في صبيحة عيدهم وهم ذاهلون فهزمهم هزيمة قبيحة وأفشى فيهم القتل وأسر منهم ألف رجل (٥) وسبى ذراريهم وعيالهم . ولم يكن الذين ولّوا الأندلس قبل ثعلبة يتعرضون للذرية بالسبي (٦) .

وأقبل ثعلبة من ماردة الى قرطبة يحمل من الأسرى والسبي عشرة آلاف أو يزيدون من عرب البلد والبربر حتى نزل في المسارة بظاهر قرطبة وجعل يبيع السبي في النداء ويعبث ويبطّر : فكان يبيع الشيوخ والاشراف ممن ينقص لا ممن يزيد . وكان في الأسرى اثنان : علي بن الحصين (٧) والحارث

(١) راجع فوق، ص ١٤١-١٤٢.

(**) راجع الحاشية (*) على الصفحة ١٤٩ .

(٢) أخبار مجموعة ٤٤ . راجع ابن خلدون ٤ : ١١٩ ، نفع الطيب ١ : ٢٠١٤٦ : ١٣ .

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٣ ، راجع ١ : ٥٦ ؛ ابن خلدون ٤ : ١١٩ ؛ نفع الطيب ١ : ٢٠١٤٦ : ٣٠ .

(٤) و(٥) يظهر على سرد معارك ثعلبة شيء من التناقض او التداخل .

(٦) البيان المغرب ٢ : ٣٣-٣٤ .

(٧) في أخبار مجموعة (ص ٤٥) : ابو الحسن رجل كان بالاندلس .

بن أسد أحد بني جهينة - وهما من أهل المدينة - فابتدأ المنادي عليهما بشعرة دنانير ثم لم يزل ينادي : « من ينقص ؟ » حتى باع أحدهما بعتود (١) والآخر بكلب (٢) .

واستمرت عبلة مدة على هذه الحال من العبت والبغي . وكان قد بقي لديه بقية من أسرى فأبرزهم للقتل في يوم جمعة من شهر رجب من سنة ١٢٥ (أيار ٧٤٣) :

الاضطراب في المشرق

في هذه الاثناء كانت الخلافة الأموية قد مالت الى الضعف فقتوت الدعوة العباسية واضطرب الأمر في المشرق وقل اهتمام الامويين بالأندلس البعيدة لما امتلأت أيديهم بالمشاكل التي كانت في خراسان وفي الشام نفسها أيضاً . وفي ربيع الثاني من سنة ١٢٥ (شباط ٧٤٣) توفي هشام بن عبد الملك بعلة الذُبْحَة (٣) فخلفه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وكان من فتيان بني أمية وظرفاتهم منهمكاً في اللهو والشراب ، وكان شاعراً محسناً . فلما أفضت اليه الخلافة لم يزد الا انهاكاً في الملذات واستهتاراً في المعاصي ، وضم الى ذلك ما ارتكبه من إغضاب أكابر أهله والاساءة اليهم فاجتمعوا عليه مع أعيان رعيته وقتلوه (٤) في رجب من سنة ١٢٦ (نيسان ٧٤٤) .

(١٧) أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي

وكان أهل الأندلس البلديون والشاميون قد أيسوا من الاطمئنان في حكم ثعلبة فكتبوا الى والي افريقية حنظلة بن صفوان يسألونه أن يرسل اليهم والياً ، فأرسل اليهم أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي (٥) . وأنفق أن وصل أبو الخطار في الوقت الذي كان ثعلبة يريد فيه أن يقتل الأسرى ، فأمر هو

(١) الحولي (الذي مر عليه حول : عام) من اولاد الماعز .

(٢) البيان المغرب ٢ : ٣٤ ، اخبار مجموعة ٤٥-٤٦ .

(٣) البيان المغرب ١ : ٥٩ .

(٤) الفخري ٩٧ .

(٥) الحسام بن ضرار . . . (راجع نسبه في جبهة أنساب العرب ٤٢٦-٤٢٧) .

باطلاقهم فسمّي عسكره عسكر العافية (١) .

وأدرك أبو الخطار سوء السياسة التي سار بها ثعلبة وجماعة من أصحابه الشاميين فأنزلهم في سفينة أبحرت بهم الى افريقية . ثم ان ثعلبة قفل الى المشرق ولحق بمروان بن محمد (٢) آخر خلفاء بني أمية في دمشق ، بعد ولاية له على الأندلس دامت عشرة أشهر في أصح الأقوال (٣) .

عبد الرحمن بن حبيب

كان عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع قد جاز مع بلج ابن بشر من المغرب الى الأندلس (٤) . فلما اضطرت الأحوال في الأندلس في أيام ثعلبة طمّح عبد الرحمن بن حبيب في أن يتغلب عليها ويلبّيها وتألّف للشاميين في سبيل ذلك . فلما جاء أبو الخطار أيس عبد الرحمن من ولاية الأندلس . ولم يغفل أبو الخطار عن طموح عبد الرحمن وعمّا قد يجز من النزاع في الأندلس فأخرجه مع جماعة من أهل الشام كانوا يشايعونه . وغادر عبد الرحمن الأندلس ، في ربيع الاول من سنة ١٢٦ في الأغلب ، ووصل الى تونس في الشهر التالي : في جمادى الاولى من سنة ١٢٦ (٥) ، آذار أونيسان من عام ٧٤٤ ،

تفريق الشاميين في الأندلس

رأى أبو الخطار أن أهل الشام يسكنون كلهم في قرطبة وما جاورها وأنهم كثروا « عنده ولم تحملهم قرطبة » (ابن خلدون ٤ : ١١٩) . فاذا نحن صرفنا لننظر عن أن ازدحام هؤلاء في منطقة واحدة ينقل الحياة الاقتصادية في تلك

(١) البيان المغرب ٢ : ٣٤ ، اخبار مجموعة ٤٥-٤٦ .

(٢) ابن خلدون ٤ : ١٢٠ ، نفع الطيب ١ : ١٤٧ ، جذوة المقتبس ١٧٤ .

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٣ . في ابن خلدون (٤ : ١١٩) ، ونقل ذلك عنه المقري (نفع الطيب ١ : ١٤٦) : ولي سنين أظهر فيها العدل ، ودانت له الأندلس عشرة أشهر . وفي أعمال

الأعلام (ص ٧) : « ثم تولى ثعلبة ... خمسة أشهر » .

(٤) راجع فوق ، ص ١١٤ او ما يليها .

(٥) في الاستقصا (١ : ١٠٥) : سنة ١٢٦ ، في أيام يزيد الفاسق أي يزيد بن الوليد (رجب الى نفي الحجة ١٢٦) . وفي البيان المغرب (١ : ٦٠) : سنة ١٢٧ .

المنطقة، فان وجودهم على مقربة من دارالحكم ينطوي على تهديد مباشر لأبي الخطار، عاجلاً أو آجلاً. من أجل ذلك فرّقهم أبو الخطار في الأندلس، قيل بنصيحة أرطباش بن غيطشة (١)، على الوجه التالي (٢):

(أ) أنزل أهل دمشق في إلبيرة (مقاطعة غرناطة) - لشبه البيرة بدمشق - وسماها «دمشق».

(ب) أنزل أهل حمص في اشبيلية - لشبه مقاطعة اشبيلية بحمص - وسماها «حمص»؛ (ج) أنزل أهل قنسرين في مقاطعة جيان وسماها قنسرين.

(د) أنزل أهل الأردن في مقاطعة رية (في أرشذونة ومالقة) وسماها «الأردن»؛

(هـ) أنزل أهل فلسطين في شذونة (وهي مقاطعة شريش) وسماها «فلسطين»؛

(و) أنزل أهل مصر، وكانوا كثاراً، في مكانين: في مقاطعة باجة من جنوبي غربي الأندلس، وفي مقاطعة تدمير من جنوبي شرقي الأندلس؛

وأقطع أبو الخطار أهل الشام، في الأماكن التي أنزلهم فيها، أراضي مما كان يملك عجم الأندلس (الاسبان الذين لم يعتقدوا الاسلام ولا تعلموا العربية) ثم أعطاهم من أنعام هؤلاء العجم ما يستطيعون أن يعيشوا به (٣)، وهكذا يكون أبو الخطار قد أنزل أهل الشام في أجناد (إقطاعات عسكرية)، ربما باقتراح من أرطباش أيضاً، ثم أوجب عليهم أن يستجيبوا له كلما احتاج اليهم فدعاهم (إلى دفاع أو خوض معركة). وقد كان ذلك نظاماً معروفاً في الدولة البيزنطية، وعند الجرمان في الأغلب، كما كان معروفاً في الشام (سورية) بالاسم على الأقل منذ العهد البيزنطي. وها هو ينتقل الآن الى الأندلس (٤).

(١) أرطباس بن غيطشة (نفع الطيب ١: ١٦٨)، Ardabast, Ardabasto

(٢) البيان المغرب ٢: ٣٣، ابن خلدون ٤: ١١٩-١٢٠.

(٣) راجع البيان المغرب ٢: ٣٣، راجع Los Mozàrabes 92 يزعم ان المؤرخين

للدرب ما ذكروا ذلك ثم يده خرقاً للمعاهدة التي كانت بين عبد العزيز وتدمير (راجع

فوق، ص ٩٠-٩١).

(4) Lévi-Provençal I 47-48

ج - دور العصبيات

كان أبو الخطار من أول أمره « أعرابياً » عصبياً منفرطاً في عصبته . ومع أنه اتبع ، لما وليّ الأندلس ، سياسة جميلة وسار سيرة عادلة حكيمة في طبقات السكان كلها ، فانه سرعان ما جانب هذا الطريق السوي ورجع الى طبيعته الاولى في التعصب لقومه اليمانية على القيسية ثم أفرط في ذلك حتى نفرت منه القلوب واجتمع عليه الخصوم (١) .

الصميل بن حاتم

لم تخف نية أبي الخطار في تفريق أهل الشام في الأندلس على الصميل بن حاتم قائد جند قنسرين ، فلم يشأ أن ينتقل بقومه من قرطبة الى جيان وان كانت جيان لا تبعد عن قرطبة الا نحو مائة كيلومتر .

والصميل هذا هو الصميل بن حاتم بن شمير بن ذي الجوشن الكلابي القيسي من أهل الكوفة (٢) . وجدده شمير هو قاتل الحسين بن علي يوم كربلاء . فلما تمكن المختار بن عبيد الله الثقفي (٣) من شمر قتله وهدم داره ، فخرج أولاده عن الكوفة وارتحلوا الى الجزيرة ، في شمالي العراق ، ثم انحدروا الى قنسرين . فلما أنفذ هشام بن عبد الملك كاثوم بن عياض الى المغرب كان الصميل في جيشه ، ثم انه كان على طوالع بلج الذين كانوا على مقدمة أهل الشام لما جاز بلج بهم الى الأندلس . ولقد استطاع الصميل بشجاعته وسخائه أن يرأس قومه في الأندلس (٤) . ومع أن الصميل كان أمياً لا يخط (٥) ولا يقرأ الخط ، فانه كان من الدهاة والحلماء الذين يحسنون الصبر على الاساءة

(١) ابن خلدون ٢: ١٢٠ ، نفع اللطيب ١: ١٤٧ .

(٢) راجع نسب الصميل في جهرة أنساب العرب ٢٧٠ .

(٣) راجع الحوض الشرقي ٩٧ وما بعدها .

(٤) أخبار مجموعة ٥٦ ، للبيان المغرب ٢: ٣٤ ، نفع اللطيب ١: ١٤٨ ، ٢: ١٧ .

(٥) أخبار مجموعة ٦٨-٦٩ .

وانتهاز الفرصة للانتقام .

أوجس أبو الخطار خيفة من الصميل وأراد أن يبعده عن قرطبة بكل سبيل ، وظن أنه اذا حمل أناساً على أن يسينوا الى الصميل فان الصميل يوتر حينئذ أن يغادر قرطبة وينأى عن أبي الخطار حيفاً على كرامته . ولكن أبا الخطار أخطأ التقدير في الصميل . وفي يوم من الأيام دخل الصميل على أبي الخطار في قصر قرطبة ، وحول أبي الخطار الجند ، فأغرى ابو الخطار به نقرأً من جنده فشموه ولكروه . وقتعه (١) أحد الجنود فمالت عمامته . فخرج الصميل على حاله تلك مغضباً ، فأراد أحد الحجاب أن يعرض به فقال له : « أقم عمامتك ، يا أبا الجوشن ! » فقال له الصميل : إن كان لي قوم فسيتيمونها « (٢) .

بدء العصية

العصية هنا هي النزاع في عصر الولاة على الولاية بين القيسيين واليمانية (بين قيس واليمن) ، بين الذين ينتمون الى عرب الشمال والذين ينتمون الى عرب الجنوب . ولقد ثارت هذه العصية منذ أيام أبي الخطار إثر الحادثة التي جرت للصميل في حضرة أبي الخطار .

وبعث الصميل الى خيار قومه فجاءوه ، فشكا اليهم ما لقي على يد أبي الخطار ، فقالوا له : نحن تبع لك والرأي رأيك ! غير أن الصميل لم يكن قادراً على أن ينال بقومه وحدهم من أبي الخطار متالاً ، ذلك لأن قومه القيسية كانوا قليلي العدد في الأندلس ، بينما اليمانية - قوم أبي الخطار - كانوا كثيرين جداً . فقال الصميل لقومه : أريد أن أذعو لخصمنا وجذاماً فندخل رجلاً منهم (معنا) نؤدمه (للولاية) يكون له الاسم ولنا الرسم (٣) . ولم يكن اليمانية على وفاق فيما بينهم فاستطاع الصميل أن يستميل اليه منهم بني

(١) ضربه بالسوط على رأسه .

(٢) البيان المغرب ٢: ٣٤ ، ابن خلدون ٤: ١٢٠ ، نفع الطيب ١: ١٤٧ .

(٣) راجع اخبار مجموعة ٥٧ ، البيان المغرب ١: ٦٢ .

لحم وني جذام . ثم كتب الى ثؤابة بن سلامة (١) رئيس بني جذام وزعيم أهل جند فلسطين وعرض عليه أن يكون أمير الأندلس مكان أبي الخطار ، وكان أبو الخطار قد ولّى ثؤابة على اشيلية وغيرها ثم عزله عنها فغيظ ثؤابة وتغير قلبه على أبي الخطار مع أنه يماني مثله . ورضي ثؤابة باقتراح الصميل ثم انضم اليه مع قومه وأقارب قومه من لحم . وكذلك انضم الى الحلف الحديد جماعات من اليمانية كانوا منحرفين عن أبي الخطار (٢).

في رجب من سنة ١٢٧ هـ (نيسان ٧٤٥ م) سار الصميل الى قتال أبي الخطار وعلى مقدمة الجيش ثؤابة بن سلامة نفسه . وخرج أبو الخطار لقتال ثؤابة ، ولكنه لم يكن في عدد كاف من الجند . والتقى الجيشان على وادي لكّه ، بناحية نهر شذونة (٣) فجعل القيسية الذين كانوا في جيش الصميل ينادون اليمانية الذين كانوا في جيش أبي الخطار فيقولون : « لماذا تقاتلونا وقد جعلنا الأمير منكم ؟ » (يقصدون أن أمير الجيش كان ثؤابة بن سلامة ، وهو يماني مثل أبي الخطار) . عندئذ تفرق جيش أبي الخطار ، وهرب أبو الخطار نفسه في اتجاه باجة ، من غرب الأندلس ، ولكنه أسير في الطريق . وكانت ولاية أبي الخطار على الأندلس « أربع سنوات وستة اشهر الى تاريخ ١٢٨ » ، كما في اخبار مجموعة (ص ٥٦) .

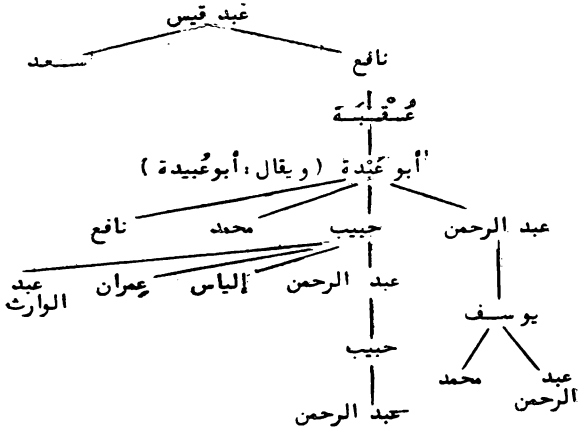
(١٨) ثؤابة بن سلامة الجذامي

في تلك الاثناء كان أمية بن عبد الملك بن قطن في قرطبة فأخرج منها خليفة أبي الخطار وملكها باسم ثؤابة . وسار ثؤابة الى قرطبة فألقى أبا الخطار في السجن ثم خرج الى الناس فبايعوه بالأمانة (٤) :

-
- (١) ابن الاثير ١٦١:٥ .
(٢) البيان المغرب ٣٤:٣٥ ، اخبار مجموعة ٥٧ ، ابن خلون ٤:١٢٠ ، نفع الطيب ١:١٤٧ .
(٣) ابن الاثير ١٦١:٥ ، اخبار مجموعة ٥٧ .
(٤) البيان المغرب ٢:٣٣ ، وفيه (٢:٣٥) « ولي ثؤابة سنة ١٢٨ » .

استبداد عبد الرحمن بن حبيب بالمغرب وافريقية

لما وصل عبد الرحمن بن حبيب الى المغرب ، بعد خروجه من الأندلس ، دعا جماعة الى مشايعته فأجابوه . فكتب اليه حنظلة بن صفوان والي افريقية يدعوه إلى استئناف الطاعة فأنى ورد عليه يطلب منه أن يدخل القبروان وأجابه ثلاثة أيام . وكان حنظلة رجلاً ورعاً يكره سفك الدماء ، وكان لا يرى القتال



نسل عقبة بن نافع

الا لكافر أو خارجي ، فرك القبروان في جمادى الاولى من سنة ١٢٧ (شباط ٧٤٥) عائداً الى المشرق ، فدخل عبد الرحمن بن حبيب الى القبروان في الشهر التالي ثم غلب على المغرب وافريقية . وكتب عبد الرحمن الى الخليفة مروان بن محمد (١) بما فعل ، فأقره مروان على المغرب وافريقية معاً (٢) .

(١) جاء مروان بن محمد الى الخلافة في ٢٦ صفر من سنة ١٢٧ (٧ كانون الاول ٧٤٤) .

(٢) فتوح مصر ٢٢٣-٢٢٤ ، البيان المغرب ١: ٦٢٤٦٠ ، ابن خلدون ٤: ١٩٠ ، الاستقصا ١: ١٠٥ .

واكتب عبد الرحمن بن حبيب باقرار مروان بن محمد له على المغرب وافريقية وجاهة وصل ذكرها الى الأندلس ، فخطب أهل الأندلس عبد الرحمن في شأن تولية ثوابة عليهم . فكتب عبد الرحمن الى ثوابة بعهدة على ولاية الأندلس ، منسأخ رجب من سنة ١٢٩ (١٥ نيسان ٧٤٧) ، بعد نحو عام من ولايته ، وقام الصميل بأمر ثوابة فكان ثوابة الوالي في الظاهر ، أما الحاكم الحقيقي فكان الصميل (١) .

أحداث المغرب

استعت حركة الخوارج الصُفْرىة والإباضية في المغرب فنار ثابت الصنْهاجي في قومه صنهاجة وتغاب على باجة . وثار عروة بن الوليد الصفرى (٢) واستولى على تونس . وكذلك ثار ابن عطاف (٣) الأزدي كما ثار عرب الساحل والبربر في الجبال . على أن الثورة التي شغلت عبد الرحمن بن حبيب كانت ثورة عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي (٤) الهواريين في طرابلس ، وقد هزم عبد الجبار والحارث كل جيش أرسله عبد الرحمن بن حبيب لقتالهما ثم انهما استوليا على طرابلس وما جاورها واستفحل أمرهما في زناتة . وأخيراً اختلفا فاقتلا وقتلا كلاهما ، فولى الخوارج على أنفسهم اسماعيل بن زياد النقفوسي فعظم شأنه في تلك الانحاء : وخرج عبد الرحمن بن حبيب لقتال اسماعيل بنفسه وقتله عند مدينة قابس ، فهلك اسماعيل وكثيرون ممن كانوا معه ، وضرب عبد الرحمن بن حبيب أعناق الأسرى . وخمدت نار الخوارج في المغرب وافريقية الى حين (٥) .

(١) البيان المغرب ١: ٦٢ ، راجع ابن خلدون ٤: ١٢٠ .

(٢) في البيان المغرب (١: ٦١) : الصدي .

(٣) في ابن خلدون (٤: ١٩٠) : عمر بن خطاب .

(٤) في ابن خلدون (٤: ١٩٠) : عبد الجبار بن الحارث (وهو خطأ طبعاً) .

(٥) راجع فتوح مصر ٢٢٣ - ٢٢٤ ، البيان المغرب ١: ٦١ ، ابن خلدون ٤: ١٩٠ ،

الاستقصا ١: ١٠٥ .

نجاة أبي الخطار من السجن

لم يمكث أبو الخطار طويلاً في السجن ، فان بني قُضاة (وهم من اليمانية) اجتمعوا وأمرّوا عليهم رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن نعيم الكلبي . فجمع عبد الرحمن هذا مائتي رجل وأربعين فارساً ثم هاجم قصر قرطبة وأنقذ أبا الخطار من سجنه وسار به الى لبّلة من غربي الأندلس ، في سنة ٥١٢٨ (١) و٧٤٦ م .

واستجاش أبو الخطار اليمانية ودعاهم الى النصرة على المضربة ، فاجتمع له منهم عسكر ضخم أقبل به الى قرطبة . فلما خرج له ثوابة عاد القيسية الذين كانوا في جيش ثوابة ، فيما يبدو ، الى ندائهم القديم : « لماذا تقاتلونا وقد جعلنا الأمير منكم ؟ » (٢) . فتفرق عسكر أبي الخطار عنه وانهمز أبو الخطار نفسه ثانية ، واستمر ثوابة والصميل في حكم الأندلس :

وتولى ثوابة الأندلس نحو سنة وستة أشهر - من رجب سنة ١٢٧ (نيسان ٧٤٥) الى المحرم من سنة ١٢٩ (أيلول - تشرين الاول ٧٤٦) - في أرجح الأقوال (٣) . وقد أخذ بذلك المستشرق الأسباني أميليو لافوانتي ألقانطرا مخرج كتاب أخبار مجموعة (٤) وتبعه في ذلك بعض المؤرخين الغربيين (٥) . على أن نقرأ من المؤرخين العرب لم يضبظوا ولاية ثوابة بتواريخها الصحيحة (٦) :

(١) أخبار مجموعة ٥٨ .

(٢) راجع فوق ، ص ١٥٦ .

(٣) أخبار مجموعة ٥٧ ، ابن الاثير ١٣٦:٥ ، ١٥١ .

(٤) مدريد عام ١٨٦٧ .

(٥) مثلاً Lévi-Provençal I 50 .

(٦) في أخبار مجموعة ٥٧ : ولي ثوابة سنة ثم مات في سنة ١٢٩ . وفي ابن الاثير (٥٣: ١٥١)

كانت ولايته سنتين وشهوراً . وفي البيان المغرب : وفي سنة ١٢٧ بويغ لثوابة في الاندلس ... وفي سنة ١٢٨ هلك ثوابة في شبمان ، ودولته سنة (١: ٦٢) ، ولي ثوابة سنة ١٢٨ ... وتوفي في السنة المذكورة وكانت ولايته كما ذكرنا (٢: ٣٥) . وفي ابن خلدون (٤ : ١٢٠) : جاء ثوابة سنة ١٢٨ وهلك اسنين (سنتين ؟) من ولايته . وفي أعمال الاعلام (ص ٧) : ملك ثوابة سنتين وشهوراً .

التنازع على ولاية الأندلس

توفي ثوابة فجأة - وكان الخلاف قد وقع في إفريقية ، وبنو أمية قد تلاشت أمورهم في المشرق وشُغِلوا عن قاصية المغرب بكثرة الخوارج وباستفحال أمر المُسَوِّدَة (الدعاة العباسيين) - فعاد النزاع في الأندلس الى ما كان عليه بين اليمانية والمضرية ثم بين اليمانية أنفسهم .

(١٩) عبد الرحمن بن كثير اللخمي

أراد اليمانية في أول الأمر أن يعيدوا أبا الخطار الى ولاية الأندلس فأبى الصميل وشايعته مضر . ثم اختلف اليمانية فيما بينهم : طلب أبو الخطار الولاية لنفسه واحتج لذلك بأنه صاحب الحق في الولاية التي خلعه منها خصومه القيسيون . فبرز له منافسان : يحيى بن حرِيث وعمرو بن ثوابة (١) بن سلامة الجذاميان ونازعه في الولاية ، ثم قال له يحيى : « أما أقومُ بها منك لأن قومي أكثر من قومك (٢) » . وكثر الخلاف وتشاكى الفريقان فبقيت الأندلس أربعة أشهر بلا وال ، الا أن أهل الأندلس كانوا قد قدموا عليهم عبد الرحمن ابن كثير اللخمي ونصبوه للنظر في الاحكام (٣) خاصة (٤) .

تسوية الصميل وما فيها من الدهاء

عالج الصميل الموقف بدهاء وحكمة وبمكر أيضاً ، فاقترح أن يكون والي الأندلس عاماً من القيسيين وعماماً من اليمانيين على التعاقب . ورضي الجميع بذلك ولكن اختلفوا على الذي ستكون الولاية له في العام الاول : أيكون قيسياً أم يمينياً ؟ وهنا أسعف الصميل ذكاؤه فاقترح أن يكون الوالي الاول بعد التسوية

(١) في أخبار مجموعة (ص ٥٧) : ثوابة بن عمرو .

(٢) البيان المغرب ٢: ٣٥-٣٦ ، راجع أخبار مجموعة ٥٧ .

(٣) راجع فوق ، ص ١٠٦ .

(٤) البيان المغرب ١: ٦٢ ، ٢: ٣٥-٣٦ .

قرشياً ، لأن عصبية العرب يومذاك كانت في قريش ، وخلفاء دمشق أصحاب الفتح في الأندلس قرشيون . وكذلك ظهرت الرسالة الاسلامية في قريش . وعلى هذا تكون قريش فوق النزاع العصباني الذي يمزق الأندلس .

(٢٠) يوسف بن عبد الرحمن الفهري

وسمى الصميل لمنصب الولاية في الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري : وكان مما يحمل الناس على الرضا به أمور منها أنه :

(أ) كان ينتسب الى عقبه بن نافع (١) فاتح المغرب وباني مدينة القيروان ، وهذا يجعل له وجاهة بين الناس ويخفف من المقاومة له بينهم عند تنصيبه .

(ب) كان متقدماً في السن ، والناس عادة - وخصوصاً في الأزمان - أكثر انقياداً للمتقدمين في السن منهم للأحداث .

(ج) كان في ذلك الحين معتزلاً في بادية إلبيرة مع نفر من أهل الديانة والاظهار للخير (١) ، وذلك مما يجعله بعيداً عن المنازعات الناشئة فتقل مقاومة أهل الأندلس له .

(د) كان يتنافس في سبيل الولاية على الأندلس بضعة نفر ، فكان من المألوف في مثل هذا الموقف أن يتنحى المتنافسون المتخاصمون لرجل حيادي يتمتع بمؤهلات معينة كذلك التي كان يتمتع بها يوسف بن عبد الرحمن الفهري .

على أن تسمية الصميل ليوسف بن عبد الرحمن الفهري لم تكن خالصة من عناصر ترواجع الى هوى في نفس الصميل :

(أ) كان يوسف الفهري قيسياً كالصميل نفسه .

(ب) كان عبد الرحمن بن حبيب - والد يوسف الفهري - يطمح الى ولاية الأندلس ، فحال أبو الخطار بينه وبينها . ولا ريب في أن هذا قد ترك شيئاً من

(١) هو يوسف بن عبد الرحمن بن أبي عبدة بن عقبه بن نافع .

(٢) البيان المغرب ٢ : ٣٧ .

النقمة في نفس يوسف على أبي الخطار ، ولو لم يكن يوسف يظهره أو يشعر به شعوراً بارزاً . ولقد أحب الصميل أن يستغل هذا العنصر الشخصي فيضمن أن يثبت يوسف الفهري بجانبه في وجه أبي الخطار .

(ج) سمى الصميل يوسف الفهري لولاية الأندلس لأنه كان رجلاً ليناً يستطيع أن يحكم هو الأندلس من ورائه . ولقد سبق أن رأينا الصميل يختار ثوابه بن سلامة الجذامي ليتولى حلف القيسية واليمينية ضد أبي الخطار وولاية الأندلس معاً كيما يكونُ الأسمُ فقط لثوابه والحظ (الفعل والفائدة) له هو : ولم تخف غاية الصميل في تسمية يوسف الفهري لولاية الأندلس على المؤرخين ، فقال ابن عذاري (١) : « فكان ليوسف الأسم وللصميل الرسم » . وذكر ابن القوطية أن الصميل كان متغلباً على يوسف الفهري طول مدة حكمه . وقال ابن الأثير (٥ : ١٧٩) : « كان اسم الأمانة ليوسف والحكم للصميل » .

(د) أما الذي حبك خطة الصميل وسهّل تنفيذها فهو أن الصميل كان لا يسعى لنفسه ظاهراً ، فوثق به الناس وأمنتَهُ العصبية . وهذا يذكرنا بموقف عبد الرحمن بن عَوْفٍ في الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب (٢) ، إلا أن موقف ابن عوف كان خالصاً من هوى النفس .

(هـ) وأما تحية عمرو بن ثوابه ويحيى بن حُرَيْث فلم تكن صعبة على الصميل . لقد أقنع الصميل عمرو بن ثوابه بالتخلي عن مطلبه لأن ولاية الأندلس لا يجوز أن تنتقل بالوراثة ، فإذا جاء عمرو بن ثوابه الى ولاية الأندلس — بعد أن كان يليها أبوه — ضج الناس وخصوصاً القيسية وقالوا : استبدت اليمانية بولاية الأندلس وقلبته ملكاً . وكان اقناع يحيى بن حريث أهون ، فقد سعى الصميل الى أن يتولى يحيى كورة رية على أن تكون له طُعْمَةٌ (٣) . فقنع يحيى بذلك ، وزالت كل منافسة من قبَلِهِ في وجه يوسف الفهري .

(١) البيان المغرب ٢ : ٣٦ ، راجع ابن الأثير ٥ : ١٧٩ .

(٢) راجع الحوض الشرقي ٧٢-٧٣ .

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٥ .

استيَاقُ المصيبة

ما كاد الأمر يستقر ليوسف حتى أشار عليه الصميل باتِّباع سياسة قيسية وبقاء الصماء اليمانية كلهم عن مراتب الحكم . فبدأ يوسف ، أول ما بدأ ، بعزل يحيى بن حريث عن منطقة رية . فغضب يحيى وكتب أبا الخطار وواطأه على الثورة . ورأى جميع اليمانية (حمير وكندة ولخم وجذام) أن تكون القيادة ليحيى بن حريث - ولعلمهم رأوا ذلك لأن أبا الخطار انهزم في ثوراته السابقة - فلم يجد أبو الخطار بداً من الانضمام الى ابن حريث والمحاربة الى جانبه . عندئذ انحازت مُضَرَّ وربيعة الى الصميل ويوسف الفهري .

واتفق في ذلك الحين انقضاء عام كامل على ولاية يوسف الفهري ، فجاء اليمنية ، كما يقول ابن خلدون (٤ : ١٢٠) ، « لمعاد إِدالتهم واثقين بمكان عهدهم وتراضيتهم واتفاقهم » ليتولوا هم الحكم في العام الجديد . ويبدو أن يوسف كان مستعداً لأن يترك الحكم خوفاً من الفتنة وثورة العداوة والبغضاء بين العيصيات (١) . ولكن الصميل أبى ذلك . ولما رفض يوسف أن يتولّى القتال بنفسه تولاه الصميل ورتب الجنود ثم تقدم الى شقنندة ، (قبالة قصر قرطبة بعيدة النهر - على الضفة اليسرى) ، ومعه يوسف الفهري (٢) ، فالتقى بجيش ابن حريث وأبي الخطار ، في أوائل سنة ١٣٠ (٣) للهجرة وأواخر ٧٤٧م . وكانت الحرب بين الفئتين شديدة عارمة حتى قال ابن عدي (٤) : « فلم يُعْهدْ حرب مثلها في المسلمين بعد حرب الحمل وصفين » . وانهزم اليمانية هزيمة شديدة وهرب أبو الخطار وابن حريث ، ولكن أدركا وأخذوا أسيرين . ثم ان الصميل ضرب عنقيهما وبدأ يضرب أعناق الأسرى : قالوا (٥) : فلما ضرب أعناق سبعين منهم اعترضه قاسم بن

(١) البيان المغرب ٣٦:٢ .

(٢) اخبار مجموعة ٥٩ .

(٣) اخبار مجموعة (ص ٦١) : قبل سنة واحد وثلاثين ومائة .

(٤) اخبار مجموعة ٦٠-٦١ .

(٥) البيان المغرب ٣٦:٢ .

فلان أبو عطاء بن حمّد المرّي وسأله أن يُغمد سيفه ويكنف عن قتل الأسرى ؛ فلما صده الصميل قال له أبو عطاء : « يا أعرابي ، والله إن تقفلنا إلاّ بعداوة صفيّين . لتكفّنّ أو لأدعُونّ بدعوة شامية » (١) . فأغمد الصميل سيفه وترك قتل الأسرى .

القحط في الأندلس والمغرب

وأنت على الأندلس خاصة سبع سنوات من القحط تخللها مطر يسير . ففي سنة ١٢٩ للهجرة (٧٤٧م) حدث غلاء في الأسعار في افريقية والمغرب (٢) . وفي السنة التالية كان الوباء والموتان في الأندلس « حتى كاد الخلق أن ينقرض » . ثم أمحلت الأندلس في سنة ١٣١ وعم المحلّ وتمادى الى سنة ١٣٦ هـ (٧٥٣م) . وتعاقب سقوط المطر وانجباسه : سنة « محلّ » وسنة غيْث . على أن المحلّ الشديد اتصل عاماً أو عامين : وسقيّ الناس في سنة ١٣٣ وصلحت حالهم بعض الصلاح (٣) :

وكان من نتائج هذا القحط المتوالي أن جعل المسلمون ينزحون عن شمالي الأندلس ووسطها نحو الجنوب ، ومنهم من جاز البحر الى طنجة وأصيلا وريف البربر . ولم يستطع الأسبان انتهاز الفرصة والتزول في البلاد التي رحل عنها المسلمون لأن القحط كان قد عم أرضهم ايضاً والجوع قد أضعف عزيمتهم (٤) .

الوحشة بين يوسف الفهري والصميل

بعد معركة شقنّدة عظم مقام الصميل وتعلقت به قلوب الناس وآمالهم ، لنجدته وسخائه ، فخافه يوسف الفهري وخشي منه على نفسه بعد أن كان قد

(١) لاثيرن عليك أهل الشام . إن : ما .

(٢) البيان المغرب ١: ٦٢ .

(٣) البيان المغرب ٢: ٣٧، ٣٨، واستحكم الجوع والقحط في سنة ١٣٤ و١٣٥ وبعض ١٣٦ .

(٤) أخبار مجموعة ٦٢ .

استبددونه بحكم البلاد . وأراد يوسف أن يبعد الصميل عن قرطبة ليأمن خطره فولاه على سرقسطة ، في الثغر الأعلى . ولم يخف مقصد يوسف على الصميل ولكنه ذهب الى سرقسطة طائماً فلما وجد المجاعة فيها متفشية تناسى عصبته وعمل جاهداً على اغائة الناس من قيس ومن اليمن على السواء . وظل على ذلك وقلوب الناس تزداد به تعلقاً حتى انجابت سنو القحط (١) .

الثورات على يوسف الفهري

سقطت الدولة الأيوبية في الشام ثم بويغ أبو العباس السفاح ، في العراق ، في ١٢ ربيع الثاني من سنة ١٣٢ (٢٨ تشرين الثاني ٧٤٩) فأحدث ذلك تأثيراً كبيراً في المغرب والأندلس :

(أ) كان أول اثر نسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية أن نجا جماعة من بني أمية بأنفسهم . وبما أن هربهم نحو المشرق لم يكن ممكناً ، لأن الجيوش العباسية كانت قادمة من المشرق ، فان المنجى الوحيد للفارين كان نحو المغرب ، وتتبع العباسيون أولئك الفارين وقتلوا نقرأ منهم ، قتلوا مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في مصر . ثم نجا نفر آخرون ، منهم العاصي وموسى ابنا الوليد ابن يزيد ، ومنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ومنهم ابنه سليمان وخادمه بدر وخادم لأخته أم الأصبغ اسمه سالم أبو شجاع . ثم أخذ جماعة من أهل بيت عبد الرحمن يتوافون إليه (٢) .

لا ريب في أن هؤلاء فروا من المشرق الى المغرب خوف السيف ولم يكن أحد منهم يفكر يومذاك باستعادة ملك قديم أو بطلب ملك جديد . واذا نحن صرفنا النظر عن نفر كانوا يريدون الايقاع بهؤلاء الناجين بأنفسهم بعامل من عصبية ضيقة أو تزكفاً الى أرباب الدولة الجديدة ، فان الأمويين وجدوا متزلاً رحباً في افريقية . ولكن لما أمن هؤلاء على أنفسهم ثم رأوا الخلاف الناشب

(١) البيان المغرب ٢: ٣٧ ، اخبار مجموعة ٦٢-٦٣ .

(٢) أخبار مجموعة ٤٦-٥٦ ، ابن الاثيرق ٥: ١٧٤ .

في المغرب وفي الأندلس خطر لهم أن ينتهزوا الفرصة ويسعوا الى الحكم ، ولعل لسان بعضهم زلّ فسبق الى ذلك (١) . فلما بلغ ذلك الى أسمعاع عبد الرحمن بن حبيب أراد أخذ الطريق على بني أمية - وبرزهم يومذاك هناك عبدُ الرحمن بن معاوية - ففروا جنوباً في شرق الى مكناسة ثم تابعوا فيرارهم شرقاً الى نواحي طرابلس ونزلوا في بني نَفْرَة أو نَفْرَاوة (٢) اذ يزعمون أن أم عبد الرحمن بن معاوية كانت جارية منهم (٣) اسمها راح . والغريب أن قبيلة نفرة هذه لم تخطر ببال عبد الرحمن حينما مر بها وهو فارّ غرباً من المهول الأموي .

ب) لما طال استبداد يوسف الفهري ، وهو قيسي ، بحكم الأندلس تحرك اليمانية فيها فكان من ذلك ثورة عبد الرحمن بن علقمة اللخمي (اليماني) بأريونة من أقصى الشمال الشرقي . ولكن يوسف الفهري تغلب عليه بعد مدة يسيرة (٤) وقتله (٥) . وكذلك ثار عليه ثائر اسمه عروة في مدينة باجة ، فوجه اليه يوسف من هزمه وقتل أتباعه (٦) .

أما الثورة التي أقلقّت بال يوسف الفهري فهي الثورة التي قام بها القيسية لأنهم في الدرجة الاولى قومه ، ثم لأنهم وصلوا يدهم فيما بعد بيد أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين . ولما لم تثمر الدعوة العباسية في الأندلس التفت أعداء الصمّيل وأعداء يوسف الفهري حول عبد الرحمن بن معاوية وجاءوا به الى الأندلس .

-
- (١) البيان المغرب ١ : ٦١ .
(٢) وقيل اتى قوماً من الزناتين (ابن الاثيرق ٥ : ١٩٩ ، اسفل الصفحة) .
(٣) البيان المغرب ٢ : ٤١ .
(٤) البيان المغرب ٢ : ٣٨ .
(٥) في ابن الاثيرق ٥ : ١٥٣ ، في اخبار سنة ١٢٩ : « حمل رأسه الى يوسف الفهري » .
(٦) البيان المغرب ٢ : ٣٨ . في ابن الاثيرق ٥ : ١٥٢ ، في اخبار سنة ١٢٩ : « وخرج عليه عنزة المعروف بالذمي - قيل له ذلك لانه استعان بأهل الذمة - فوجه اليه يوسف عامر بن عمر (انظر الصفحة التالية) فلم يظفر به وعاد مقلولاً (مهزوما) ، فسار اليه يوسف بن عبد الرحمن الفهري فقاتله وقتله واستباح عسكره » .

في سنة ١٣٦هـ (١) ثار الحُباب بن رَواحة الزُهري ودعا لنفسه (٢) وحاصر الصميل بجهة سرقسطة نحو سبعة أشهر (٣) . وفي العام نفسه ثار تميم بن معبد - وهو أيضاً من بني زُهرة بن كلاب كالحُباب بن رَواحة - . ولكن هاتين الثورتين لم تفلقا بال يوسف النهري كثيراً ولا أثرتا في الصميل . غير أن الموقف تبدل في سنة ١٣٧هـ (٧٥٥م) حينما ثار فتى شريف من أهل قرطبة ومن رجال مضر اسمه عامر بن عمرو بن وهب العبْدَري (من بني عبد الدار بن قُصَيِّ) ودعا الى سِجِلِّ أبي جعفر المنصور (٤) فأجابه رجال من اليمن وناس من البربر وغيرهم (٥) . ثم سار عامر بن عمرو هذا الى سرقسطة وضم جهوده الى جهود تميم بن معبد (٦) وقاما كلاهما بدعوة بني العباس (٧) وشددا الحصار على الصميل .

الجهاد والحرب في جيليقية

لم تثبت أقدام العرب (٨) وراء الوادي الجوفي (نهر دويره) ، وفي جيليقية على الأخص ، ثبوتاً طويلاً أو راسخاً . ولا ريب عندنا في أن دفع العرب عن الأندلس بدأ من هنالك . فبعد بلاي الذي يسميه ابن خلدون (٩) « ابن نافلة » جاء ابنه فافلة (١٠) فملك سنتين من عام ٧٣٧ - ٧٣٩م (١١٩-١٢١هـ) لا

-
- (١) في البيان المغرب ٤١:٢ « في سنة ١٣٧هـ » .
 - (٢) في البيان المغرب ٤١:٢ ، ٤٢ ، « الحُباب » .
 - (٣) البيان المغرب ٣٧:٢ .
 - (٤) جاء المنصور الى الخلافة في ١٣ من ذي الحجة سنة ١٣٦ (٩ حزيران ٧٥٤) .
 - (٥) اخبار مجموعة ٦٤ .
 - (٦) في البيان المغرب ٤١:٢ أن عامر بن عمرو ضم جهوده الى جهود الحُباب بن رَواحة .
 - (٧) ابن الاثير ق ٤ : ١٨٧ .
 - (٨) راجع فوق ، ص ١٠٩-١١٠ .
 - (٩) ٤ : ١٧٩ . يذكر ابن خلدون أن ابن نافلة هذا ملك تسعة عشر عاماً وهلك سنة ١٢٣هـ (٧٥١م) . وبلاي قد ملك فيما زعموا تسعة عشر عاماً ولكنه توفي عندهم عام ٧٣٦م (١١٩هـ) .
 - (١٠) في ابن خلدون (٤ : ١٧٩) : قافلة مبدوءاً بالقاف .

نكاد نعرف عنهما شيئاً . ثم ولى الجلالقة على أنفسهم أذفونش بن بطرة ، الذي يعرف في الكتب الأجنبية باسم ألفونسو الاول الكاثوليكي والذي امتد حكمه فيما قالوا ثمانية عشر عاماً (٧٣٩-٧٥٧م = ١٢١-١٣٩ هـ) .

واختلفت الأقوال في ألفونسو الاول : ففي دائرة المعارف البريطانية أن ألفونسو الاول ومن جاءوا قبله ليسوا سوى أسماء، وأن ترجمة (١) ألفونسو الاول وتراجم الذين خلفوه الى ألفونسو الخامس مشكوك فيها كلها (٢) . وهناك من يصدق بوجود ألفونسو الاول هذا ثم يجعله زعيم غارات همه السلب والنهب ، ومنهم من أراد أن يجعل منه قائداً وطنياً ومؤسس مملكة (٣) . أما ابن خلدون فيرى أنه رأس ملوك الأسيان وأنه من الجلالقة . ثم يقول ابن خلدون : « ويزعم ابن حيان أنه من أعقاب القوط . وعندي أن ذلك ليس بصحيح ، فان أمة القوط قد دثرت وغبّرت وهلكت . وقل أن يترجسح أمر بعد إداره ، وإنما هو ملوك مستنجيد في أمة أخرى » (٤) .

في سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠م) ثار أهل جيلقية بالمسلمين الذين كانوا بنواحيهم وتردد يوسف الفهري الى جيلقية بالغزو ، ولكن أمر المسلمين كان يضعف في تلك الناحية: قُتل نفر من المسلمين هنالك في الغزوات وجلا جماعات نحو الجنوب وتنصر من كان ضعيف الدين عاجزاً عن أداء الخراج أو عن الثبات لقتال أو عن الضرب في الأرض مهاجراً . ولم تأت سنة ١٣٦ هـ (٧٥٣-٧٥٤م) حتى كان المسلمون قد قتلوا وراء الوادي الجوفي وضعف شأنهم (٥) .

عزم عبد الرحمن بن معاوية على الهجاء الى الاندلس

في عام ١٣٧ هـ (٧٥٥م) كان عبد الرحمن بن معاوية لا يزال في سيرة ومعه

(١) الترجمة : تاريخ الاشخاص .

(2) Enc. Br. I 734 a.

(3) Cf. Lévi-Provençal I 68.

(٤) ابن خلدون ٤ : ١٩٩-١٨٠ راجع مقدمة ابن خلدون ٢٦٠-٢٦٣ .

(٥) راجع اخبار مجموعة ٦٢ .

خادمه بدر . أما خادم اخته ام الأصبع أبو الشجاع سالم ، فكان قد فارقه وعاد الى المشرق لوحشة وقعت بينهما . واشتد طلب عبد الرحمن بن حبيب على عبد الرحمن بن معاوية ، فكتب عبد الرحمن بن معاوية الى مواليه في الأندلس على يد خادمه بدر يشكو اليهم ما لقيه في المشرق على يد بني العباس وما يلقاه في افريقية على يد عبد الرحمن بن حبيب ، وطلب منهم أن يهيئوا له مكاناً لتزوله بينهم ليمتنع بهم من الاضطهاد . ولعل عبد الرحمن بن معاوية لم يكن قد أعلن رأيه في أمر الملك ، وإن كان قد أشار في كتابه الذي أرسله مع خادمه بدر إلى ذلك من طَرَفٍ خفي .

وفاوض هؤلاء أبا الحجاج يوسف بن بُحْت - وكان من رجالهم وأنجادهم ومن أهل جند قنسرين في مقاطعة جَيَّان - فاتفقوا كلهم على ألا يَبْتَوُوا في أمر حتى يشاوروا الصميل بن حاتم .

في هذه الاثناء كان الحصار قد اشتد على الصميل بن حاتم في سرقسطة « حتى ينس من الحياة وهم باللقاء بيده » (بالاستسلام) ، فاستنجد بيوسف الفهري فلم يجده يوسف كُرها له وحباً في أن يَهْلِكَ فيسريجَ منه ، ولكنه اعتذر اليه على كل حال محتجاً بأن الناس في شدة من المجاعة التي كانت آخذة بخناق البلاد وبأن ايس بحضرته جنود يرسلهم اليه (١) .

« فلما أبطأ على (الصميل) مدد يوسف واشتد الحصار كتب الى قومه من جند قنسرين (في جيان) و (جند) دمشق (في البيرة وغرناطة) يعظّم عليهم الخطب ويناشدهم الرّحيمَ » (٢) فاجتمعوا وساروا لنصرته (٣) ؛ وكان فيهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان مولى بني أمية ، وعبد الله بن خالد بن أبان بن أسلم مولى عثمان بن عفان وعبيد الله بن علي سيد بني كلاب بعد الصميل

(١) البيان المغرب ٢: ٢٧ ، ٤٢ ، أخبار مجموعه ٦٥ .

(٢) البيان المغرب ٢: ٤٢ .

(٣) البيان المغرب ٢: ٤٢-٤٣ ؛ راجع هناك تفاصيل إمداد القيسيين للصميل واسماء القبائل التي أمدته وعدد الرجال والفرسان الذين ساروا في ذلك المدد (انظر ايضاً أخبار مجموعة ٦٣-٦٦) .

— وكان هؤلاء يريدون نصرة الصميل من جهة ومفاوضته في شأن عبد الرحمن ابن معاوية من جهة ثانية — . وقد رأسوا على أنفسهم سليمان بن شهاب سيد بني كعب بن عامر من أهل جند دمشق ، استئلاً له ، كما استصحبوا بدرأ خادماً عبد الرحمن بن معاوية . فلما سمع عامر بن عمرو وتميم بن معبد بالمدد فكروا الحصار عن الصميل (١) .

موقف الصميل من عبد الرحمن بن معاوية

وأسرّ القوم الى الصميل بأمر عبد الرحمن بن معاوية ، ثم جمعوا بينه وبين بدر وأعطوه كتاباً مختوماً بخاتم عبد الرحمن — وكان عبد الرحمن قد أرسل اليهم خاتمه ليختموا به الكتب الى الذين يريدون دعوتهم الى نصرته — فقال لهم الصميل : « دعوني أروّي » . ولم يلبث الصميل أن وافق على نصرة عبد الرحمن واقترح أن يزوجه بنته أم موسى (أرملة قطن بن عبد الملك بن قطن) تمكيناً للصلة بينهما . غير أنه عاد فبدّل رأيه خوفاً من أن يخسر نفوذه أمام العصبية الأموية ، ولكنه كتم جميع الذي جرى بينه وبينهم (٢) .

عودة بدر الى عبد الرحمن بن معاوية

فلما يتس دعاة عبد الرحمن من الصميل ، وبالتالي من بني ربيعة ومضر ، مالوا الى مُداخلة اليمانية فوجدوا لديهم رغبة في نصرة عبد الرحمن بن معاوية لعلهم يتقنوا به على الثأر من خصومهم القيسية . وعاد بدر بهذه التفاصيل كلها وبخمسائة دينار الى عبد الرحمن ، في أول سنة ١٣٧هـ (تموز أو آب ٧٥٤) ، ومعه أحد عشر رجلاً من أهل الأندلس ليزكّوا بدرأ في ما يقوله أمام عبد الرحمن ، منهم ابو غالب تمام بن علقمة الثقفني ورجل يقال له شاکر (٣) .

(١) البيان المغرب ٢: ٤٣ ، أخبار مجموعة ٦٩ .

(٢) و (٣) البيان المغرب ٢: ٤١-٤٤ ، أخبار مجموعة ٩٦-٧٤ .

نجدة يوسف الفهري للصميل

كل هذا ويوسف الفهري لم يلد بعد شيئاً من أمر الدعوة الى عبد الرحمن بن معاوية في الأندلس . غير أنه كان قد أدرك سوء سياسته في موقفه من الصميل واستيقن أن لا غنى له عنه وخصوصاً بعد أن بدأت الأمور تضطرب عليه من كل صوب . ففي ذي القعدة من سنة ١٣٧ (أيار ٧٥٥) جمع يوسف جيشاً يريد أن يصير به الى نجدة الصميل . وفاوض يوسف الفهري أبا عثمان عبيد الله بن عثمان وعبد الله بن خالد - وهما من أنصار عبد الرحمن بن معاوية (١) - في إمداده بأنصارهم فاعتذروا له بأن معظم أنصارهم كانوا قد ساروا لنصرة الصميل وتقطعوا بالحرب وبالشتاء القارس ، ولكنهم سيسعون الى جمع ما يمكنهم من الجنود ويلحقونه بهم الى طليطلة (٢) .

وخرج يوسف الفهري من قرطبة الى جيان قاصداً سرقسطة . ويبدو أنه لما وصل الى طليطلة وجد الصميل آيماً منها ، بعد أن فك عنه الحصار فيها (٣) ، في هذه الاثناء (مطلع ١٣٨ هـ = صيف ٧٥٥ م) أرسل يوسف حملتين ، من طليطلة (*) الى جيلقية والبشكنس وكان اهلهما قد نقصوا الصلح (٤) . وفي تلك الاثناء أيضاً كان يوسف قد قاتل تميم بن معبد وعامر بن عمرو وظفر بهما وحملهما معه أسيرين (٥) . ثم ان يوسف قفل راجعاً الى قرطبة ومعه الصميل ،

دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس

في ربيع الاول (٦) من سنة ١٣٨ نزل عبد الرحمن بن معاوية بساحل

(١) راجع فوق ، ص ١٦٩-١٧٠ .

(٢) أخبار مجموعة ٧٠-٧١ .

(٣) راجع فوق ، ص ١٧٠ .

(٤) وقيل من سرقسطة .

(٥) البيان المغرب ٢ : ٤٤ ، اخبار مجموعة ٧٦-٧٧ .

(٦) البيان المغرب ٢ : ٣٨ .

(٦) في غرة ربيع الأول (البيان المغرب ٢ : ٤٤ ، الروض المطار ١٨٦) ، في ربيع الآخر

(اخبار مجموعة ٥٧) .

الْمُنْكَبِ (١) ، فجاءه عبد الله بن خالد وأبو عثمان عبيد الله بن عثمان فنقلاه الى طُرُش (٢) الى منزل أبي الحجاج يوسف بن بُحْت (٣) فأقبل اليه جماعة الأمويين ، وأتاه قوم من أهل اشبيلية فباعوه (٤) . ثم توالى مجيء الناس اليه من كل مكان وأُخِذَت له البَيْعَةُ في أهل الاجناد (وهم في الأصل شاميون) فاتسعت دعوته (٥) . وأراد خليفة يوسف الفهري على قرطبة أن يقاوم عبد الرحمن بن معاوية فانهزم (٦) .

في هذه الأثناء كان يوسف الفهري راجعاً من سرقسطة ومعه الصميل . وكان معه أيضاً عامر بن عمرو وابنه وهب والزُّهْرِي (٧) أسيرين . وفي الطريق أدركه الخبرُ بأن الغزوة التي وجهها الى جليقية بقيادة سليمان بن شهاب قد انهزمت وأن سليمان بن شهاب نفسه قد قُتِل . ويبدو أن يوسف والصميل لم يخزنا لمقتل ابن شهاب لأنه لم يكن واضح الولاء ليوسف الفهري . ثم أن الصميل أشار على يوسف الفهري بأن يضرب أعناق عامر والزهرري فقتلها .

ولم يلبث يوسف الفهري الا يسيراً حتى ورد عليه كتاب من قرطبة فيه أن عبد الرحمن بن معاوية قد نزل في الأندلس وأنه قد هَرَمَ جيش قرطبة . وشاع الخبر في جند يوسف فتفرقوا عنه . وأدرك الصميل عجز يوسف الفهري عن مناجزة عبد الرحمن بن معاوية فأشار عليه بالتلطف له والمكر به لأنه صغير السن حديث عهد بنعمة (٨) . فأرسل يوسف الى عبد الرحمن بن معاوية فهدأ

(١) البيان المغرب ٢ : ٤٤ ، ابن خلدون ٤ : ١٢١ ، نفع الطيب ق ١ : ١٥٤ ، (المنكب بين مالقة والمرية) .

(٢) البيان المغرب ٢ : ٤٤ . طرش (بضم الطاء وضم الراء المشددة) من كورة إلبيرة .

(٣) أخبار مجموعة ٧٥ - ٧٦ . وفي ص ٧٨ ، ٨٠ ، « نزل عند أبي عثمان » .

(٤) راجع قدوم الناس عليه في أخبار مجموعة ٧٦ ، ابن خلدون ٤ : ١٢١ ، نفع الطيب ق ١ : ١٥٤ .

(٥) البيان المغرب ٢ : ٤٤ ، أخبار مجموعة ٧٦ .

(٦) أخبار مجموعة ٧٧ - ٧٨ . لعل خليفته على قرطبة كان ابنه ابا الأسود محمداً .

(٧) تميم بن معبد في الاغلب .

(٨) البيان المغرب ٢ : ٤٥ ، أخبار مجموعة ٧٨ - ٧٩ ، نفع الطيب ق ١ : ١٥٤ ابن خلدون

٤ : ١٢١ ، في البيان المغرب « قريب عهد بزوال النعمة » .

يحمل اليه هدية ثمينة من مال ولباس وكتب اليه كتاباً هذا بعض ما جاء فيه (١) :
 « قد انتهى الينا نزولك بساحل المنكب وتابش وتابش من تابش (٢) اليك ونزع
 نحوك من السراق وأهل الحتر (٣) والغدر ونقض الأيمان فان كنت تريد
 المال وسعة الجنب إنا أولى لك من لجات اليه : أكنفك وأنزلك معي حيث
 تريد . ثم لك عهد الله وذمته ألا أغدر بك ولا أمكن منك ابن عمي صاحب
 افريقية (٤) ولا غيره » . وعرض عليه أن يزوجه ابنته . ثم خيره بين أن يتزل
 في جند دمشق (غرناطة وإلبيرة) أو في جند الأردن (في رية) أو أن يتزل
 بينهما ويكون له الحكم عليهما (٥) . فقبل عبد الرحمن بن معاوية الهدية ولم
 يقبل التزوج ولا الاستقرار في مكان معين .

د - الحرب بين عبد الرحمن ويوسف الفهري

ولما انكشف أمر الدعوة الى عبد الرحمن اضطر أهلها الى أن يشهروها ،
 ثم أقاموا مع عبد الرحمن ستة أشهر - من جمادى الثانية الى ذي القعدة من
 سنة ١٣٨ (كانون الاول من عام ٧٥٥ الى نيسان من عام ٧٥٦) - يبرمون
 له الأموال ويكاتبون له الناس . وكان عبد الرحمن يطوف الكور فيبايعه أهلها ؛
 ولما تم أمره وعزم على الحرب عبأ أنصاره ونزل بهم على مقربة من قرطبة جنوب
 نهر الوادي الكبير بقرية قُلببيرة من إقليم طشانة من كورة اشبيلية ، يوم الاثنين
 في السادس من ذي الحجة ، لأن يوسف الفهري كان - فيما يبدو - قد نزل
 منذ اليوم الاول من ذي الحجة ، عند المصاراة (٦) بمكان يدعى مدور صدق (٧)

-
- (١) البيان المغرب ٢: ٤٥-٤٦ .
 (٢) تابش (بفتح التاء والمهمزة وضم الباء المشددة) : اجتماع اخلاط من الناس .
 (٣) الغدر وأقيح الخديعة .
 (٤) يقصد عبد الرحمن بن حبيب المستبد يومذاك بحكم افريقية والمغرب .
 (٥) البيان المغرب ٢: ٤٦ ، اخبار مجمرة ٧٩-٨١ .
 (٦) في اخبار مجموعة (ص ٨٦) : المسارة .
 (٧) اخبار مجموعة ٨٥ . لعل مدور صدق هو حصن المدور ، على الضفة اليمنى (الشمالية) من
 النهر الكبير وعلى نحو ثلاثة وعشرين كيلومتراً غرب قرطبة .

وتبأ عبد الرحمن للقتال ثم تقدم نحو المصاراة ، وأقام الجيشان ثلاثة أيام متناظرين يتناوشان والنهرُ بينهما فائضٌ لا يستطيع أحدهما أن يقطعه الى خصمه وفي صباح الخميس ، يوم عَرَاقَةَ (٩ ذى الحجة = ١٣ أيار) أصبح النهر وقد انحسر مأوه فجازاه عبد الرحمن الى ضِفْتِهِ الشَّمَالِيَةِ (اليمنى) حيث كان جيش يوسف الفهري . وطاب يوسف الفهري الصلح فترك عبد الرحمن البت في ذلك لجيشه فأبى بنو أمية واليمانية الا الحرب . وفي اليوم التالي ، يوم عيد الأضحى ، نَشِبَ القتال (١) وكثُر القتلى في جيش يوسف الفهري قبل ان يرتفع النهار ، ثم انهزم يوسف الفهري نفسه في اتجاه مدينة ماردة ، وانهزم الصميل الى شوذَر (٢) :

وانطلق عبد الرحمن في أثر يوسف الفهري ، فخالفه يوسف الفهري الى قرطبة وأخذ منها أدله وماله ونجا الى إلبيرة (٣) . ولحق الصميل بيوسف الفهري.

البيعة لعبد الرحمن بن معاوية بالامارة

وفي يوم الأضحى نفسه (٤) استولى عبد الرحمن بن معاوية على قرطبة ودخل القصر وتمت له بيعة العامة بقرطبة (٥) بالامارة . في هذه الاثناء كان يوسف الفهري والصميل قد وصلا الى إلبيرة فتحصنا في غرناطة مع جماعة من القيسية . وعلم الأمير عبد الرحمن بذلك فجمع الأجناد وعبأ جيشاً ثم استخلف على قرطبة أبا عثمان عبيد الله بن عثمان وسار الى إلبيرة لقتالها . ووصل خبر الحملة الى يوسف الفهري فأمر ابنه أبا زيد عبد الرحمن بأن يسير لحصار قرطبة . فحاصر عبد الرحمن بن يوسف الفهري قرطبة ثم دخلها وأخذ

-
- (١) في ابن الأثير ق ٥ : ٢٠٠ ان القتال بدأ مساء الخميس يوم عرفة ، ٩ ذى الحجة .
(٢) شوذر قرية في كورة جيان (الروض الممطار ١١٧) .
(٣) ابن الاثير ق ٥ : ٢٠٠ - في البيان المغرب ٢ : ٤٧ * ثم انهزم الفهري واصحابه واستقبل القصر ، فاعترض له عبد الاعل بن عوسجة وحال بينه وبين دخوله وردده عنه ، فولى منهزماً الى سفح جبل قرطبة ... وتمادى يوسف الفهري في الفرار الى البيرة * .
(٤) الجمعة ، ١٠ ذى الحجة ١٣٨ = ١٣ ايار ٧٥٦ . (٥) البيان المغرب ٢ : ٤٧ .

أبا عثمان أسيراً وسار به مكبلاً حتى قدم به على أبيه يوسف بالبيرة (١) .
ولكن الأمير عبد الرحمن لم يُلْتَقِ بالآل إلى ذلك ، بل تابع مسيره « لم يُعْرَجْ على شيء حتى بلغ البيرة ، إلى قرية من فحوصها (٢) يقال لها أرملة (٣) فتراسلا ، ودعاه يوسف والصميل إلى أن يُسَلِّمَا له الأمر على أن يأمننا في أموالهما ومنازلهما وأن يأمن الناس كلهم وتهدأ أمور الرعية فأجابهما واصطلحا في ستة أربعين (٤) ، وكتب بينهما كتاب صلح . « وجرى الصلح بينهما على ما يلي :
(أ) يطلق كل واحد منهما من في يديه من الأسرى .

(ب) يسكن يوسف الفهري منزله بالمدينة (قرطبة) ويسكن الصميل داره بالرَبَضِ (النضاحية الجنوبية) .

(ج) يجعل يوسف الفهري ابنه عبد الرحمن ومحمداً رهينةً في يد الأمير عبد الرحمن على أن يحبسهما حبساً جميلاً معه في قصر قرطبة حتى تهدأ الأمور . فإذا صلحت (الأمور) ردهما .

ثم هدأت الأحوال ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير (عبد الرحمن) كأحد رجاله ، فأنزله الأمير على ماله وأطلق له عياله « . واستقرت الأمور على ذلك إلى حين (٥) .

الدعوة العباسية في افريقية

لما قامت دولة بني العباس نهض عبد الرحمن بن حبيب بدعوته ولبس السواد وبعث بطاعته إلى السفاح اكتساباً لوجاهة عند أهل الدولة الجديدة وتثبيتاً لمركزه عند أهل افريقية فأقره السفاح على افريقية (٦) . ثم جاء أبو جعفر المنصور إلى

(١) اخبار مجموعة ٩٢-٩٣ . (٢) الفحص : كل مكان صالح للسكنى .

(٣) أرملة بفتح الهمزة وكسر الميم اسم لقريتين كانتا قرب غرناطة .

(٤) أي سنة ١٤٠ هـ . كذا في اخبار مجموعة ص ٩٣ . والأصوب ما ذكره ابن عذاري (البيان

المغرب ٢ : ٤٨) من أن ذلك كان سنة ١٣٩ هـ = ٧٥٦ م .

(٥) البيان المغرب ٢ : ٤٧-٤٨ ، اخبار مجموعة ٩١-٩٤ ، ابن الأثير ق ٥ : ٢٠٠ .

(٦) البيان المغرب ١ : ٦٤ ، ابن خلدون ٤ : ١٩٠ .

الخلافة فكتب اليه عبد الرحمن بن حبيب فرد عليه المنصير يطالب منه مع الطاعة خراجاً (أموالاً) . فقطع عبد الرحمن الدعوة للعباسيين فأصبحت إفريقية والمغرب منذ ذلك الحين مستقلين عن الأندلس وعن المشرق (١) .

وغادر عبد الرحمن بن معاوية الأموي إفريقية الى الأندلس وظل عبد الرحمن بن حبيب يخشى الأمويين الذين كانوا لا يزالون عنده في إفريقية فقتل العاصي وموسى ابني الوليد بن يزيد ، فامتعضت ابنة عمهما – وكانت زوجة لإلياس بن حبيب – فأغرت زوجها بأخيه عبد الرحمن . وانضاف الى ذلك طمع الياس وعبد الوارث بمكان أخيهما عبد الرحمن فانتما به . ولم يرغب عن عبد الرحمن بن حبيب ما كان يُضمِّره أخواه فأراد أن يبعدهما عن القيروان ، فولّى الياس على مدينة تونس (مكان أخيه عمّران) . فلما أراد الياس أن يغادر القيروان الى تونس كان عبد الرحمن مريضاً فتظاهر بالدخول عليه لتوديعه وقتلّه ، في آخر سنة ١٣٧هـ (حزيران ٧٥٤) ، ثم استبد بحكم إفريقية والمغرب مكانه (٢) .

لما قُتِلَ عبد الرحمن بن حبيب جمع أبْنُه حبيبٌ وأخوه عمّران (وكانا معاً في تونس) أنصارهما وسارا الى القيروان لقتال الياس ، في مطلع سنة ١٣٨هـ (تموز ٧٥٤) ، ولكنهما اصطلحا على ما يلي :

(أ) يتولى عمران بن حبيب تونس وصفطورة والجزيرة ، أي الشمال الشرقي من القطر التونسي .

(ب) يتولى حبيب بن عبد الرحمن قفصة وقسطيلية ونفزاوة من بلاد الجريد ، أي جنوبي القطر التونسي .

(ج) يتولى الياس سائر إفريقية والمغرب كله .

مقتل الياس بن حبيب

غير أن الياس كان قد أضمر الشر لأخيه عمّران ولابن أخيه حبيب بن عبد

(١) البيان المغرب ١ : ٦٧ ، ابن خلدون ٤ : ١٩٠ .

(٢) البيان المغرب ١ : ٦٧-٦٨ ، ابن خلدون ٤ : ١٩٠ ، الاستقصا ١ : ١٠٧ .

الرحمن فنظاھر بالخروج لنشيعھما (كما كان قد تظاھر من قبل بالدخول على أخيه عبد الرحمن لتوديعه ثم قتله) . وفي أثناء الطريق وثب عليهما واعتقلهما ، ووجّه محمد بن المغيرة واليّا على تونس . ثم أن إلياس عاد الى القيروان وبعث بطاعته الى أبي جعفر المنصور (١) .

فاجتمع أنصار عبد الرحمن بن حبيب وطرقوا سليمان بن زياد عامل الياس على طبرقة (جاءوا اذيه ليلاً) فأسروه ثم أنقذوا حبيباً من سجنه وساروا به الى البر (٢) . فخرج عندئذ الياس في طلب ابن أخيه حبيب ، فخالفه حبيب الى القيروان ليستولي عليها . فعاد الياس مسرعاً الى القيروان وقاتل ابن أخيه حبيباً ولكنه سقط قتيلاً بيد حبيب نفسه ، في آخر سنة ١٣٨هـ (٣) ، في أيار من عام ٧٥٥ .

سيادة الإباضية ومقتل حبيب بن عبد الرحمن

بعد مقتل إلياس بن حبيب هرب أخوه عبد الوارث ومن كان معه من أنصار الياس الى بطن من البربر يقال لهم ورفجومة من نقرزة . فكتب حبيب بن عبد الرحمن الى عاصم بن جميل أمير ورفجومة - وكان كاهناً ويدعي النبوة - يأمره بتوجيه عبد الوارث ومن معه فلم يقبل . فخرج حبيب الى قتاله فانهزم . واستفحل أمر عاصم وشايه جماعة من نفاوة منهم عبد الملك بن أبي الجعد الورفجومي ويزيد بن سكوم الوطاسي - وكانا على رأي الإباضية - وقاموا كلهم ، في أول الأمر ، بالدعوة العباسية وأظهروا الطاعة لأبي جعفر المنصور ، بينما كان حبيب بن عبد الرحمن مخالفاً للعباسيين .

ثم زحف عاصم بن جميل وأخوه مكرم ومن كان معهم من بني ورفجومة على القيروان فدخلوها وهرب منها حبيب الى جبل أوراس . فاستخلف عاصم على القيروان عبد الملك بن أبي الجعد اليفرني وسار الى قتال حبيب ، ولكن

(١) البيان المغرب ١ : ٦٨ ، ابن خلدون ٤ : ١٩١ .

(٢) داخل البلاد .

(٣) البيان المغرب ١ : ٦٩ ، ابن خلدون ٤ : ١٩١ .

حبيباً هزم عاصماً وقتله ثم أقبل الى القيروان يريد أن يسردها ، فخرج اليه عبد الملك بن أبي الجعد وقتله وقتله في المحرم من سنة ١٤٠ (١) للهجرة ، في حزيران من عام ٧٥٧ .

واستطالت دعوة الخوارج الاباضية في افريقية والمغرب حتى استطاعوا ، في نحو الزمن الذي نقص هنا أخباره ، أن ينشئوا لهم دولة في تاهرت (أو تيهرت) هي الدولة الرسمية .

(١) البيان المغرب ١: ٧٠ ، راجع ابن خلدون ٤: ١٩١، ٦: ١١١-١١٢، الاستقصا: ١٠٩.

الحياة في عصر الولاة

لما نزل العرب في الأندلس وجدوا فيها القوط والروم والايبريين واليهود ، أما القوط فكانوا الطبقة الحاكمة ، منهم الملوك والنبلاء وأصحاب الأراضي . وكان القوط نصارى على المذهب الكاثوليكي ، ويبدو أنه كان فيهم بقايا على المذهب الاريوسي . كما أنه كان هنالك بقايا من الفاندال والسوايين ، وهم جرمان كالقوط ، على المذهبين الكاثوليكي والاريوسي أيضاً . وهؤلاء كلهم كانوا أهل مدن يتزلون القواعد المهمة كطليطلة واشبيلية وماردة وقرطبة . وكان الروم (البيزنطيون) بقايا من أيام السيطرة الرومية على الشواطئ الشرقية والجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة ، وكانوا يتزلون المدن أيضاً .

أما الكثرة المطلقة من أهل البلاد فكان سكانها « الأسبان » الذين كانوا بلا ريب مزيجاً من موجات بشرية متلاحقة يغلب عليها العنصر الكلتّي ويطلق عليهم هنا أسم « الإيبريين » ، نسبةً الى نهر أبره الذي عُرِفَتْ شبه الجزيرة كلتها باسمه : إبارية أو ايبرية . وكان هؤلاء زراعاً في الاكثر وأهل مهن . وكذلك كانوا الطبقة التي استعبدتها الحاكمون والمتصلون بالطبقات الحاكمة .

وأما اليهود فكانوا طائفتين على ايبرية ، مثلهم في كل مكان ، ولم يكن لهم صلة جنسية أو دينية بسائر سكان ايبرية . وكانت الحياة الاقتصادية في أيديهم : يقدّمون القروض للطبقات الحاكمة ويبتزون المال من الطبقات المحكومة ، ثم كانوا يقرضون المال لجميع الناس بالربا ويتاجرون بالرقيق .

المسلمون في الأندلس

كانت جيوش الفتح في الأندلس تتألف من أقلية عربية ومن أكثرية بربرية وكانت كلها من المسلمين . وسرّعان ما اصطبغت ابييرية كلها بالاسلام واتخذت اللغة العربية لغة عامة لها . وحدث في الأندلس ما حدث في كل مكان نزل فيه العرب : لقد انتشرت الحضارة الاسلامية التي جاء بها العرب بين الذين اعتنقوا الاسلام وبين الذين آثروا أن يظلوا على أديان آبائهم .

طبقات السكان في الأندلس

كان سكان الأندلس في عصر الولاة طبقات متميزة ، ذلك لأن العرب حملوا معهم الى الأندلس عصبيةاتهم الجاهلية التي كان الأاسلام قد جاء ، فيما جاء به ، بالقضاء عليها . هذه الطبقات كانت مقسمة دينياً وجنسياً واجتماعياً كما يلي :

(١) المسلمون

وهم أهل الدولة الجديدة من الفاتحين المسلمين ومن الذين اعتنقوا الأاسلام ايماناً واحتساباً أو رياء وجراً لوجهة سياسية أو منفعة اقتصادية . وكان يطلق على هؤلاء كلهم اسم الأندلسيين أو أهل الأندلس .

(أ) العرب : وهم قسمان ، أو عصبيتان متخاصمتان : القيسية واليمينية . وكان العرب من حيث تاريخ نزولهم في الأندلس قسامين : البلديين أو أهل البلد أي القدماء الذين جاءوا في موجات الفتح الاولى مع طارق بن زياد وموسى بن نصير (١) . وكان منهم أيضاً الشاميون الذين جاءوا مع بلج بن بشر ، عرفوا بهذا الأسم لأنهم كانوا يسكنون قبل مجيئهم الى الأندلس في بلاد الشام كحمص ودمشق والأردن وفلسطين . وقد نزل العرب في الأندلس في الاكثر على الشواطئ الشرقية والشرقية الجنوبية ، وهي الشواطئ الدافئة التي تشبه في مناخها

(١) المفهوم من ذلك ان البربر ايضاً يشركون العرب في التسمية باسم « البلديين » (راجع فوق ،

البلاد التي جاءوا منها . على أن جماعات منهم نزلت في غربي الأندلس وفي شمالها. (١) وكان القيسية أقل عدداً من اليمنية ولكنهم كانوا أهل الوجاهة والحكم، وكانوا ينتصرون في كل نزاع يخوضونه مع خصومهم اليمنيين . وكذلك كان ثمة شيء من العداء بين البلديين وبين الشاميين . وكان الشاميون ، على كل حال ، أقل عدداً من البلديين .

ب) البربر لما عم الفتح العربي في المغرب دخل جميع أهله في الإسلام . وكان البربر فرعين كبيرين : البتُّرُ والبرانسُ ، وكان بين ذينك الفرعين من العصبية مثل ما كان بين القيسية واليمنية . غير أن البربر في الأندلس كانوا في أكثر الأحيان ينحازون إلى اليمنية ويقاتلون معهم القيسية ، ولم يكن يقاتل بعضهم بعضاً . ونزل البربر في المناطق الجبلية من الأندلس ، في الجوف (الوسط) والغرب لشبه تلك المناطق بالبلاد التي جاءوا منها في جبال الأطلس في الأكثر .

ج) المولدون . المولدون في المشرق هم الذين يولدون من أبوين مختلفي الجنس البشري، على أن يكون أحد الأبوين عربياً . أما في الأندلس فكان اسم « المولدون » يطلق على الأسبان الذين دخلوا في الإسلام . ويبدو أن المسلمين الذين دخلوا هم في الإسلام كانوا يدعون المسالمة أو المسالين . أما أولادهم الذين نشأوا على الإسلام فكانوا يدعون المواتدين . فالمولدون هم إذن – بهذا النظر – نسل المسالمة .

٢) النصارى

كان العرب يسمون الأسبان الذين كانوا يسكنون في المناطق التي لم تدخل قط في الحكم الإسلامي ، والتي كانت تخرج من الحكم الإسلامي مرة بعد مرة ، نصارى . وربما سموهم قوطا أو روما أو فرنجة ، لأن النصرانية كانت تعتمهم

(١) أخبار مجموعة ٣٨ ، البيان المغرب ١ : ٣٠ .

ولم يكونوا يقصدون أن يفرقوا بينهم جنسياً أو قومياً . وكذلك سموهم العَجَمَ لأنهم كانوا يُعجمون في الكلام (١) ، كما سموا من قبل أهل فارس عَجَمًا وعُجَمًا . وسموهم أيضاً العُلوج (٢) .

والبلاد التي كان يسكنها هؤلاء كانت دار حرب ، وكان المسلمون في حالة حرب دائمة معهم ، سواء أكانت الحرب واقعةً بينهم فعلاً أو مُطْلَبةً عليهم منهم فقط . وكانت المناطق التي كانت تفصل بين مساكن الفريقين تدعى الثُغور وتقسّم ثلاثة أقسام : الثغر الأعلى أو الأقصى أو الشمالي ، في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة ، ثم الثغر الجوفي أو الأوسط ، ثم الثغر الأدنى في الجنوب الغربي منها .

(أ) الذمّيون : وكان النصارى خاصة من الذين ارتضوا العيش في الأندلس داخلين في الحكم العربي يدعون ، كما كان يدعى أندادهم في المشرق ، الذمّيين أو أهل الذمة . وكذلك كانوا يدعون المعاهدين (أو المعاهدة) لمكان المعاهدات التي عقدها رؤسائهم في زمن الفتح (٣) . وكذلك كانوا يدعون أهل الكتاب .

(ج) فاذا كان النصارى الذين يعيشون في الأندلس (القسم العربي من شبه جزيرة إبارية) لا يعرفون اللغة العربية فهم عجم الأندلس ، وإذا كانوا في إفريقية فهم عجم أفريقية (٤) .

(ج) وأما إذا كان هؤلاء يعرفون اللغة العربية ويتكلمونها فهم المستعربون :

٣) اليهود

واليهود كانوا أيضاً أهل ذمة كالنصارى ، وقد رقيت منزلتهم بعد الفتح

(١) أعجم الرجل : مالت لفته الى العجمة (بضم العين) : كانت غير مفهومة .

(٢) الملعج (بكسر العين وسكون اللام) : الرجل من كفار المعجم .

(٣) راجع فوق ، ص ٩٠-٩١ .

(٤) البيان المغرب ١ : ٣٨ .

العربي للدعونة التي كانوا قد أسدَوْها للعرب في فتح الأندلس. ثم أن العرب لم يضطهدوا اليهود دينياً ولا كانوا يأخذون منهم أموالاً بغير حق كما كان يفعل القوط. وكان اليهود يعيشون في معظم المدن الأندلسية الكبيرة ، كعادتهم في كل مكان.

(٤) الكفار

وكان في الأندلس الى ذلك الحين جماعات من الكفار يعبدون الأصنام ولم يكونوا يتمتعون بشيء مما كان يتمتع به أهل الكتاب ، الذميون – من النصارى واليهود (١).

الحياة السياسية والادارية

كان عصر الولاة في الأندلس عصر فتح ثم عصر نزاع بين أهل العصبية المختلفة . من أجل ذلك لم ينشأ فيه حركات يمكن تأريخها . كانت الأندلس من الناحية الشرعية جزواً من الامبرطورية العربية الأموية ، ولكن بعد الأندلس عن دمشق وضعف الدولة الأموية الذي بدأ بعد فتح الأندلس بوقت قصير جداً ، جعل سلطة الأمويين على الأندلس سلطة اسمية في معظم الأحيان. كان الوالي على الأندلس يأتي أحياناً قليلة من دمشق رأساً . وكان في أحيان كثيرة يأتي من قبل والي افريقية الذي كان يعينه الخليفة من دمشق . وأحياناً كان أهل الأندلس يعينون على أنفسهم والياً من عند أنفسهم . وأحياناً أخرى كان الولاة ينصبون أنفسهم على الأندلس استبداداً .

ولم نعرف في عصر الولاة « حكومة » بالمعنى الحديث ولا بالمعنى الذي كان معروفاً في الدولة الأموية في ذلك الحين ، أو في أيام عمر بن الخطاب من قبل : تنظيماً للجيش وللمال ولسجلات الدولة على الأقل (٢) . لقد كانت

(١) راجع فوق ، ص ١٣٧ ، Los Mozàrabes 62 .

(٢) راجع الحوض الشرقي ٧٠-٧٢ ، ٨٧-٨٨ ، ١٠٤-١٠٥ ، ١٠٧-١٠٨ ، ١١١ -

١١٣ ، ثم ١٣١-١٤٤ .

« حكومة الأندلس في عصر الولاة » حكومة عسكرية استبدادية ، فكان الوالي هو الحاكم والقائد والقاضي . وكان الوالي يعين « عمالاً » على المدن المختلفة مسؤولين تجاهه وحده . أما إذا غادر العاصمة قرطبة لشأن من شؤونه فانه كان يعين « خليفة له فيها » . ثم ان هؤلاء العمال كانوا في الأكثر أقارب للوالي أو أصدقاء له أو من أهل عصبته .

ترك العرب للنصارى في الأندلس حرية سياسية واسعة : تركوا لهم القضاء فيما بينهم وشيئاً من الادارة المحلية المستقلة الخاصة بهم (١) . ولا ريب في أن حياة النصارى الدينية واستمرار الابرشيات والاسقفيات في قواعد الأندلس المهمة مع وجود لغة لهم لا يعرفها العرب ولا يعرفون مثلها قد سهّل لهم انشاء مثل هذه الحكومة (٢) .

وكان للنصارى منذ عصر الولاة قضاء خاص بهم يحكمون فيه بموجب القانون القوطي . وكان قاضيهم يسمى قاضي النصارى وقاضي العجم . وسرعان ما أخذت الدولة الاسلامية في الأندلس تشعر بوطأة هذا التنظيم الاداري للمسيحيين . وكذلك كان لليهود تنظيم قضائي واداري على غرار ما كان للنصارى (٣)

الحياة الدينية

قال المقرئ في فتح الطيب (٢ : ١٨٥) : « واعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح » . ولا ريب في أن هذا وهم من المقرئ ، ذلك لأن الأوزاعي ولد سنة ٨٨ هـ (٧٠٧م) ، قبل فتح الأندلس بأربع سنوات . والصواب أن يقال أن أهل الأندلس كانوا في عصر الولاة على مذهب السلف وأهل الحديث ، أي أنهم كانوا يقلدون

(1) Cf. Los Mozàrabes 93 .

(٢) كان الحاكم بأمر النصارى يدعى القومس Conde, Comes, Comitas

(3) Los Mozàrabes 59.

الصحابة من غير تقييد بمذهب فقهي مخصوص لأن المذاهب الفقهية لم تكن قد وجدت بعد .

وكانت القوى مستولية على النفوس في الأندلس وفي افريقية والمغرب بين المسلمين الاولين وبين الذين دخلوا في الاسلام من البربر والأسبان، وكان روح الجهاد متمكناً من القلوب (١). على أنه كان ثمت جماعات من الأسبان لم يدخلوا في الاسلام الا جراً لمنفعة . ثم ان نفراً من هؤلاء كانوا يسكنون في جيلقية فارتدوا عن الاسلام لما ألح عليهم الغزو النصراني من الشمال ولم يكونوا يستطيعون له دفعاً بغير ذلك (٢) . ولا نعلم فسقاً ظاهراً في عصر الولاة الا ما ذكر صاحب اخبار مجموعة من أن الصميل بن حاتم كان مدمناً للخمر لا يبصر عنها (٣) . وانتشر مذهب الخوارج من الاباضية والصفرية (٤) والازارقة (٥) في افريقية والمغرب ، ولكنه لم يتخط البحر الى الأندلس قط .

وكان لنصارى الأندلس تنظيم ديني يشرف عليه رجال الدين منهم : كان لهم ثلاث مطارنيات (أبرشيات) في طابطة واشبيلية وماردة ، كما كان لهم ثماني عشرة أسقفية . أما الأديرة فكانت كثيرة جداً ، كان منها حول قرطبة وحدها أكثر من خمسة عشر ديراً (٦) .

وبنى المسلمون المساجد في كل مكان نزلوا فيه . غير أنهم في بعض الأحيان كانوا يجعلون من الكنائس مساجد في الامكنة التي يدخل جميع أهلها في الاسلام ، أو كانوا يقسمون الكنائس بين الذين دخلوا في الاسلام وبين الذين اختاروا أن يبقوا على النصرانية من أهل البلد الواحد . ولقد هدم العرب عدداً من الكنائس

(١) راجع البيان المغرب ١ : ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ : ٢٧ .

(٢) راجع اخبار مجموعة ٦٢ .

(٣) اخبار مجموعة ٧١ .

(٤) البيان المغرب ١ : ٢٨ الخ .

(٥) البيان المغرب ١ : ٣٢ .

(٦) Los Mozarabes 58 .

التي كان أهلها يتخذون منها حصوناً يخربون من ورائها . على أن العرب كانوا يسمعون أحياناً ببناء كنائس جديدة .

الحياة الاجتماعية

كانت الحياة في افريقية والمغرب حضرية وبدوية . إلا أن الحياة البدوية في المغرب كانت تختلف عن الحياة البدوية في المشرق اختلافاً ظاهراً . ان البدو في المشرق أهل رحلة دائمة يربون الحيوانات التي تقدر على هذه الرحلة كالأبل والغنم (الضأن والمعزى) والخيول . أما في المغرب فالبدو هم أهل الريف : يرحلون عادة بين مكانين ويعملون في الفلاحة بالإضافة الى تربية الماشية (١) . أما في الأندلس فلم تكن الحياة البدوية معروفة ، وأن كان العرب في عصر الولاة قد سلكوا مسلكاً بدوياً في شكل الحكم وفي العصبية والثأر .

وكان النصارى واليهود يعيشون في أحياء خاصة بهم ، في المدن ، ولم يكن لهؤلاء زي خاص بهم يختلفون به عن سواهم (٢) كما كانت العادة في المشرق . وظل المولدون في الأندلس هم الفلاحين في الاكثر وأصحاب المهنة والحرف ، ولكنهم اكتسبوا مساواة بالمسلمين وارتفعت منزلتهم وعظم شأنهم لأنهم كانوا أكثرية المسلمين في الأندلس . على أن جماعات منهم لم تكن مخلصة في اسلامها .

وكثر اختلاط الانساب في الأندلس . وكان الغالب أن يتزوج العربي بربرية أو مولودة أو نصرانية أيضاً . ولم يكن من المؤلف أن تتزوج العربية مولداً، ذلك لأن عدد العرب ، وبالتالي عدد العريبات ، كان في الأندلس قليلاً جداً .

وكان المولدون يتخذون عادة أسماء عربية ويلتفنون لأنفسهم أنساباً شرقية . ثم أنهم سرعان ما اتخذوا اللغة العربية والعادات العربية والزري العربي تمييزاً

(١) مقدمة ابن خلدون ، راجع مثلا ٢١٢-٢١٤ .

(2) cf. Los Mozàrabes 65.

لأنفسهم من الذين لم يدخلوا في الاسلام (١) . وكان المستعربون يفعلون ذلك أحياناً .

الحياة الادبية والفكرية

لم يؤثر عن عصر الولاة أدب، مع الايقان بأن العرب في ذلك العصر، في افريقية والمغرب وفي الأندلس، كانوا في حاجة الى خطابة والى شعر يستعملونهما في حياتهما العصبية على الأقل . أما ما رَوَوْا عن طارق بن زياد من خطبة له بعد ما زعموا من احراق السفن (٢) ومن أبيات له (٣) فمنحول كله .

ولما ولي عبيدة بن عبد الرحمن افريقية والمغرب سنة ١١٢ هـ أخذ أصحابه بشر بن صنوان فأغرمهم وعذبهم ، وكان فيهم أبو الخطار (٤) فكتب أبو الخطار الى هشام بن عبد الملك من افريقية يشكو اليه ذلك ويشير الى العصبية (٥) : أفأتم ، بني مروان، قيساً دماءنا ، وفي الله - ان لم تنصفوا - حكم عدل . كأنكم لم تشهدوا مرج راهط (٦) ، ولم تعلموا من كان تم (٧) له الفضل ! ولما حوصر الصميل بن حاتم في سرقسطة بالأندلس وسار اليه قومه لنجدته قدّموا رسولاً من قبلهم وقالوا له : ادخل في جملة المحاصرين للسور . فاذا وصلت اليه فارم اليه هذه الحجارة . وبعثوا معه حجارة في كل واحد منها بيتان هما :

(١) ibid. 56.

(٢) راجع فوق ، ص ٨٣-٨٤ .

(٣) نفع الطيب ١ : ١٦٧ ، راجع مختارات من الشعر الأندلسي ، جمعها وحققتها الدكتور أ. ر. (عبدالرحمن) نيكل ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٤٩ ، ص ٩ .
ركبنا سفينا بالمجاز مقبّرا عسى أن يكون اللهنا قد اشترى ...

راجع ايضاً : Hispano - Arabic Poetry 17

(٤) راجع فوق ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٥) البيان المغرب ١ : ٥٠ (ثلاثة ابيات) . راجع اختلاف روايتها في الحاشية .

(٦) راجع الحوض الشرقي ، ص ٩٩ .

(٧) كذا في الاصل . لعلها : ستم .

الا ابشر بالسلامة ، يا جدار ، أتناك الغوث وانقطع الحصار :
أنتك بنات أعوج (١) ملجئات عليها الأكرمون وهم نزار.
ففي هذه الأبيات خصائص مشرقية تذكّرنا شعر شعراء النقائص في الدولة
الأموية في الشام .
أما في الناحية الفكرية والعقلية فلم يرو لنا شيء من عصر الولاة .

(١) أموج : فرس لبني هلال تنسب اليه الأعوجيات (الخيل الكريمة) - بنات أموج : خيل
من نسل أموج .

عدد من أسماء الاماكن الأندلسية والفرنجية

وما يقابلها في الاسبانية خاصة (١) ،

وقد روعي في اختيارها ورودها في هذا الكتاب (٢) :

Sevilla	اشبيلية	Ubeda	أبذة
Lago de la Janda	اقليم البحيرة	Ebro	ابره
Acua Bortora	أقوة برطورة	Narbona	أربونة
Alava	ألبه	Arjona	أرجونة
Elvira	إلبيرة	Ecija	أسجة ، استجة (٣)
Amaya	أمايا	Archidona	أرشذونة
Oviedo	أوبيط ، أوبيت	Aragon	أرغون
Orihuela	أوريولة	Arcos	أركش
Beja	باجة	Armilla	أرملة
Lago	البحيرة	Astorga	استرقة ، استورقة
Barbate	برباط	Lisboa, Lisbona	الاشبونة ، اشبونة

(١) هذه الأسماء مختارة من الكتب التالية :

Ajbar Machmua (Traduccion española por Emilio Lafuente y Alcántara) , Madrid 1867.

Contribucion a la Toponimia árabe de Espana, por Miguel Asin Palacios, II edicion, Madrid 1944.

La Péninsule Ibérique ... , Traduction annotée par E. Lévi-Provençal, Leiden 1938.

راجع الحلال السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية للامير شكيب ارسلان ، جزءان ، مصر ١٩٣٦ .

(٢) هذا الاسماء مضبوطة بالشكل في اماكنها .

(٣) وردت مرة واحدة بضم الهمزة والتاء (وهو خطأ) والصواب بكسرهما .

Santiago	شانت ياقب	Barcelona	برشاونة
Sidonia	شذونة	Burgos	برغش
Jerez	شريش	Badajoz	بطلبوس
Secunda	شقندة	Valencia	بلنسية
Jucar	شتر	Calzada de los Martires	بلاط الشهداء
Segura	شقورة	Pamplona	بنبلونة
Silbes	شلب	Bordeaux	بورديل
Saltés	شلطيش	Tago	تاجه
Sierra Nevada	شليبر	Todmir	تدمير
Santaver	شنتبرية	Tudela	تطيلة
Santarem	شترين	Gibraltar	جبل طارق
Santa Maria	شتمرية	Algeciras	الجزيرة الخضراء
Genil, Xenil	شنيل	La isla del Jucar	جزيرة شقر
Jodar	شوذر	Tarifa, Treducta Julia	جزيرة طريف
Sierra	الصخرة	Jaen	جيان
Tarçil	طوسيل	Galicia	جيليقية ، جليقية
Torrox	طرش	Denia	دانية
Tarazona	طرسونة	Duero	دويره (الوادي الجوفي)
Tortosa	طرطوشة	Ronda	ونده
Tarragona	طرّكونة	Rodano	رودنة
Tocina	طشانة	Rayya, Regio	رية
Talavera	طلبيرة	Sagrajas	الزلاقة
Talamanca	طلمنكة	Zaragoza	سرقسطة
Toledo	طلبيلة	Siracusa	سيرقوسه
Granada	غرناطة ، أغرناطة	Zamora	سمورة ، صمورة

Malaga	مالقة	Desfiladero de Tarik	فج طارق
Almeida	المائدة	Cadiz	قادس
Madrid	مجریط	Cartago	قرطاجنة افريقية
Almodovar, Almudafar	المدور	Carteia	قرطاجنة الجزيرة
Medinaceli	مدينة سالم	Cartagena	قرطاجنة الخلفاء
Medina Sidonia	مدينة شذونة	Cordova	قرطبة
Murcia	مرسية	Carmona	قرمونة
Almeria	المرية	Carcassone	قرقشونة
Angostura de Algeciras	مضيق الجزيرة	Cacella	قسطة دراج
Almun(i)écar	المنكب	Castilla	قشتاله
Minorca	منورقة	Coimbra	قلمرية
Moron	مورور	Calatayud	قلعة أيوب
Mallorca, majorca	ميورقة	Calatrava	قلعة رباح
Navarre	نبارة	Colomera	قلنبيرة
	النهر الكبير = الوادي الكبير	Calahorra	قلهرة
Guadiana	وادي انه	Coria	قورية ، كورية
Guadaira	وادي أبره	Lérida	لاردة
Gudarranqua	وادي البحر	Niebla	لبلة
Guadalajara	وادي الحجارة	Alicante	لقنت
Guadarrama	وادي الرمل	Lugo	لك
Guazalate	وادي سليط	Lyon	لودون
Guadalquivir	الوادي الكبير	Lorqui, Lorca	لورقة ، لورقي
Guadalete	وادي لكة ، بكة	Loja	لوشة
Huesca	وشقة	Léon	ليون
Evora	يابرة	Mérida	ماردة
Ibiza	يابسة		

مصادر ومراجع

- أخبار مجموعة (لمؤلف مجهول) ، نشره أميليو لافوانتي ألقانطرا ،
مدريد ١٨٦٧ .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تأليف أحمد السلاوى الناصري ،
الجزء الاول ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .
- تاريخ اسبانية الاسلامية أو كتاب أعمال الاعلام في من بويغ قبل الاحتلام
من ملوك الاسلام . تأليف لسان الدين بن الخطيب ، بيروت ١٩٥٦ .
- كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الاصفهاني ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب .
- البيان المُعَرَّب في أخبار الأندلس والمغرب ، تأليف أبي عبد الله محمد بن
عبداري المراكشي ، جزآن ، ليدن ١٩٤٨ - ١٩٥١ :
- تاج العروس من جواهر القاموس للمرئضى الزبيدي ، مصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧ .
- تاريخ افتتاح الأندلس ، تأليف ابي بكر محمد بن عمر بن القوطية ، مصر ..
- تاريخ الرسل والملوك ، تأليف محمد بن جرير الطبري ، ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١
- تاريخ العرب (مطول) ، تأليف الدكتور فيليب حنّتي ، بيروت ١٩٥٠ - ١٩٥٢ .
- تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس ، تأليف أبي الوليد عبد الله بن محمد
ابن الفرضي ، القاهرة ١٩٥٤ .
- تاريخ غزوات العرب ، تأليف الأمير شكيب ارسلان ، مصر ١٩٥٢ .
- تاريخ الكامل ، تأليف ابي الحسن علي... المعروف بابن الأثير ، ليدن ١٨٥١
- ١٨٧١ (١) :
- جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، تأليف ابي عبد الله محمد الحميدي ،
القاهرة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٢ م .
- كتاب جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي ،
القاهرة ١٩٤٣ .
- الحوض الشرقي = العرب والاسلام في الحوض الشرقي :

(١) هنالك اشارات مأخوذة من الجزء الخامس طبع مصر (المطبعة الكبرى ١٢٩٠ هـ) ميزت
بالحرف ق ، مثلا ابن الاثيرق ٥ : ١٠٠ .

- دولة الاسلام في الأندلس ، تأليف محمد عبد الله عنان ، العصر الاول ،
القاهرة ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تأليف أبي الحسن علي بن بسام ، ثلاثة
أجزاء : القاهرة ١٩٣٩هـ = ١٩٤٥م .
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ،
تأليف ابي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري ، القاهرة ١٩٣٧ .
- الروم وصلتهم بالعرب ، تأليف الدكتور أسد رسم ، جزآن ، بيروت
١٩٥٥ - ١٩٥٦ .
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، تأليف أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن
بشكوال ، القاهرة ١٩٥٠ .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ... تأليف عبد الرحمن بن خلدون ،
مصر ١٢٨٤هـ :
- العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، (الى
سقوط الدولة الاموية) ، تأليف الدكتور عمر فروخ ، بيروت ١٩٥٨ .
- فتوح البلدان لأبي العباس احمد بن يحيى البلاذري ، ليدن ١٨٦٦ .
- فتوح مصر وأخبارها ، تأليف ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد
الحكم ، ليدن ١٩٢٠ .
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تأليف محمد بن علي بن
طباطبا المعروف بابن الطقطقى ، مصر ١٣٤٠هـ .
- القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ،
الطبعة الثانية ، مصر ١٣٤٤هـ .
- معجم البلدان لياقوت الحموي ، ليزرغ ١٨٦٦-١٨٧١ .
- مختارات من الشعر الاندلسي ، تأليف أ.ر. نيكل ، بيروت ١٩٤٩ .
- المسلمون في صقلية ، للدكتور مارتينو ماريو مورينو ، بيروت ١٩٥٧ .
- المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، تأليف أحمد توفيق المدني ،
تونس والجزائر ١٣٦٥هـ :

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تأليف عبد الواحد المراكشي . مصر
١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م .
مقدمة ابن خلدون ، تأليف عبد الرحمن بن خلدون ، بيروت ١٩٥٦ .
نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف أحمد المقرئ ، ليدن ١٨٥٥
- ١٨٥٩ (١) .

Ajbar Machmua (Anonymous), traducida y anotada por Emilio Lafuente y Alcántara, Madrid 1867.
Contribucion a la toponimia árabe de Espana, por Miguel Asin Palacios, segunda edicion, Madrid 1944.
Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie, Paris(nouvelle édition) 1859 .
Cambridge Mediaeval History, Vol. II, Cambridge 1913.
Encyclopaedia Britannica, 11 th. ed., New York, 1911.
Encyclopaedia of Islam, Leiden & London 1913-34
Encyclopaedia of Islam (new edition).
Enciclopedia Italiana , 1919-1939.
Der Grosse Brockhaus, Wiesbaden 1953-55.
Hispano-Arabic Poetry and its relations with the Old Provençal Troubadours, Baltimore 1946.
Historia de Espana, por Ramon Menéndez Pidal (editor), tomo III (Espana Visigoda), Madrid 1940.
History of the Arabs, by Dr. Philip K. Hitti, Fourth ed., London 1949.
Invasions des Sarazins en France etc., par M. Reinaud, Paris 1836.
Larousse du XX e Siècle, Paris 1928-33.
Los Mozàrabes, por Isidor de la Gargigas, Madrid 1947-49.
Oxford Dictionary on Historical Principles, Oxford 1888-1933.
Vie et Mort de Byzance, par Louis Brehier, Paris 1947.

(١) هناك عدد من الاشارات الى الجزء الأول من طبعة القاهرة ميز باضافة الحرف ق .

فهرست أبجدي لاعلام الاشخاص

- أ
- أبا ، أبة ٣٨، ٨٥، ٨٦،
- ابن الأثير ٩٧، ١٣١، ١٦٢، ح :
ابن بشكوال ٧٣ :
ابن حيان ١٦٨
ابن الخطيب ١٢٣ .
ابن خلدون ٨، ٩، ٨٦، ح ١١٧، ١٢١
١٢٣، ١٣١، ح ١٤٨،
١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، م .
ابن الرومي ٢٤، ٢٤ ح :
ابن عبد الحكم ٥١، ٦٤، ٩٧، ١٣٠، ح
١٣١ ح :
ابن عبد المنعم ٢٣، ٩٧ .
ابن عذاري ١٦، ١٧، ٤٨، ٧٣، ١١٠
١٢٣، ١٣١، ح ١٤٩، ١٦٢، م ،
١٧٥ ح .
ابن عطف الأزدي ١٥٨ :
ابن القوطية ١٦٢ .
ابن نافلة = بلاي :
أبو الأسود = محمد بن يوسف الفهري
أبو تمام ٢٤ .
أبو جعفر المنصور ١٦٦، ١٦٧، ١٦٧، ح
١٧٥-١٧٦، ١٧٧، م .
أبو الحجاج = يوسف بن بخت .
أبو الحسن ١٥٠ ح .
أبو الخطار ١٢٢-١٢٣، ١٥١-١٥٦،
١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٨٧، م .
أبو ذؤيب ٥٧ .
أبو رشيد حسين بن عبد الله = حنش
الصنعاني .
أبوزيد = عبدالرحمن بن يوسف الفهري
أبو سالم شجاع ١٦٥، ١٦٩ .
أبو صالح ، صالح ٧٣، ٧٤ .
أبو عامر السلمي ٤٦ .
أبو العباس السفاح .
أبو عثمان عبيد الله بن عثمان ١٦٩،
١٧١، ١٧٢، ح ١٧٤-١٧٥ :
أبو لؤلؤة ٥٢ :

- ابو المهاجر دينار ٦٤-٦٥ .
 ابو يعقوب المنصور ح٩، ١٢ :
 اتاناخيلدو ، اتاناغيلد ٣٥م، ٣٦م .
 اتيللا ٣٥م .
 اخيكا ٣٧م .
 اخيلا ٣٥م، ٣٨م .
 اخيلون ، اخيلونا = ايله
 ادوفاكر ٣٠-٣١، ٣٣ .
 ادولف الجرمانى ٢٧-٢٨ .
 اذفونش بن بطرة = الفونسو الاول
 اريخيو = ارفيغ :
 ارسلان ، شكيب ١٢٣، ١٢٥ :
 ارطباس ، ارطباش ١٥٣م، ١٥٣ح .
 ارفيغيليو - ارفيغ ٣٧م .
 اركليش ٢٣ .
 اريوس ٢٦ :
 الاسكندر ٢١م :
 اسماعيل بن زياد النفوسى ١٥٨ .
 اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر ١١٢

ب - ث

- ١٣-
 اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب
 ١٣٦، ١٣٩ .
 الاشر بن مالك ٥٩م .
 اغسطينوس ٢٩ .
 اغيلون = ايله :
 باولو ٣٧ :
 بدر ١٦٥، ١٦٩-١٧١ :
 بشر بن صفوان ١١٩، ١٢١، ١٢٢م،
 ١٢٣ .
 البكري ٦٤ .
 بلج بن بشر ١٤٢-١٤٥

٣٠، ٢٨ .

ثيودوسيوس الكبير (الرومي) ٢٧ م .

ج-ح-خ

جرجير (جورجيوس) ٥٢، ٥٤-٥٨ .

الحارث بن أسد ١٥٠-١٥١ .

الحارث بن تليد ١٥٨ م .

الحارث (جد عبيد الله بن الحبحاب)

١٣٧ ح :

الحارث بن الحكم ٥٧ .

الحباب بن رواحة ١٦٧ .

حبان بن أبي جيلة ١١٢-١١٣ .

حبيب بن أبي عبدة ٩٣، ١٠٠، ١٠٣،

١٠٥، ١٣٨-١٤٠، ١٤٢ .

حبيب بن عبد الرحمن ١٧٦-١٧٧ .

حتي ، فيليب ١٣٣، ١٣٣ ح .

الحجاج بن يوسف ٧٤، ١١٦-١١٧،

١١٨، ١٣٨ .

الحجاج السلولي ١٣٧ .

حذيفة بن الاحوص ١٢٣-١٢٤ .

الحر بن عبد الرحمن ٩٩ ح، ١٠٧-١٠٧

١١٠، ١٣٣، ١٣٣ ح .

الحسام بن ضرار = ابو الخطار .

حسان بن النعمان ٦٩-٧٣، ٧٤،

حسين بن أبي عبد الله (خطأ) = حبيب

بن أبي عبدة

١٤٦-١٤٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٨٠،

البلاذري ٧٣ .

بلاي ١٠٨-١١٠، ١٦٧ .

بليساريوس ٣٢ .

بولس الثاني (بطيريك) ٥٦ .

بونيقيانيوس (بطريق) ٢٨ .

بيبين ١١٤-١١٥ :

بيروس (٥٤ ح) = فوروس .

تشي هوانغ تي ٢١ م .

تمام بن علقمة ١٧٠ .

تميم بن معبد ١٦٧ م، ١٧٠، ١٧١،

١٧٢ م ح .

تدمير ، تيودمير بن عبدوس (عبدوش)

٩٠-٩١، ١٥٣ ح .

ثابت الصنهاجي ١٥٨ .

ثعلبة بن سلامة ١٤١ ح، ١٤٢، ١٤٩-

١٥٢ .

ثوابة بن سلامة ١٥٦ م، ١٥٩-١٦٠،

١٦٢ م :

ثيودورا زوجة يوستينيانوس ٣٢ .

ثيودورا بنت سابريانو ٣٦ م :

ثيودوسيوس الاول (بابا) ٥٥ م .

ثيودوسيوس الاول (القوط الشرقيون)

٣١، ٣٣ :

ثيودوسيوس الاكبر (القوط الغربيون)

- حسين بن عبد الله = حنش الصنعاني .
حسين بن علي ١٥٤ .
الحقير = ميسرة المضغري :
حنش الصنعاني ٦٠-٦١، ٦٤، ٦٨،
٨٩م، ٩٨ .
حنظلة بن صفوان ١١٩، ١٢١، ح ١٤٥،
١٤٦، ١٥١، ١٥٧ :
خالد بن (أبي) حبيب ١١٩، ح ١٤٠م .
خالد بن حميد الزناتي ١٤٠، ١٤٣ .
خالد بن الوليد ٨٦ :
الحقير = ميسرة المضغري .
خوليان = يوليان .
- ذ-و-ز**
- دميا ، دهيا = الكاهنة :
راح (ام عبد الرحمن بن معاوية) ١٦٦ .
الرازي ٤٦
رسم ، أسد ٥٤ ح :
روذريق = لذريق :
الروم بن عيصو ٢٤ :
رومولوس أغوستولوس ٣٠ .
رويفع بن ثابت ٦٠ ح :
ريسفنت ٣٧ :
ريكاردو ٣٦ .
رينو ١٢٩ .
زرعة بن أبي مدرك ٧٥ .
- زياد بن الأصغر ١٣٩ ح :
زياد بن عنزة ١٠٥ .
زياد بن عمرو اللخمي ١٤٣-١٤٤،
١٤٧ .
زياد بن النابغة ١٠٤، ١٠٥ .
زيغبرت ٣٦ .
زينون (الرومي) ٣٠-٣١ .
س-ش-ص-ط
السلوي الناصري ١٢٣ .
سليمان بن أبي الجعد ١٨٧-١٨٨ .
سليمان بن أبي المهاجر ١٤٣ .
سليمان بن زياد ١٧٧ .
سليمان بن شهاب ١٧٠، ١٧٢م .
سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ١٦٥ .
سليمان بن عبد الملك ١٠١م، ١٠٤-
١٠٦، ١٠٧، ١١٢م، ١١٧ .
السمح بن مالك ١١٠، ١١٢-١١٧،
١٢٨ .
سندريد ٩١ .
سوثنلا ٣٧م .
سيسيبوت ٧٧ .
سيسيناندو ٧٧ .
شارل مارتل = قارله .
شاكر ١٧٠ .
شبشرت بن غيطشة ٥٨، ٨٦ .
شمر بن ذي الجوشن ١٥٤ .

- شيلديريك ٣٣ .
عبد الله بن موسى بن نصير ٧٤، ٩٢،
صالح ، أبو صالح ٧٣، ٧٤ .
صبيح مولى العاصي بن أمية ٧٣ .
صفرونيوس ٥٤ .
الصميل بن حاتم ١٠٢، ١٥٤-١٥٦،
عبد الله بن يزيد ١٠٦ ح :
عبد الجبار بن قيس المرادي ١٥٨ م .
عبد الدار بن قصي ١٦٧ .
عبد الرحمن بن أبي بكر ٥٧ .
عبد الرحمن بن حبيب ٣٨، ١٤٣،
١٥٢، ١٥٧-١٦١، ١٦٦، ١٧٣،
١٧٧، ١٧٧ ح :
عبد الرحمن بن عوف ١٦٢ م .
عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ١١،
١٠٢ م، ١٦٥-١٦٦، ١٦٨-١٧٥،
عبد الرحمن بن علقمة ١١٠ م، ١٤٨،
١٤٩ .
عبد الرحمن بن كثير ١٦٠ .
عبد الرحمن بن نافع ١١٢ .
عبد الرحمن بن نعيم ١٥٩ .
عبد الرحمن الغافقي ١١٦-١١٧،
١٢٦-١٣٤، ١٣٥ ح م .
عبد الرحمن بن يوسف الفهري ١٧٤-
١٧٥ .
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ١١٧ .
عبد العزيز بن مروان ٧٢، ٧٣ م، ٧٤ م .
عبد العزيز بن موسى بن نصير ٩٠-
١١٨ .
- ع - غ
عاصم بن جميل ١٧٧-١٧٨ .
العاصي بن الوليد ١٦٥، ١٧٦ .
عامر بن عمرو ١٦٦ ح، ١٦٧، ١٧٠،
١٧١، ١٧٢ م .
عبد الأعلى بن جريج ١٣٩ .
عبد الله بن اباض ١٣٩ ح .
عبد الله بن أبي سرح ٥٠-٥١، ٥٧-٥٩،
عبد الله بن خالد بن أبان ١٦٩، ١٧١ .
عبد الله بن الزبير ٥٧ م، ٦٠، ٦١، ٦٨،
٦٩، ٧٠، ٧١-٧٢ .
عبد الله بن عمر ٥٧، ٥٩، ٦٠، ١١٧ .
عبد الله بن قيس ٦١ .
عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة ١١٨ .

- ١٠٠، ١٦١ :
 عكاشة بن ايوب ١٤٥-١٤٦ .
 علي بن أبي طالب ٥٩، ٦٠، ١٤٠ .
 علي بن رباح ٩٨، ٩٩ .
 علي بن الحصين ١٥٠-١٥١ .
 عمران بن حبيب ١٧٦ م :
 عمر بن الخطاب ٥٠، ٥٢، ٥٤، ١٦٢ ،
 : ١٨٢
 عمر بن عبدالله المرادي ١٣٦، ١٣٨ .
 عمر بن علي القرشي ٦٧ .
 عمر بن ثوبة بن سلامة ١٦٠، ١٦٢ م .
 عمرو بن العاص ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٧ م .
 ٥٩-٦٠، ٦٣، ٦٤ .
 عنبسة بن سحيم ١١٧، ١١٨، ١٢٠ ،
 . ١٢٨
 عياش بن اخيل ٧٥ م .
 عياض بن عياض ١١٧ .
 عيسى ٢٦، ٥٣، ٧٧ .
 غانسيريك ، غايسيريك ٢٨-٣٠، ٣١
 غلمار = غيلمير
 غودسفتنا = غوثسبتنا .
 غونداريك ٢٨ م .
 غوثسبتنا ٣٦ م .
 غيون - أدورد ١٣٢ م .
 غيطشة ٣٧-٣٨، ٧٨، ٨٥ ،
- ١٠٠، ٩١ م، ١٠٢، ١٠٣-١٠٦
 ١٠٧ ح، ١٠٨ م، ١٥٣ ح .
 عبد الملك بن قطن ١٣٤-١٣٦، ١٤٠-
 ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩-١٥٠ :
 عبد الملك بن مروان ٣٧، ٦٠-٦١
 ٦٨، ٦٩-٧٤، ٨٨ :
 عبد الواحد بن يزيد ١٤٦ م :
 عبد الوارث بن حبيب ١٧٦، ١٧٧ م .
 عبدة (عبيدة) بن عقبه بن نافع ٩٣ ح .
 عبيد الله بن الحبحاب ١٣٥-١٤٠ .
 عبيد الله بن زياد ١٠٦ ح .
 عبيد الله بن علي ١٦٩ .
 عبيدة بن عبد الله السلمي ١٢٢-١٢٣ ،
 ١٢٥ م، ١٢٦، ١٣٥ .
 عثمان بن ابي نسة ١٢٣-١٢٥، ١٢٧
 -١٢٨ .
 عثمان بن عفان ٥٠ م، ٥٧، ٥٨، ٥٩ ،
 ٦٣، ٦٤، ٦٩ .
 عدى بن زيد ٢٤ .
 عذرة بن عبد الله ١٢٠-١٢١ .
 عذرة الذمي ١٦٦ ح .
 عروة بن الوليد الصفري ١٥٨ :
 عقبه بن الحجاج ١٣٦-١٣٧، ١٤١ .
 عقبه بن رواحة ١٣٥ .
 عقبه بن نافع ٥٨، ٦٢-٦٨، ٦٩، ٧٤ ،

- غليمير ، غليمير ٣٢م :
 قيس بن سعد ٥٩م :
 الكاهنة ٧٠-٧٢ :
 كسيلة ٦٤-٦٩، ٧٠ :
 كلثوم بن عياض ١٤١-١٤٣، ١٤٨،
 : ١٥٠
 كلوتيلد = قلوطلد :
 كلودية ، كلوديفيك ، كلوفيس ٣٣م .
 كوندي ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥ .

ل-م-ن

- لافوانتي ألقانظرا ١٠٢ح، ١١٩ .
 لامباجية = نوميرانسة :
 لاونديوس ٧٢ :
 لذريق ٣٨م، ٧٨-٧٩، ٨٥، ٨٧، ٩٤ .
 لويفا ، ليوفا ٣٥-٣٦ .
 ليوفيجيلد ٣٣، ٣٦-٣٧ .
 مانويل (بطريق) ٥٠ .
 محمد رسول الله ٢٠، ٢١، ٣٧، ٥٩،
 ٨٣، ٩٠م .
 محمد بن ابي بكر ٥٩-٦٠، ٦٤ .
 محمد بن أوس ١١٨ :
 محمد بن عبدالله الأشجعي ١٢٣، ١٢٦م
 محمد بن المغيرة ١٧٧ .
 محمد بن يزيد ١٠٥، ١٠٦ح، ١٠٧،
 . ١١١، ١١٩ .
 محمد بن يوسف الفهري ١٧٢ح، ١٧٥ .
 فافلة بن بلاي ١٦٧-١٦٨ .
 فاليا ٢٨ .
 فامبا ٣٧ .
 فرتون بن قسي ٩٨م .
 الفقير = ميسرة المضغري :
 فلوراندة بنت يوليان ٧٨-٨٠ :
 فوروس ٥٤، ٥٥ :
 فيتيزا = غيطشة .
 الفيروزابادي ٢٤ .
 قارله ١١٤-١١٥، ١٢٩، ١٣٤ :
 قاسم بن فلان ابو عطاء بن حمد ١٦٣-
 : ١٦٤
 القاسم بن الحجاب ١٣٦ .
 قافلة (خطأ) = فافلة .
 قسطنطين الاول (بابا) ٨١ .
 قسطنطين الثاني (الرومي) ٥٤م .
 قسطنطين الثالث (الرومي) ٥٠، ٥٤-
 ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٩ .
 قسطنطين الرابع (الرومي) ٦٩ .
 قطن بن عبد الملك بن قطن ١٤٨-
 : ١٤٩، ١٧٠ .
 قلوطلد ٣٣ .
 قيس بن زهير البلوي ٦٥، ٦٧-٦٨ .

- مرتينوس (بابا) ٥٥-٥٦ .
مرتينه ٥٤م، ٥٥ .
مروان بن الحكم ٥٧م، ٦٨ .
مروان بن محمد ١٥٧، ١٥٧ح، ١٦٥ .
١٧٦ .
مروان بن موسى بن نصير ٧٤، ١٠٠ .
مريم بنت عمران ٥٣ .
المستنير بن الحبحاب ١٢٢م، ١٣٦ .
مسلم بن عقبه ١٤٨ح .
مسلمة بن مخلد ٦٣، ٦٣، ٦٥ .
المسيح = عيسى .
معاوية ٥٩-٦٠، ٦٢، ٦٣-٦٤، ٦٥ .
٧٣ .
معاوية بن حديج ٥١، ٥٩-٦٠، ٦١ .
٦٣ .
معاوية بن يزيد ٦٨ .
مغيث الرومي ٨٨-٨٩، ٩٨، ٩٩، ١٠٠ .
المغيرة بن ابي بردة ١١٨ .
المقري ٤٦م، ٩٤ح، ١٠٠ح، ١٣١ح .
١٨٤، ١٥١ح .
مكرم بن جميل ١٧٧ .
المنصور = أبو جعفر المنصور .
المنصور الموحدى = ابو يعقوب المنصور .
مكسيموس المعترف ٥٤م، ٥٥، ٥٦ .
موسى ٢٣ .
- موسى بن نصير ٣٨، ٦٠ح، ٧٣-٧٦ ،
٨١-١٠٣، ١٠٥-١٠٦، ١٠٧،
١٠٨، ١١٩، ١٤٦، ١٨٠ .
موسى بن الوليد ١٦٥ :
مونوزا، مونوسا = عثمان بن ابي نسعة .
ميروفيك ، ميروفه ٣٤، ٣٥، ١١٤ح .
ميسرة المضغري ١٣٩-١٤٠ :
مينين = نوميرانسه .
نسطور ٥٣م :
نصر ، نصير (والد موسى بن نصير)
٧٣ :
نغاش بن قرط ١٢٢ :
نقفور (بطريق) ٦١م .
نوميرانسه ١٢٧ .
نيكل (عبد الرحمن) ١٨٧ ح .
- هـ-و-ي**
- هرقل (الرومي) ٥٣-٥٤ .
هرقلون (بن هرقل) ٥٤، ٥٥ .
هرقليس = اركليش .
هاينريك (القاندالي) ٣٠ .
هرمانينغيلد ٣٦م .
الهيثم بن عبيد ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥-١٢٦ .
هيلديريك ٣١-٣٢ .
هشام بن عبد الملك ١١٩، ١٢١، ١٢١ح،
١٢٢، ١٣٥م، ١٤١م ح، ١٤٥،
١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١ .

- ١٥٤ .
والنس ٢٧ .
والنتيان الثالث ٢٩م، ٣٠ .
وخشندش (٣٨ح) = غيطشة .
الوليد بن عبد الملك ٣٧، ٧٣، ٩٨م،
٩٩-١٠٠، ١٠١م، ١١٧ .
الوليد بن يزيد ١٥١ .
وهب بن عامر بن عمرو ١٧٢ .
ويتيزا = غيطشة .
ياقوت الرومي الحموي ١٦م، ١٧، ٧٣ .
يحيى بن حريث ١٠٦، ١٦٢-١٦٣ .
يحيى بن سلمة ١٢١-١٢٢، ١٢٤ .
يزيد بن أبي مسلم ١١٦-١١٩ .
يزيد بن سكوم الوهاصي ١٧٧ :
يزيد بن عبد الملك ١١٧، ١١٩م .
- يزيد بن مسلم ١٢٢ .
يزيد بن معاوية ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ م ح ،
١٤٨ ح :
يزيد بن الوليد ١٥٢ ح .
يعقوب البرادعي ٥٣ :
يليان = يوليان .
يوستينانوس الاول ٣٢م، ٣٥، ٧٩م :
يوستينانوس الثاني ٧١-٧٢، ٨١-٨٢ :
يوسف ابو يعقوب المنصور = ابو
يعقوب المنصور .
يوسف بن بخت ١٦٩، ١٧٢ .
يوسف بن تاشفين ١٢ .
يوسف بن عبد الرحمن الفهري ١٠٢ :
١٦١-١٧٥ .
يوليان ٣٨، ٦٦-٧٦، ٧٤م، ٧٨-٨٤ ،
٨٥، ٨٦، ٨٨م .

نخبة من دراسات وكتب

للدكتور عمر فروخ

عضوالمجمع العلمي بدمشق

عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الثمن بالقرش اللبناني

دراسات قصيرة

٤٠	(الطبعة الثانية)	١ - الحجاج بن يوسف
٧٥	(الطبعة الثانية)	٢ - عمر ابن ابي ربيعة
٤٠	(الطبعة الثانية)	٣ - عبد الله بن المقفع
١٠٠	(الطبعة الثانية)	٤ - الرسائل والمقامات
٥٠	(الطبعة الثانية)	٥ - ابن الرومي
٦٠	(الطبعة الثانية)	٦ - احمد شوقي
٥٠	(الطبعة الثانية)	٧ - ابن خلدون
٧٥	(الطبعة الثانية)	٨ - اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية
١٢٥	(الطبعة الثانية)	٩ - شعراء البلاط الأموي
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١٠ - الفارابيان : الفارابي وابن سينا
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١١ - اربعة ادباء معاصرون
١٥٠	(الطبعة الثانية)	١٢ - خمسة شعراء جاهليون
١٢٥	(الطبعة الثانية)	١٣ - بشار بن برد
٥٠	(الطبعة الثانية)	١٤ - نهج البلاغة

١٥٠	(الطبعة الثانية)	١٥ - اخوان الصفا
١٠٠	(الطبعة الثانية)	١٦ - ابن باجه
١٢٥		١٧ - ابن طفيل
٢٠٠		١٨ - التصوف في الاسلام
١٥٠		١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب
١٠٠		٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية
١٥٠		٢١ - ابو فراس

دراسات أخرى

١٥٠	(الطبعة الثالثة)	ابو نواس : دراسة ونقد
٥٠		ابو نواس : مختارات
١٠٠		ابو تمام
٢٠٠	(الطبعة الثانية)	حكيم المعرفة
٣٠٠	(الطبعة الثانية)	عبقرية العرب في العلم والفلسفة
١٥٠	(الطبعة الرابعة)	الاسلام على مفترق الطرق
١٠٠		نحو التعاون العربي
(نقد)		دفاعاً عن العلم
٥٠		دفاعاً عن الوطن
٤٠٠		الأسرة في الشرع الاسلامي

600 — Das Bild des Frühislam in
der arabischen Dichtung
von der Higrā bis zum Tode
Umars, 1-23 d. H. (622-644 n. Ch.
Leipzig 1937 .

- ٢٥٠ التبشير والاستعمار في البلاد العربية
- ٣٠٠ شاعران معاصران (ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابي)
العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض
- ٣٠٠ المتوسط (الى سقوط الدولة الأموية)
العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض
- ٤٠٠ المتوسط (الى آخر عصر الولاة : ٥١٣٨ = ٧٥٦ م) .

طبع هذا الكتاب

على

مطبعة دار الحكيم - بيروت

وانتهى طبعه في

١١ رمضان ١٣٧٨

٢١ آذار ١٩٥٩